

العمران التقليدي
في دولة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. محمد مدحت جابر عبد الجليل

العمران التقليدي
في دولة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. محمد مدحت جابر عبد الجليل

رقم التصنيف : ديوي ٩٣٥ ، ٧٢٨

المؤلف : محمد مدحت جابر عبدالجليل

عنوان الكتاب : العمران التقليدي في دولة الإمارات العربية المتحدة

الموضوع الرئيسي : العمران التقليدي - دولة الإمارات

الناشر : مركز زايد للتراث والتاريخ - العين - الإمارات العربية المتحدة

توصيف الكتاب : قياس ١٧× ٢٤ ، عدد الصفحات ٣٤٥

قيد الكتاب : تم قيد الكتاب في سجل الإيداع النوعي بقسم الملكية الفكرية وحقوق المؤلف بوزارة الإعلام والثقافة

تحت رقم أ م ف ٤/٩ - ٢٠٠٠ . بتاريخ : ٢٠٠٠/١/٣٠م

الرقم الدولي للكتاب : ISBN 9948-06-010-5

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م



مركز زايد للتراث والتاريخ

ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY

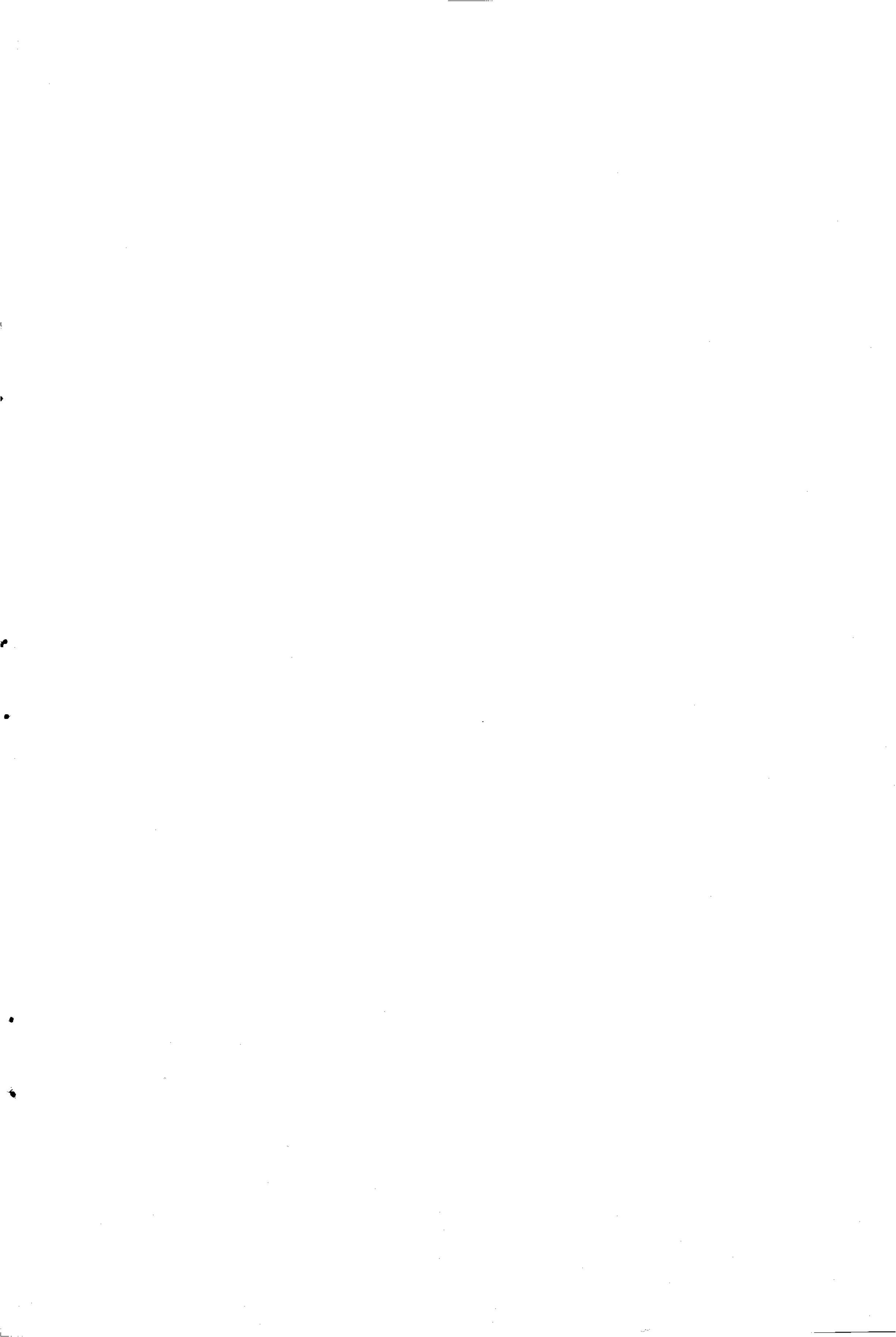
ص.ب:٢٣٨٨٨ - العين - الإمارات العربية المتحدة - هاتف : ٧٦١٥١٦٦ ٣ ٩٧١+ ، فاكس: ٧٦١٥١٧٧ ٣ ٩٧١+

P.O.Box:23888 Al Ain- U.A.E.-Tel.: 971-3-7615166, Fax: 971-3-7615177

E-mail : zc4hh@zayedcenter.org.ae


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

يركز المركز على استجلاء الملامح الحضارية لدولتنا الفتية، واستحضارها واستنطاقها، وهذه المظاهر الحضارية فضلاً عن كونها شواهد مادية ترمز للتطور والتفاعل مع البيئة الجغرافية، وتعبّر عن الأصالة والشخصية المحلية المتفردة، إلا انها تحافظ في الوقت نفسه على الهوية القومية، وتحفز الحوار والبحث والفكر لدى الأجيال الحالية والقادمة ، للتمعن في تراث آبائهم وأجدادهم، من مساكن تؤوي، وقلاع وحصون تحمي، وأفكار وإبداعات تفي بالغرض، وتؤدي وظيفتها على أحسن حال في تناغم مبدع مع البيئة التي قطنوها دون إلحاق الضرر بها.

والكتاب الذي نصدره اليوم، ليس إلاّ رمزاً للجهد المبذول في هذا المجال، ويتناول جوانب كثيرة نسعى إلى إبرازها، وتوثيقها، ووضعها بين أيدي الباحثين والدارسين بغرض إشاعة الوعي بتراث الماضي، وجوانبه المضيئة الكثيرة.

وكتاب **العمران التقليدي في دولة الإمارات العربية المتحدة**، نتاج جهد مبارك طيب نهض به الأستاذ **الدكتور محمد مدحت جابر عبد الجليل** الأستاذ بقسم الجغرافيا في جامعة المنيا بجمهورية مصر العربية، والمُعار حالياً لجامعة الإمارات العربية المتحدة. وهو متخصص في جغرافية العمران، وله اهتمامات بحثية تشهد عليها مؤلفاته في هذا المجال.

وموضوع الكتاب يقع في إطار أحد فروع الجغرافيا وهو «**الجغرافيا التاريخية**»، ذلك الفرع الذي يتناول جغرافية الماضي، ومن هنا تكمن جدته وفرادته لأنه يحفظ هذا التراث، ويحلل مفرداته، ويوثقه، قبل أن يتعرض للذوبان في خضم التطورات الحديثة.

وقد ألقى المؤلف الضوء على جوانب هذا العمران من وجهة النظر الأكاديمية والحضارية، ونجح في إبراز تفاعل إنسان الإمارات في الماضي مع ظروف بيئته الجغرافية، فأبدع هذه المفردات الحضارية، من مساكن، وقلاع، وحصون، وأدوات، وأساليب حياة، أبانت عن ذكاء فطري أفاد ولم يضر، واستغل ما توافر في البيئة المحلية من موارد، أو مما شاهده أو وصل إليه من خلال تفاعله مع شعوب أخرى وصل إليها أو وصلت إليه.

الكتاب بإيجاز نظرة فاحصة لملمح جغرافي مهم لأجيال الماضي، يستنهض همم الأجيال الحالية والقادمة للحفاظ عليه، والاستفادة منه.

والله ولي التوفيق،،،

مقدمة

تهتم الجغرافيا بإبراز أوجه التفاعل بين الإنسان وبيئته التي يعيش فيها، ويُعد السكن من أحسن الأمثلة لإبراز ذلك التفاعل، من خلال الأساليب المتنوعة التي أبدعها سكان كل منطقة جغرافية من أنماط وأشكال سكنية، تعد بدون شك استجابة تلقائية للظروف الطبيعية والبشرية السائدة في منطقتهم. ومجال العمران التقليدي يمكن أن يُدرس من أكثر من زاوية بعضها يهم الجغرافي، وبعضهم الآخر يدخل في مجال نفوذ علوم أخرى. وقد اختار الباحث في هذه الدراسة أن يركز على أن العمران التقليدي في دولة الإمارات جزء من جغرافيتها الحضارية (cultural geography) وهو جانب لم يأخذ نصيبه من الاهتمام لدى الجغرافيين، ولذلك فالمنهج المتبع في هذه الدراسة منهج تحليلي، يبرز العلاقة بين السكن أساساً وشاغله في إطار البيئة بمفهومها الواسع، سواء أكان من الناحية الطبيعية أم البشرية. وقد اهتم العديد من الجغرافيين وغير الجغرافيين بدراسة العمران التقليدي في العالم، ويمكن أن نلمح هذا الاهتمام لدى الجغرافيين الفرنسيين الكلاسيكيين مثل ديمانجيون وبلانشارد، وماكس سور أيضاً الذي خصص جزءاً مستقلاً في كتابه الموسع عن أسس الجغرافية البشرية للسكن.

ومهما كان الأمر، فإذا كان الاهتمام بالدراسة العمرانية بصفة عامة والعمران الريفي بصفة خاصة لم يتركز إلاّ منذ انعقاد المؤتمر الجغرافي الدولي سنة ١٩٢٥ بالقاهرة (١)، فإنّ السكن التقليدي لم يحظَ بالكثير من

(١) عبدالفتاح محمد وهيبة – في جغرافية العمران – دار النهضة العربية – بيروت – ١٩٧٢م، ص ٩.

الاهتمام. وعلى الرغم من ذلك إلا أن هناك بعض الأمثلة من أنحاء العالم لدراسات جادة للعمران التقليدي، وإنْ جنح معظمها للاهتمام نفسه بمجالات غير جغرافية، ومن أمثلة هذه دراسة (Denyer) عن العمارة الأفريقية التقليدية (١) ، وكذلك دراسة أنماط المنازل في أثيوبيا، وقام بها (Gebremedhim) (٢) ، والدراسة التي قام بها (Wilson)، عن المساكن المرجانية في زنجبار وهي مشابهة تماماً لما في الإمارات، ودرسها (ويلسون) من وجهة نظر صلاحية هذه المادة للبناء في المناطق الساحلية (٣) . وجدير بالذكر أن معظم المباني التقليدية استجابة نظرية وعملية لتفاعل الإنسان مع البيئة، ولذلك يؤكد رودوفسكي (Rudofsky) أن عمارة هذه المباني عمارة بلا معماريين بالمعنى التقليدي للوضع في العصر الحديث فيما يختص بالعمارة الحديثة وأساليبها الصارمة (٤) . ولا نريد أن نستطرد في ذكر أمثلة متعددة من العالم، فهي ماثلة في قارات العالم أجمع. ويود الباحث أن يذكر أن هدف هذه الدراسة إبراز التفاعل بين إنسان الإمارات وبيئته الطبيعة والوسط الاجتماعي (Social Millieu) الذي وجد فيه وأبرز الأشكال العمرانية التي أبدعها، وتصنيف هذه الأشكال في ظل حركة السكان الدائبة في الماضي بحثاً عن الرزق في بيئة صعبة نوعاً، وجزء كبير منها كان غير مضياف؛ إذ تحتله الصحاري، وكان في حركته المستمرة يبدع من أنواع السكن ما يلائم كل حاجاته، سواء أكان

---

(١) Denyer, S. African Traditional Architecture, Heinemann, London, 1978.

(٢) Gebremedhim, N., House Types of Ethiopia, in oliver, P. ed. shelter in Africa, Lpndpn, 1971.

(٣) Wilson, F. The Coral Dwellers of Zanzibar, East African Annual, 1943 - 4.

(٤) Rudofsky, B., Architecture without Architects, New York 1964.

بشكل دائم أم بصورة فصلية موسمية. وأخيراً يود الباحث أيضاً أن يوجه النظر إلى أن بعض عناصر ذلك العمران التقليدي بحاجة ماسة إلى الحفاظ عليه؛ لأن الدلائل تؤكد أنه يذوب وسط طغيان الحياة المادية الحديثة وغلَبَة العمران الحديث الذي تطور بسرعة دون الالتفات الكافي للاستفادة من مزايا العمران الحديث الذي أبدعه السكان في الماضي. وقد اعتمد الباحث في إنجاز هذه الدراسة على كل ما أمكن الحصول عليه من بيانات شملت الدراسات العالمية المشابهة والمادة المتاحة عن الموضوع في الإمارات وهي قليلة، وأهم من هذا وذاك الدراسة الميدانية، حيث زار كل موضع يثري هذه الدراسة سواء أكان بنفسه أم في أثناء إشرافه على الرحلات الميدانية لطلاب جامعة الإمارات.

ويدين الباحث بالفضل لكثير من طلابه وطالباته الذين زودوه ببعض الصور للمناطق التي لم يتمكن من الوصول إليها، وكذا بتزويده بالألفاظ والمصطلحات المحلية لعناصر العمران التقليدي وبخاصة طريقة نطق الكلمات ومدلولاتها، وإن اعتمد أيضاً على معجم متخصص في هذه الألفاظ، فيعدّ إضافة حقيقية في مجاله (١) . ويأمل الباحث أن تكون الدراسة ذات فائدة لزملائه من الجغرافيين ولطلابه في هذا المجال المهم والحيوى. والله سبحانه وتعالى من وراء القصد.

المؤلـــف

العين/ يناير ٢٠٠٠م

---

(١) فالح حنظل – معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة – وزارة الإعلام والثقافة، أبوظبي – ١٩٧٨م.

الفصل الأول

الجغرافيا التاريخية للعمران في دولة الإمارات العربية المتحدة

على الرغم من أن الأبحاث الخاصة بالتاريخ القديم لدولة الإمارات محدودة عموماً، إلا أن النتائج الأثرية الخاصة بالعمران القديم محدودة للغاية، ومع ذلك فهي كافية لتأكيد أنّ المنطقة عرفت الاستقرار والحضارة منذ زمن موغل في القدم. وتفترض « كاي Kay » أن السكان قد عمروا أرض الإمارات خلال فترة مناخية رطبة والتي استمرت ما بين ٩٠٠٠ – ٦٠٠٠ سنة سبقت، ويدل على ذلك العديد من الآثار التي وُجدت عند خضيض المناطق الجبلية (١) . وهناك دلائل على بداية ارتباط العمران القديم بالسواحل في العصور الحجرية والمعدنية، على الرغم من تذبذب خط الساحل الذي قضى على كثير من الآثار الدالة على ذلك (*)، ومعظم المحال كانت محال صيد ترجع لحوالي ٦٠٠٠ – ٧٠٠٠ سنة مضت، وبعد هذا التاريخ وحوالي ٢٠٠٠ – ٣٠٠٠ سنة مضت كان سطح البحر أكثر ارتفاعاً عنه الآن بحوالي متر واحد، وامتدت الكثبان الرملية على طول خط الساحل، وبين الكثبان والبحر انتشرت اللاجونات والخلجان، التي ملأتها الرواسب وتمثلها السبخات الحالية. وقد وفرت هذه اللاجونات

(١) Kay,S., Emirates Arcaelogical heritage, Motivate publishing, Dubai, 1986, P. 12.

(*) تأثر العمران بالتطورات الجيولوجية للخليج العربي وخاصة تطوره الباليوجرافي وتذبذب مستوى سطح مياهه في البلايستوسين وفترة الهولوسين – للتوسع راجع حسن أبوالعينين سنة ١٩٩٦م، ص ص ١٣٧– ١٨٧.

موانيء ومرافيء لقوارب الصيد، وزودت السكان بالغذاء البحري، كذلك كانت غنية بأشجار المانجروف، وهي مصدر مهم للوقود والخشب اللازم للبناء، كذلك زوّدت الإنسان بأنواع الحياة البرية التي كانت غنية بها.

أما سكان المناطق الداخلية فقد أثر توافر الماء في اختيار مواضع العمران، وهكذا حظيت مواضع، مثل الواحات ومقدمات جبل حفيت، بمراكز عمرانية سكنت منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة (١) ، وفي هذه المواضع توجد أقدم المقابر الأثرية. وهنا بالداخل اختلفت القاعدة الاقتصادية للعمران عنها في المناطق الساحلة حيث مجتمع الصيد، وكان لسكان الداخل تركيبهم الاجتماعي الخاص بهم، وروابطهم التجارية، وعرفوا الزراعة، ويؤكد ذلك آثار منطقة هيلي شمالي مدينة العين التي ترجع للألف الثالثة ق.م. حيث عرفوا زراعة الحبوب، وهو ما يغير الآراء السابقة عن معرفة الزراعة في شبه الجزيرة العربية التي اعتاد الأثريون استثناءها من هذا النشاط (٢) .

وقد كان العمران القديم معاصراً له في بعض مناطق الخليج العربي الأخرى، ولاسيما في البحرين، حيث قامت مملكة بحرية قديمة هي «ديلمون» منذ حوالي ٥٠٠٠ سنة مضت (٣) . وقد ارتبط العمران أساساً بالجزء الشمالي من البحرين دائماً. ومراكز العمران مثل هيلي تثبت أنها بنيت من اللبن، وكانت جودة في التنظيم، بل إن بعضها قد احتوى على «المجلس» الذي لايزال ملمحاً عمرانياً معاصراً حتى الآن في مباني

---

(١) Ibid. PP. 16 - 17.

(٢) سيف علي الضبع، في كتاب الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة - الصادر عن دائرة الآثار في دولة الإمارات - العين- بدون تاريخ نشر - ص ٥.

(٣) Brunsden, D.; Doornkamp, J. & Jones D., The Bahrain surface ma terials re- sources survey and its appkication to regional Planning, The Georgraphical Journal, Vol. 145, Part 1, March, 1979, P. 1

الإمارات (أحد المنازل في محلة هيلي القديمة وصلت مساحته إلى ٢٥٠ متراً مربعاً، وتكون من ٩ غرف - راجع دائرة الآثار والسياحة - العين ص ٨)، كذلك بالمنازل شرفات، ودرج يؤدي إلى السطح (١) . ومقابر جبل حفيت ترجع إلى ٣٠٠٠ سنة ق.م. وهي أدلة على عمران العصر الحجري وكانت مقابرهم تلالية مما يدل على تأثرهم بالسومريين. وقد عملت مراكز العمران في الإمارات كمراكز تجارية مهمة ربطت بين السند وفارس وميزوبوتاميا، وقد برع السكان في ركوب البحر كذلك، ويرى بعضهم أن منطقة أم النار (قرب أبوظبي الحالية) ربما تكون إحدى المحطات التجارية القديمة، التي كان يحمل إليها النحاس قديماً من جبال عُمان على ظهور الجمال، ويلاحظ أن آثار الجمال في مستوطنة أم النار أقدم الآثار الدالة على استئناس الجمل في العالم، وكانت منازل أم النار من الحجارة وترجع إلى حوالي ٤٥٠٠ سنة مضت (٢) .

وتدل الدلائل الاركيولوجية على وجود مواضع بالمنطقة الشرقية من الإمارات عرفت استخدام المعدن منذ سنة ٢٠٠٠ق.م. إضافة إلى وجود دلائل على تحول السكان للبداوة بسبب تدهور مستوى الماء في الآبار، وزحف الرمال، وواكب ذلك استئناس الجمل فعضد ذلك الحياة البدوية. ولذلك فالآثار المنتمية للألف الثاني ق.م (٣) مثل التي وجدت في القطارة قرب مدينة العين، والقصيص قرب دبي، كانت أقل دقة من سابقتها،

---

(١) السيد سعيد عبدالرحمن - في كتاب الآثار في دولة الإمارات - مرجع سابق ص ٨.

(٢) Kay, S., Op. Cit,. P. 22.

(٣) سامي سعيد الأحمدي - تاريخ الخليج العربي منذ اقدم الأزمنة حتى التحرير العربي. منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة - شعبة دراسات العلوم الاجتماعية (٦٧) سنة ١٩٨٥م.

وتشمل البقايا الأثرية لهذه المدة صناعات معدنية نحاسية، وأدوات، مثل فأس برونزية، ترجع من حيث العمر إلى حوالي الألف الثاني ق.م. في منطقة هيلي (١) . وتشير الدلائل كذلك إلى وجود محلة عمرانية مهمة في موضع «شمل» في إمارة رأس الخيمة، وهي دليل نادر من أدلة العمران في الألف الثانية ق.م. والمحلة مستطيلة الشكل، وهناك دلائل على شغل الموضع الاستراتيجي، ويطل على واد خصب. وبالقرب من شمل كان يمتد الطريق التجاري الذي يصل إلى ميناء مهم قريب هو جلفار (Julfar) (قرب رأس الخيمة الحالية). وقد اكتشف العلماء في الموضع أدلة على ارتفاع معدل وفيات الأطفال من ناحية، وعلى انخفاض أمد الحياة لدى الأناث عنه لدى الذكور على عكس الحال في الوقت الحالي في العالم أجمع (٢) ، وقد دعم العمران معرفة نظام الأفلاج في منطقة جبال الحجر، ويعتقد أنه عرف عن إيران خلال الألف الثاني ق.م. حيث عرفه سكان جبال البرز في إيران.

وكلمة «فلج» مشتقة من اللغة السامية ومعناها التفرع والانقسام. ومن الآثار التي ترجع إلى العصر الحديد قرية قديمة في منطقة الرملية قرب العين، حيث وجد هناك مستويان للعمران يرجعان عموماً إلى ما بين ١٦٩٥ق.م. - ٦٠٠ ق.م. كذلك وجدت في الهيلي آثارٌ ترجع إلى النصف الأول من الألف ق.م. ذات منازل جيدة حتى إنها تبدو للناظر كما لو كانت قد شيدت من عقد أو عقدين من الزمان فقط، وقد وجدت بها بعض آثار العنف الذي قد يكون سبب هجرها حوالي سنة ٥٠٠ ق.م.

---

(١) سيرج كلوزيو - في كتاب الآثار في دولة الإمارات - مرجع سابق - ص ١٩- ٤١.

(٢) Kay, S., Op. Cit., P. 38.

وفي العصر الاغريقي الروماني هناك عديدٌ من الأدلة العمرانية تتمثل في القلاع والأبراج المستديرة، ومثالها قلعة الدور في أم القيوين، وقد ساعد على العمران آنذاك في القرن الثالث ق.م. أهمية «جرها» واستخدم العرب ذلك الموضع كمستودع غربي للتجارة مع الهند، ولذلك ساعد ذلك النشاط التجاري على نشأة عدة مدن في ساحل الخليج العربي للإمارات في الشارقة وقرب رأس الخيمة (١) .

وتشير الفترة الهيلنستية إلى أحد المواضع المهمة عند ساحل أم القيوين حيث موقع ميناء مهم يعرف اليوم باسم عربي هو «الدور». وتدل الشواهد على أن الموضع العمراني للمدينة كان يمتد إلى حوالي (كيلو مترين)، ووجدت بها آثارٌ من فارس وروما والدولة النبطية في شمال الجزيرة العربية، عملات معدنية أيضاً، وظهرت من محلات هذا العصر «جرها» التي يعتقد بأن موضعها في مكان ما شرقي الجزيرة العربية و«الدور» أيضاً وما يعنينا بشأن «الدور» الواقعة في منطقة الدراسة أن التجارة الدولية المتنامية في زمنها أثرت في نموها واتساعها، وقد ارتبطت الدور بموضع داخلي مهم عند مليحة، وذلك على طريق القوافل المهم على طول الجانب الغربي لحضيض جبال الحجر، وفي منطقة ذات ماء جوفي قريب من سطح الأرض، وكانت «مليحة» مدينة عامرة كبيرة منذ أكثر من ٢٠٠٠ عام مضت، وقد اكتشف موضعها سنة ١٩٧٠، وفيها قصر كبير من اللبن والعديد من الآثار الدالة على النشاط التجاري بينها وبين جزر أورس، كذلك دلائل على أن ملحة كانت بوابة إلى داخل عمان.

أما في العهد الإسلامي وما قبله، فقد كان موضع «دبا» أهم المواضع

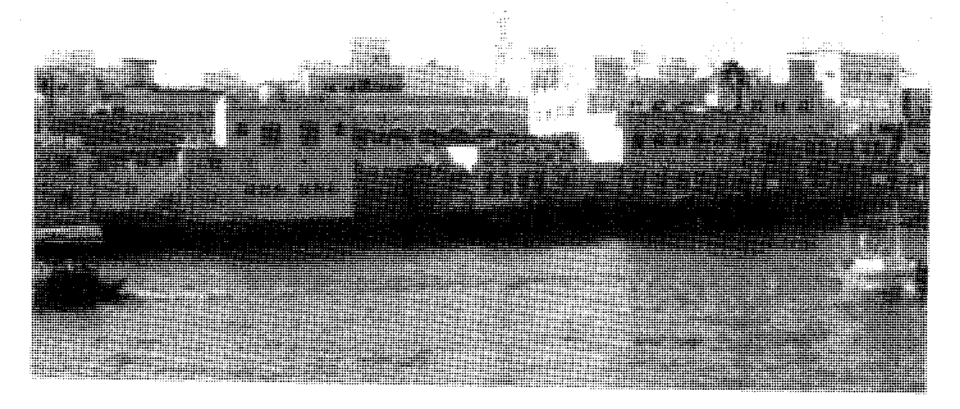
(١) دولة الإمارات العربية المتحدة - الآثار في دولة الإمارات - مرجع سابق، ص ٧١- ٧٩.

العمرانية، وقامت بها سوق كبيرة للعرب قبل الإسلام على درجة كبيرة من الأهمية، وتنافست مع سوق «صحار» في عمان، وكان يأتي للسوق تجار من الجزيرة العربية والصين والهند. وعملت دبا منذ ما قبل الإسلام كمنفذ لتجارة القبائل العربية التي سكنت المناطق الداخلية، وقد اتخذت هذه القبائل من «توام» (قرب العين) عاصمة لها. وكانت السلع المتداولة في دبا وغيرها متعددة، بعضها يأتي من الخارج، ومن أهمها اللبان و«الضجاح»، وهو ينتج صمغاً أبيض اللون يستخدم في تنظيف الملابس وشعر الرأس، وكذلك سلع «الطلوق» و«التامول»، وله طعم وميزات القرنفل وأيضاً الزنجبيل والتمر هندي، وقد أشار الطبري في العهد الإسلامي أيضاً إلى «جلفار» قرب رأس الخيمة، ووردت في الكتابات الإسلامية منذ سنة ٧٦هـ، وما بعدها وازدهرت زمن سيطرة البرتغاليين على الخليج في القرن ١٦م (١) . وجاءت شهرتها من التجارة البحرية وتجارة اللؤلؤ. وقد سجل «لوريمر» العديد من دلائل العمران ومراكزه في الإمارات، وذلك في دليلة الشامل عن الخليج (٢) . وقد أصبحت الأخوار دائماً طوال تاريخ الإمارات من أهم مناطق الجذب العمراني حتى العصر الحديث. والصورة (١) توضح ارتباط العمران التقليدي بالأخوار المائية.

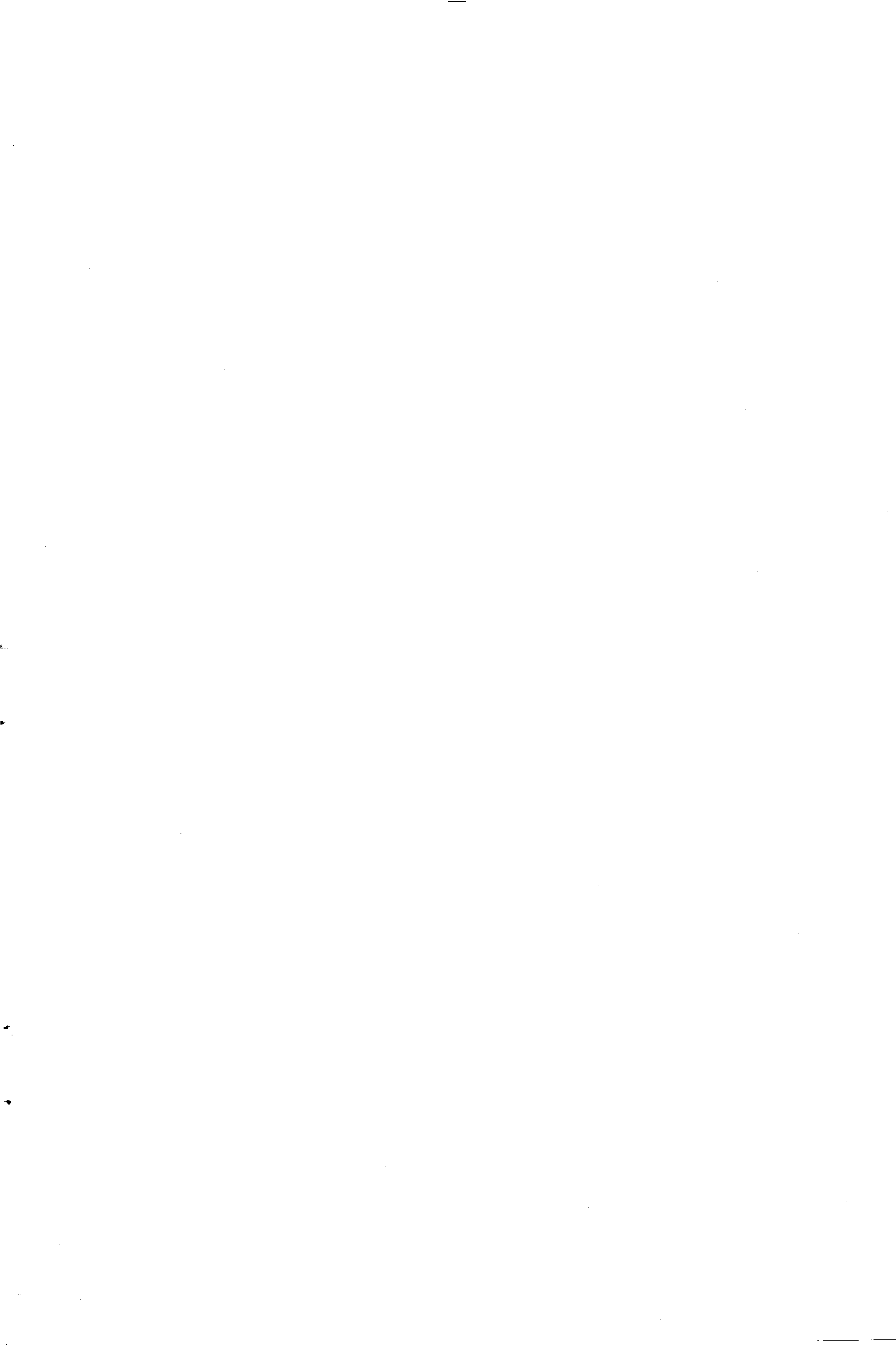
---

(١) Kay, S. Op. Cit. P. 60 - 26.

(٢) لوريمر – دليل الخليج– القسم التاريخي (٦ أجزاء) والجغرافي (٦ أجزاء) الدوحة – بدون تاريخ نشر.



الصورة/١ ارتباط العمران التقليدي بالأخوار المائية



الفصل الثاني

العمران التقليدي و البيئة الجغرافية

في معظم بلدان العالم توجد ثنائية عمرانية، أحد طرفيها البناء القديم الذي يُعد انعكاساً لمعطيات البيئة الطبيعية، التي يعيش فيها السكان في بلد معين أو جزء منها، والطرف الثاني نمط البناء الحديث الذي شاع في كل أرجاء العالم بعد اكتشاف العديد من مواد البناء الحديثة العملية بالفعل، ولكن قد لا تتمشى مع ظروف البيئة، وعلى ذلك هددت الأخطار هذا العمران التقليدي، الذي يُعد بالفعل جزءاً من التراث الحضاري لشعب ما، وأبدى العديد من الكتّاب ومنهم الجغرافيون، حرصهم على ضرورة الحفاظ على هذا التراث ودراسته واستخلاص الدروس المستفادة منه؛ لأنه يتمشى مع ظروف البيئة الطبيعية والبشرية. وكما يذكر «ديكن، وبيتس» فإنّ المساكن بوجه عام. على الرغم من أنها تمثل مظهراً متغيراً إلاّ أنها مرتبطة بطبيعة الأقاليم؛ إذ إن طابعها مرتبط بالبيئة وبالتراث الحضاري للسكان الذين شيدوها (١) . ولذلك لتعبير عمارة تقليدية أو عامة (Traditional or Vernacular)، فيها إشارة لنمط عمراني خاص بمنطقة معينة، بدوره تطور من خلال استخدام مواد بناء محلية وأساليب محلية أيضاً، وهي بالقطع تعطي حلولاً لكثير من مشكلات البيئة في المنطقة الموجودة بها (٢) . وأحياناً

---

(١) Diken, S. N., & Pits, F. r., Introduction to cultural geography, Grim and Company, 1970, PP. 308 - 11.

(٢) Spencer, R. J. S., & Cooks, D. J. Building Materials In develoning countries, Jhon Wiley & Sons, Chilchester, New York, 1983. P. 11.

يطلق على ذلك النمط العمراني التقليدي تعبيد العمارة المحلية (Domestic Architecture)، إشارة إلى ارتباط نمطها بمنطقة جغرافية دون غيرها. ومن أهم الأمور عند معالجة العمران التقليدي معرفة ارتباط الطراز العمراني بفترة زمنية معينة، وتأثر الطراز ببعض التأثيرات الوافدة كما هي الحال في منطقة دراستنا، ويكون ذلك مهماً حيث تكون منطقة العمران التقليدي عرضة للتأثيرات الأجنبية، وقد لاحظ ذلك «نوبل» في دراسته لتطور عمران القرن التاسع عشر وتصنيفه في ولاية أوهايو الأمريكية (١).

وأشكال البناء المحلية هذه على مستوى العالم أجمع تؤثر فيها ظروف البيئة الطبيعية والبشرية، ومن هنا جاء الاختلاف بين نمط عمراني تقليدي من منطقة لأخرى. ولعلّ عنصر المناخ أكبر العناصر المؤثرة طبيعياً في العمران التقليدي، في الماضي خاصة، فمساكن قبائل الطوارق في الصحراء الأفريقية ليست لها مواد بناء ثابتة نظراً لظروف المناخ وطبيعة حياتهم القبلية المتنقلة، لذلك كانت الخيمة المحمولة والحظائر الخفيفة التي تصنع من قوائم من الأغصان وغطاء منسوج من مواد محلية تؤمن الظل طابع عمرانهم غير الدائم، ومثل ذلك يصنعه بدو الصحراء كما سنرى عند حديثنا عن مساكن البدو في الإمارات، وحيث يتوافر الطين كمادة بناء نجد أنه يستغل بكفاءة وينتج السكان أنماط بناء تقليدية منه، ويعالجونها لتفي بالغرض، ولتقلل من تأثير نقص الأخشاب في البيئة أحياناً كما عند الهوسا في شمال نيجيريا، فنجد العديد من مساكن مدينة «كانو» معقودة (Vaulted) لتقليل استخدام الأخشاب النادرة في البيئة المحلية في البناء، ومثل ذلك فعله سكان النوبة القديمة في مصر

(١) Noble, A., Evolution and classifcation of Ninteenteh century Housing in Oho, Journal of geography, Vol. B. PP. 285 - 94.

وشمال السودان (١) ، وهو ما وجد في بعض المباني الدينية أيضاً في الإمارات، مثل مسجد البدية.

وفي بعض المناطق الجبلية طورت طرق بناء لها قابلية كبيرة في مقاومة الزلازل، وبالمقارنة مع دولة خليجية أخرى هي العراق نجد أنّ البيئة الجغرافية أنتجت هناك في الجنوب خاصة شكلاً عمرانياً محلياً خالصاً، وهي المساكن المصنوعة من الغاب العملاق في المستنقعات (giant Ma- rch read) ينمو بارتفاع ٧ أمتار، وكل ساق تعد وحدة بنائية تستطيع حمل وزنها وتتمايل مع الريح دون أن تنكسر وتحزم معاً، مكونة إطاراً بنائياً مهماً.

وبعض المنازل المصنوعة من هذه المادة المحلية التقليدية قد تكون بطول ٢٥ متراً. ومثل ذلك نجده في المناطق الرطبة التي يسود فيها نبات البامبو. وفي العالم الجديد وجدت أشكال عديدة من البناء التقليدي لدى جماعات الانكاو الأزتك (٢). وترى (Denyer) أن كل محلة عمرانية في أفريقيا هي حل دقيق متوازن لشكلة سكنية، وتستحق أن تكون محل نظر لكونها انعكاساً مادياً لطريقة حياة السكان، وهناك بعض التشابه في طابع العمارة التقليدية في الإمارات والخليج عامة وطابعها في شرق أفريقيا، حيث كان على المنازل والمباني أن تؤمن الحماية وتفي بحاجات التجارة النامية أيضاً وفي الحالتين بنيت من الحجر المرجاني الفخم الموجود في البيئة (٣) . ولعلّ طراز مساكن البحر المتوسط ذات الفناء من

---

(١) Spencer, R & Cooke, D., Op. Cit. PP 19 - 25.

(٢) Ibid. 27 - 31.

(٣) Denyer, S., African traditional Architecture, Heimmann, London 1978, PP. 22- 39.

أوسع طرز البناء التقليدي لما يؤمنه من ملاءمة مع المناخ وتقديم الخصوصية (Privacy) للسكان.

ولعلّ نمط العمران التقليدي في المناطق الجبلية في منطقة الدراسة وفي أفريقيا وكثير من جهات العالم الجبلية نمط فريد لما يقدمه من حلول طبيعية وبشرية، فمن حيث مادة البناء يطغى عليه استخدام الحجر المتوافر محلياً، وبالنسبة للنواحي البشرية يؤمن الحماية والعزلة، وهو ما يمكن أن نلحظه في كثير من مناطق العالم حتى اليوم، ولذلك بقيت أحياناً قبائل ضعيفة في هذه المساكن التقليدية في مواجهة قبائل أقوى منها (١). وهناك أمثلة عديدة للبناء التقليدي في الجبال، لعلّ من أهمها مساكن النوباويين في تلال النوبا في السودان (٢) . والعمران التقليدي يتميز بوحدة النسيج العمراني وتكيفه مع البيئة إذا كان السكان من عنصر واحد متجانس، كما هي الحال في الخليج. أما إذا تعددت العناصر العرقية فإنّ ذلك قد ينتج أشكالا «من العمران التقليدي المحلي، وقد لوحظ مثل ذلك في جزر كارولين، كذلك اختلاف الأعراق والثقافات والمستويات الحضارية قد تهدد العمران التقليدي، فقد لوحظ عند غزو اليابان لجزر كارولين أنهم شجعوا إزالة المساكن التقليدية؛ لاعتقادهم أنها غير صحية وتحيط بها مخاطر المرض، في حين كانت هذه المساكن تلبي حاجات السكان المحليين كافة (٣) . ويلاحظ على العمران التقليدي في جزر كارولين استخدامها بكثافة لمنتجات النخيل في البناء، وهو ما

(١) Cleave, M.B., Hill Settlements and their abandonment in tropical Africa, Transactions of the Institute of British geographers, 40, 1966.

(٢) Denyer, S. OP. Cit., P. 161.

(٣) Webb, W., A comparative study of traditicnal houses in the carolina Islands, Journal of geography, February, 1975, 102.

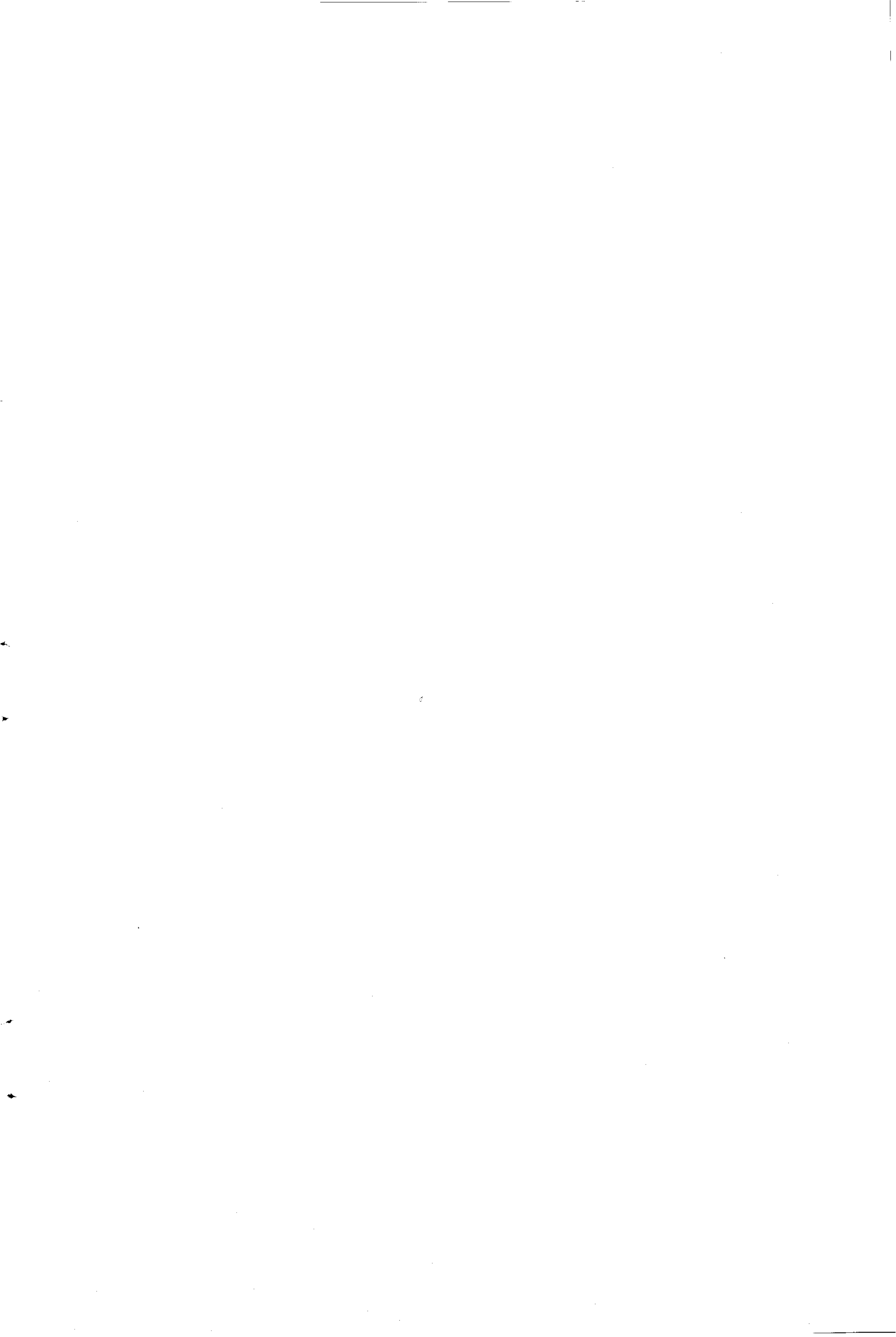
يشابه الوضع في العمران التقليدي في دولة الإمارات العربية المتحدة تماماً، مع فارق هو أن النخيل المستخدم في منطقة الخليج نخيل البلح، وهذا المستخدم في جزر كارولين نخيل جوز الهند، كذلك الحال في المنطقتين، فكان العمران التقليدي أكثر محلية وأقل تأثراً بالمؤثرات الخارجية كلما ابتعد عن مصادر التأثير الأجنبي وتميز بالعزلة الجغرافية، وهو ما يبدو في منطقة الدراسة عند المقارنة بين الأشكال البسيطة البناء في المناطق الجبلية والمنعزلة (١) من ناحية، وتلك التي تحتل مواضع ساحلية، حيث كانت الجهات الساحلية مفتوحة للمؤثرات الأجنبية بتأثير التجارة والأسفار البحرية منذ القدم من ناحية أخرى.

والخلاصة أن دراسة العمران التقليدي في بيئة جغرافية معينة تحاول استخلاص المعلومات عن أبعاد هذا العمران التقليدي وما يتضمنه من أفكار خلاّقة، وحلول لمشكلات السكن في بيئة معينة، وهو ما يتعرض الآن للاندثار مع انتشار الأفكار الحديثة والمواد الصناعية، إلى درجة أنه أصبح أثراً بعد عين في كثير من البلدان التي اندمجت بشدة في البناء الحديث، كما أن بعض المناطق التقليدية قد جرى هجرها والرحيل عنها(٢) ، ولذلك فدراسة العمران التقليدي تسجيل لبعد من أبعاد الجغرافيا الحضارية في بيئة جغرافية معينة.

---

(١) Ibid., P. 102.

(٢) Kyser, D., Chaning in the rural Iandscape of southarn Britain, the Journal of Geograpny, Vol. 74, January, 1975, No. 1, P. 52.



الفصل الثالث

الضوابط البيئية للعمران التقليدي
في دولة الإمارات العربية المتحدة

ارتبط العمران القديم كما رأينا في التحليل السابق بعوامل بيئية عديدة بعضها طبيعي وبعضها بشري، وفيما يأتي نوجز أهم هذه العوامل المؤثرة في العمران التقليدي.

أولاً - الضوابط الطبيعية وتشمل عدة ضوابط كما يأتي:

(أ) التركيب الجيولوجي:

يُعد هذا العامل ذا أهمية كبيرة في العمران في دولة الإمارات، حيث ارتبط العمران منذ القدم ببعض المواضع التي لها ميزة خاصة من حيث التركيب الجيولوجي، فارتبطت المواضع العمرانية بتراكيب جيولوجية معينة تساعد على تفجر الينابيع ووجود الآبار، كذلك حيث سمحت الطبقات بشق «الأفلاج»، وهي أساس قديم من أسس الزراعة؛ ووجدت في جبال الحجر منذ الألف الثاني ق.م، وهي لا تشق إلاّ حيث يمكن إنشاء نفق صناعي، يمتد أفقياً في الطبقات الصخرية الحاملة للماء الباطني(١)، وهو ما لا يمكن تنفيذه في الطبقات كافة.

وترتبط الواحات، بحكم كونها منخفضات، بالتركيب الجيولوجي الذي يسمح بالحصول على الماء الجوفي بسهولة وعلى أعماق قريبة نسبياً من

---

(١) محمد متولي، مياه متعددة المصادر - في كتاب الإمارات العربية المتحدة - دراسة مسحية شاملة - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٧٩- ص ص ٥٣٢- ٣٣.

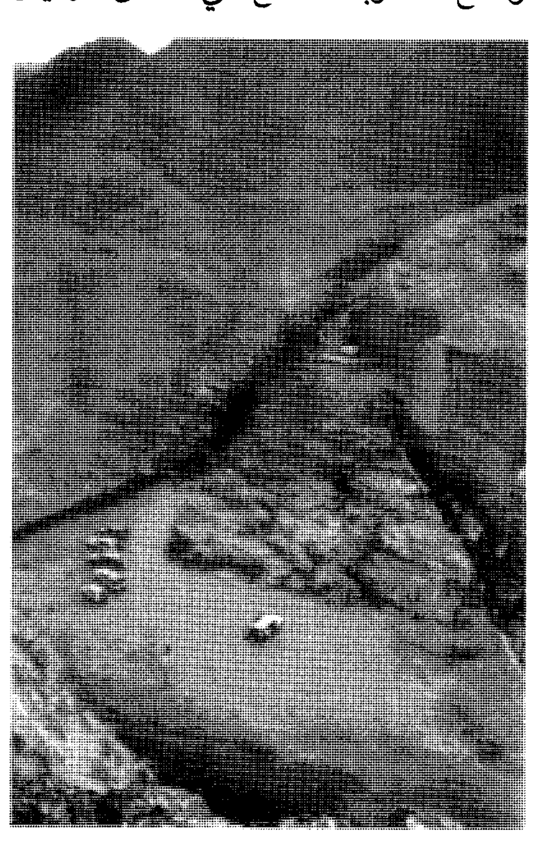
المناطق المحيطة بها، كما هي الحال في واحات العين والذيد وغيرهما، ومن ثم ارتبط العمران بهذه الواحات منذ القدم، ومما يدل على ملاءمة مناطق جيولوجية معينة لتوافر الماء أنّ الدلائل الأثرية أشارت إلى هجر بعض المواضع بعد انخفاض مستوى الماء الجوفي بها، وتحرك السكان إلى أماكن أخرى أوفر ماء. كذلك لعبت أنواع الصخور دورها في العمران التقليدي، فبعض الأنواع كالصخور الجيرية، شجعت وعضّدت العمران؛ لاحتوائها على الماء وسهولة تشكيل الحجر الجيري في البناء، بينما نجد الصخور البركانية والنارية الصلدة في جبال الحجر بالمنطقة الشرقية أعاقت العمران، ولذا حظيت المناطق الأولى عادة بمواضع تاريخية للاستقرار البشري، مثل منطقة جبل حفيت بالعين. وكان لوجود بعض المعادن، وبخاصة النحاس في جبال عمان، أكبر الأثر في وجود دلائل عمرانية من عصر المعدن، وعلى وجود تجارة نامية عرفتها الإمارات مع مناطق أخرى كان عمادها معدن النحاس.

(ب) السطح والظاهرات الجيومورفولوجية :

ارتبط العمران تقليدياً في الإمارات منذ البداية بمناطق السهول والمنخفضات كما رأينا، وأثر في هذه المواضع تغيرات خط الساحل؛ إذ إنّ الجبهة الساحلية جذبت الاستقرار البشري دائماً، وعرفت بعض مواضع تاريخية كان عمادها الصيد البحري. وقد أثر تغير خط الساحل في كثرة هجر مواضع، والاستقرار في مواضع جديدة تكون بمنأى عن الغمر والغرق وملائمة أكثر للمعيشة (١) ، ولذلك اختفى العديد من

(١) Kay, S, Op. cit., p. 38.

المواضع التي وجدت بجوار خط الساحل، وكثرت المواضع المفقودة التي لا يمكن تتبعها بعد تعرضها لترسب الرمال البحرية وضياعها تحت السبخات الحالية، ومثل ذلك مدينة «الدور» التي أُشير إليها قبلاً، وكانت معظم المحال تنشأ على خلجان وأخوار (Greeks) ليست ثابتة المجرى، فتتعرض لفعل الرياح والأمواج وتطمرها الرواسب. ويؤثر عامل التضاريس أيضاً في اختيار الموضع، وكان ذلك في القديم كما هو في الوقت الحاضر، وصورة (٢) توضح صعوبة السطح في مناطق الوديان الجبلية، مما يؤثر في اختيار مواضع آمنة للعمران في المناطق المعرضة للخطر وقت جريان هذه الوديان، وتتخير مكاناً مرتفعاً؛ لتكون بعيدة عن فعل السيول والفيضانات التي كثيراً ما يجلبها الوادي، كذلك ساعدت بعض المظاهر التضاريسية العمران التقليدي بكثرة الوديان التي تشق الجبال، وتكون قيعانها وجوانبها مناطق صالحة للزراعة والاستقرار، وساعد ذلك



الوديان الجبلية العميقة المؤثرة في مواضع العمران
واختيار مواضع غير معرضة للخطر

على تنوع النشاط بين الزراعة في السهول كما في سهول الباطنة الزراعية بالمنطقة الشرقية، وحرفة الرعي على السفوح والروابي كما هي الحال عند قبائل «الحبوس والشحوح»، والجمع بين الرعي والزراعة كما في منطقة السهل الحصوي الداخلي إلى الغرب من الجبال الشرقية (جبال الحجر)، وهو بعرض من ٢٥ – ٣٥ كم. أما بقية الأراضي فتغطيها هضبة صحراوية رملية، تشغل ٨٠٪ من مساحة البلاد (١). وهذا الوضع التضاريسي جعل هناك تبايناً في إمكان قيام العمران في المناطق المختلفة، إذ لا يوجد في المنطقة الأخيرة سوى بعض مناطق الواحات كالذيد وفلج المعلا، وحتى واحات العين، وكانت سهولة استغلال المعادن في جبال الحجر من أسباب تدعيم العمران كما رأينا وبخاصة في منطقة وادي قور في الجبال الشرقية من دولة الإمارات. وسبق أن لاحظنا أن العمران تأثر نموه في الألف الثانية ق.م، بزحف الرمال وانخفاض مستوى الماء الجوفي، مما أدى إلى طمس بعض المواضع، وأيضاً طمس بعض طرق التجارة بين العين وأم النار (قرب أبوظبي)، وكانت طريقاً تقليدية للتجارة القديمة (٢) .

جـ - العوامل المناخية والنباتية :

كانت استجابة العمران التقليدي في الإمارات واضحة جلية منذ القدم حتى الوقت الحاضر، فقد عمل السكان دائماً على تقليص التأثير المناخي القاسي في منطقة الخليج بابتداع منازل ذات تصميم يصمد

---

(١) شاكر خصباك – مجتمع يتغير – في كتاب دولة الإمارات دراسة مسحية شاملة – مرجع سابق ص ص ٥٣٢– ٥٣٣.

(٢) Kay, S., Op. Cit., P. 27 - 30.

أمام العوامل المناخية، ولاسيما الحرارة الفائقة والرطوبة المرتفعة، وهو ما نجد له مثيلاً في العديد من جهات العالم المماثلة. ففي ولاية كلورادو الأمريكية نجد منازل تقليدية طينية (من اللبن)، تكون فيها الحوائط والجدران مزدوجة (Double wall)، ويكون كل حائط بسمك ٦ بوصات، يفصل بينهما ٤ بوصات للهواء (١) . وفي دولة خليجية قريبة من الإمارات هي البحرين، ولها الخصائص المناخية نفسها، نجد أن عناصر المبنى وتركيبه تشيد لتقاوم المناخ القاسي صيفاً، فتكون فتحات الطابق الأرضي ضيقة ومرتفعة للاحتفاظ برطوبة داخل المنزل إلى أقصى حد، كذلك تتم حماية النوافذ والفتحات بسواتر خشبية حماية لها من أشعة الشمس، وكل خطة المنزل البحريني التقليدي موظفة للحماية من المناخ (٢). ويحدث مثل ذلك في دولة الإمارات مع وجود تباين من منطقة لأخرى في الاستجابة لعنصر المناخ؛ فمساكن المدن الساحلية تبدي مقاومة للمناخ عن طريق الجدران السمكية وإنشاء «البراجيل» في المباني، كما أنّ تخطيط المنزل من الداخل يعكس الرغبة في تقليل تأثير الحرارة من خلال تنظيم أجزائه المختلفة.

أما في المناطق الداخلية، فتتجلى الاستجابة في استخدام المواد البنائية الخفيفة المحلية التي تسمح بالحصول على أكبر قدر من تلطيف الجو، كما يبدو ذلك في تبني السكن و الإقامة صيفاً في منازل تقليدية من نوع العشش، منها العريش، والخيام وما إلى ذلك. وفي الجبال

(١) McHenry, P., A dobe and Ramed Earth Building, Wiley, New York, 1984, PP. 15 - 39.

(٢) Abdullah, I.M,, Design & Construction of Traditionl Houses in Bahrain, El-Maathorat El- Shaabia, No. October, 1986, El- Doha, PP. 32 - 34.

يعوض الارتفاع عن شدة الحرارة، وتقل على المرتفعات، وتأخذ المساكن التقليدية أشكالاً مشتقة من البيئة الجبلية، وهكذا نجد تنوعاً بحسب طبيعة كل منطقة بالإمارات. ونجد مثل ذلك التنوع في المسكن التقليدي في دولة عربية أخرى تتميز بتنوعها الجغرافي كالإمارات على الرغم من صغر مساحتها، هي لبنان، إذ نجد أن المناطق الساحلية والرطبة يسودها مساكن لها خاصية الامتصاص والعزل الحراري وتقليل التفاوت الحراري بين النهار والليل، كذلك يُسمح في تخطيط المنزل الاستفادة بالجبهة البحرية وتسهيل التهوية العرضية (Cross - ventilation)(١)، ونجد مثل ذلك في الإمارات ويضاف إليه وجود التهوية الرأسية أيضاً. (Vertical ventilation) عن طريق ما يُعرف «بالبراجيل» التي سندرسها تفصيلاً عند الحديث عن التركيب الداخلي للمسكن التقليدي في الإمارات، وهذه سمة تكاد تميز العمارة الخليجية الساحلية عموماً. وقد نهضت مثل هذه الوسائل الطبيعية في تقليل آثار المناخ الحار، إلى درجة أن بعضهم يرى أن منطقة مثل منطقة البحر المتوسط ذات المنازل المصممة للتعامل مع المناخ بصورة طبيعية، لا حاجة لها إلى أنواع التكييف الصناعي الشائع اليوم (٢) . وقد فطن سكان السواحل في الإمارات إلى أهمية اختيار مواد البناء، ومن ثم فهم يبنون بيوتهم بأحجار المرجان في المدن والريف، وأيضاً بالطين واللبن وهي مواد تحقق التلطيف الأمثل صيفاً وشتاء، وتحفظ للمنازل حرارتها المقبولة، نظراً لخاصية

---

(١) Regette, F., Architecture in Lebanon, Caravan books, New York, 1980, PP. 167 - 8.

(٢) Raymond, A., la clinatization naturelle san installations thermique, Al- Mohandess, Beirute, 1966.

المواد سالفة الذكر (١) . لذا فإنّ تصاميم المنازل التقليدية في الإمارات بأنواعها قد راعت التكيف مع الرياح السائدة صيفاً وشتاء، وصممت مساكن للشتاء وأخرى للصيف، وعادة ما يطلق تعبير منازل «المقيض» على مساكن الصيف، ومنازل «المشتى» على مساكن الشتاء. ومعظم المساكن التقليدية في الإمارات تُراعى فيها أن يكون السقف مرتفعاً؛ ليتحقق للمسكن أكبر قدر من الراحة، وبخاصة في الفصل الجاف الحار، وتميز المنزل لذلك بجوه الداخلي الرطب الرحب لارتفاع الأسقف، والتي هي ذاتها من مواد بنائية كالخشب والجريد والحصر في صورة طبقات يعلو بعضها بعضاً، فتساعد في العزل الحراري. ومثل هذا الأسلوب يتبع في مناطق أخرى من العالم، حيث توجد مساكن تقليدية ترجع إلى القرن التاسع عشر كما هي الحال في جنوب ولاية أوهايو الأمريكية التي تُبنى دائما مرتفعة الأسقف، وقد استمده السكان هناك من ولايات أكثر جنوبية مثل فرجينيا (٢) .

ولما كان المناخ مؤثراً في النبات، فقد لعبت النباتات دورها في العمران التقليدي، وكان عدم وجود ثروة نباتية خشبية غنية أحد أسباب اتجاه معظم المساكن التقليدية إلى الاستفادة من البدائل المتاحة، ويأتي على رأسها أشجار النخيل التي استخدمت بكفاءة بالغة في أجزاء المسكن وبخاصة كدعائم وفي الأسقف، وكذا استخدم الجريد أو ما يطلق عليه محلياً اسم (الدعن)، ومع نشاط التجارة الخارجية عرف السكان الخشب المستورد، الذي يطلق عليه محلياً (الجندل)، واستوردوه من الهند

(١) Agrawal, M.,Mud, the Poetntial of earth based material for third world Housing, An earth scan publication, Intenational Institute for Environment and development, London, 1981, p 7.

(٢) Noble, A., Evolution and Classification of Neinteenth Century Housing in Ohio, The Journal of Geography, vol 74, May 1975, pp. 203- 295.

وشرق أفريقيا وإيران وباكستان، كذلك استوردوا مواد نباتية أخرى لازمة للعمران التقليدي، وبخاصة ما يعرف «بالباستيل» أو الباسجيل من جنوب العراق، حيث الأخوار والمستنقعات التي تلائم نموه، وهو شبيه بالغاب أو البامبو، وتشق الواحدة شريحتين لتستخدم في الأسقف. وليس معنى كثرة استيراد هذه المواد أن المواد المحلية لم تستغل، إذ إنّ النخيل يكاد يكون واسع الشيوع في أبعاد العمران التقليدي كافة حتى في المدن، يُضاف إلى ذلك أن الثروة النباتية المحلية من السبخات والأخوار والسواحل تلك الموجودة في منطقة «كلبا» خاصة المليئة بأشجار «المانجروف» أو القرم الذي له ميزة وخاصية استصلاح الأراضي، قد جرى استغلالها منذ القدم بكفاءة كبيرة، واستفاد السكان منها في البناء، واستغلوها كوقود، وكانت مصدراً لغذاء الطيور، التي بنت أعشاشها عليها. كذلك أنتج السكان منها بعض الأصباغ (١).

أما الثروة العشبية، مثل نبات «النص» فاستغلت كغذاء للجمال وبقية الحيوانات. أما الأنواع الشجيرية فيستفاد منها كوقود أكثر منها للبناء، أما فروعها الدقيقة فاتخذوها غذاء للحيوان، ومن ذلك نباتات الكرى والسبط والعلنا والضرم والهرم والرفلة والعراد والأرطة والعبل. أما الأشجار فعديدة بالإمارات، وقد تصل في ارتفاعها إلى ٦ أمتار وبخاصة في شمال شرق البلاد وجهاتها الشرقية، ومن أكثرها انتشاراً السمر والغاف والأشخر والسدر والغضا والجز والأثب والشريش والسلم والشوع. ويعد الغاف أضخم أشجار الإمارات (٢).

---

(١) Miles, S. B., The countries and tribes of the Persian Gulf, Frankcass & Co. Ltd., London, 1966. P. 397.

(٢) عادل عبدالسلام - في كتاب دراسة مسحية شاملة - مرجع سابق - ص ص ١٨٥ - ١٨٩.

وترى (كاي Kay) أن شجرة المانجروف مثالية لما أوردنا سابقاً من خصائصها فضلاً عن كونها تصلح في صناعة بعض صواري القوارب، ولاتزال تستخدم في البناء التقليدي إلى اليوم (١) ، وقد وجدت بقايا نباتية قديمة في مواضع عمرانية أثرية في منطقة «هيلي»، تنتمي إلى العصر الحديدي، مما يدل على قدم أهميته للبناء في منطقة الدراسة (٢) . ولا تزال النباتات تستخدم في المنازل التقليدية حتى اليوم كعامل ملطف لدرجة الحرارة. وتوجد شجرة واحدة على الأقل في فناء كل منزل، والصورة (٣) توضح منطقة عمران تقليدي تسودها الأشجار داخل الأفنية.



صورة ٣/ منطقة عمران تقليدي تسودها الأشجار داخل الأفنية

(١) Kay, S., Op. Cit., P. 30- 35.

(٢) Ibid., PP. 25- 35.

ثانيا - الضوابط البشرية وهذه تشمل :

أ - الأبعاد الاجتماعية والقبلية :

كانت هذه الأبعاد ذات تأثير طاغ في العمران والبناء التقليدي في الماضي، فبالنسبة لكل قبيلة في الصحراء كان لها منطقتها الخاصة، التي لا تستغلها قبيلة أخرى، ويطلق على هذه المنطقة «ديرة» القبيلة، وبالتالي فلها وحدها حق إقامة السكن والرعي بها، وقد انتقلت تسمية «ديرة» هذه، واشتقت من النظام البدوي، لتصبح من معالم المدن أيضاً، ففي مدينة دبي نجد «ديرة دبي».

كذلك حكم العمران البدوي المتنقل وشبه المتنقل عادات قبلية صارمة تنظم وضع «بيوت الشعر»، وهي سكن البدو أساساً، ووضع خيمة رئيس القبيلة بين بقية الخيم، وموضع العمران البدوي بعيد عن مصدر الماء شتاء وفي الصيف لابد من الاقتراب بوحدات السكن من مصدر الماء، وهكذا. وأثرت العادات البدوية في تفضيلهم السكن في وحدات متنقلة أساساً تناسب الطبيعة التي جبلتها عليها، وكان إهمال بعض هذه التقاليد القبلية أحد أسباب عدم نجاح بعض مشروعات توطين البدو الرحل بعد ظهور البترول، ونجحت المشروعات حين استمدت بعضها أبعاداً مستقاة من حياة البدو في الماضي وأهمها «الشعبيات» التي تنتشر في الإمارات اليوم كسكن لبعض السكان، ومنهم بعض القبائل البدوية، حيث جرى الاحتفاظ لهم فيها ببعض أبعاد الماضي كالفناء المفتوح وحجرة واسعة يضيف كل منهم إليها ما يراه حسب رغبته، خلف السكن أيضاً لإيواء الحيوانات التي تكون جزءاً لا يتجزأ من حياة البدو*.

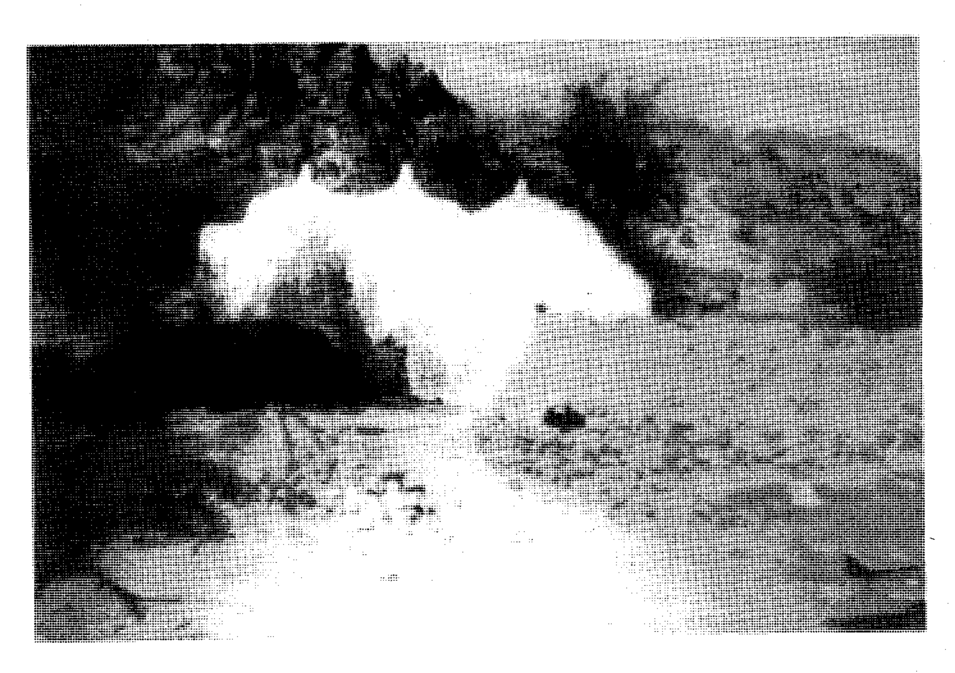
(*) منع الاحتفاظ بالحيوانات في المنازل أو قريباً منها حالياً وبخاصة في المدن.

ب - الديـن :

كانت استجابة العمران التقليدي للدين واضحة منذ دخلت المنطقة في الإسلام بعد مدة وجيزة من بعثة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وقد تمثّل ذلك في أن المسكن التقليدي يراعي دائماً أكبر قدر من الخصوصية عامة وللإناث خاصة، ولذلك وجدنا أن خطة المنزل التقليدي دائماً تفصل بين «المجلس» أو «الديوانية» كمكان لاستقبال الزوار والضيوف، وبين بقية أجزاء المنزل. وحتى في أبسط أشكال السكن كما هي الحال في «بيوت الشعر» الخاصة بالبدو، نجد أن الخيمة مقسمة بين الذكور الإناث. وفي المنازل الدائمة والثابتة كمساكن المدن تجلت فيها فكرة الوحدانية لله تعالى، والبعد عن رسوم الأشخاص، بينما تزخر بالرسوم والزخارف الهندسية والرسوم التجريدية أيضاً وهو ما يتمثل في معظم العالم الإسلامي؛ إذ لوحظت فروق مثلاً في ذلك الشأن بين منازل المسلمين والمسيحيين في لبنان (١). كذلك يلاحظ أن حجم النوافذ في الأدوار السفلى من السكن مرتفعة عن مستوى النظر، وضيقه، على عكس النوافذ في الدور العلوي. هذا عن داخل المسكن التقليدي.

أما عن المسكن من الخارج، فنجد أن المسجد هو دائماً المركز الذي تتحلق حوله المساكن التقليدية وكان دائماً ملازماً للعمران التقليدي في الإمارات، ومسجد البدية كما يبدو في صورة (٤) يعد من أقدمها بالإمارات إن لم يكن أقدمها على الاطلاق، وهو قائم عند سفح جبلي بقرية «البدية» في المنطقة الشرقية وهو على الرغم من قدمه يعد إضافة معمارية؛ إذ ترتفع قبابه الأربعة على عمود واحد أو «سنطوانه» واحدة

(١) Ragette, F., Op. Cit., PP. 179- 81.



صورة /٤ مسجد البدية أقدم المساجد في الإمارات ويقع
في منطقة الساحل الشرقي الجبلية

باللهجة المحلية، ويوجد إلى جواره الحصن القديم الذي يكمل الصورة العمرانية، ويحقق مطلب الحماية والدفاع. وفي الحالات التي تتسع فيها المحلة العمرانية يصبح لها أكثر من مسجد، وعادة ما يرتبط موضع المسجد بوجود «فريج» معين والفريج يشير إلى جزء من حي، أي منطقة صغيرة، عادة ما تقطنها قبيلة واحدة أو جزء من قبيلة تربطها أواصر القربى أو المعرفة الوثيقة، ويجلس السكان مع بعضهم كما في البرزة الخاصة بالنساء، ويحتل المسجد قلب هذا الفريج ووسطه، ويشابه «الفريج» ما نطلق عليه في جغرافية العمران «منطقة جيرة» Neibourg-hood ويلاحظ أن هذه الفرجان «جمع فريج» لاتزال حية في أسماء أحياء المدن الحالية في مدن الإمارات الرئيسة وهكذا نجد أن الدين كان له أثره في خطة المسكن التقليدي، فعلى الرغم من أن عناصر المناخ السائدة في

منطقة الخليج تدعو إلى انفتاح المسكن على الخارج، كما هي الحال مثلاً في بعض المناطق المدارية والرطبة الأخرى من العالم، إلاّ أن الدين كان سبباً في اتخاذ المسكن الخليجي التقليدي نمطاً مختلفاً مخالفاً، فتميز بالتركيز في الداخل بدلاً من الخارج لأسباب دينية. ولكي يحل التصميم هذا التناقض مع البيئة ابتدع أشكالاً توائم بين متطلبات الدين ومتطلبات البيئة، مع تأكيد الخصوصية (Privacy)، فاستحدث الفناء الفسيح داخل السور، وهو قلب المنزل، التقليدي فيحقق بذلك الاتصال بالخارج مع تحقيق الخصوصية والاستمتاع بالجو الخارجي الخلوي في نطاق المنزل التقليدي نفسه الذي ينفصل عن غيره بالسور، ومن ذلك أيضاً عنصر معماري مهم في المنزل هو «الليوان»، الذي يشيع في معظم المنازل التقليدية، وسنشير إليه في موضعه من تركيب المنزل، وتطل على الليوان أغلب غرف المنزل؛ لأنه متصل بالفناء وينال قدراً من الهواء المنعش، يساعد في تقليل درجة حرارة الغرف دون المساس بخصوصية أهل المنزل. كذلك أثر الدين في ترتيب عناصر المنزل التقليدي، وتخطيطه، ومن ذلك أن تكون الحمامات والمراحيض في مواقع مضادة لاتجاه القبلة (١) . كذلك توجد في مداخل بعض المنازل التقليدية أحياناً سواتر صارمة تمنع الرؤية تماماً لدى الداخلين للمنزل، وتأخذ زوايا خاصة تتيح للسكان ملاحظة وفود الأغراب، وبالتالي لا يحدث تعدي على خصوصيتهم. وعموماً تراعى النواحي الدينية في ترتيب المنطقة العمرانية كلها والشوارع المحيطة بها فبعض الشوارع مغلقة في نهاياتها وتوجد ممرات بمستويات مختلفة من الخصوصية وأحياناً يكون باب المنزل على أحد

---

(١) معلومات استقاها الباحث عن الدراسة الميدانية.

الطرق الصغيرة، حيث لا يتقابل مع باب منزل آخر، وهو ما يراعي عادة في مناطق العمران التقليدي من شبه الجزيرة العربية مثل المملكة العربية السعودية (١) .

جـ - الأمن والحماية :

الأمن والحماية من الأهداف القديمة للسكن عبر التاريخ، وصمم المسكن التقليدي في الإمارات منذ البداية لتحقيق هذا الهدف، وهدف الحماية والأمن كان ضرورياً في الماضي في ظل الحروب القبلية وتأثيرات البيئة الجغرافية، وقد ظهر ذلك في شكل البناء الكتلي السميك، وفي أن بعض المنازل كانت، كما لاحظنا، تخصص للسكن والدفاع في الوقت نفسه، وفي حالة تخصيص المنزل للسكن فقط فإن القلعة أو الحصن كانت تحمي المحلة العمرانية عامة من قوى العدوان. وقد تمثل عامل الحماية والأمن أكثر في مساكن الحكام والرؤساء الذين كانت إقامتهم عموماً في مثل هذه المساكن التقليدية التي تكفل الحماية، ويمكن أن نلحظ وسيلتين من وسائل تحقيق الحماية والأمن لسكان العمران التقليدي في الإمارات، الأولى: من خلال اختيار موضع السكن في مناطق أقل خطورة من حيث تأثير العوامل الطبيعية مثل الوديان الجبلية التي كثيراً ما تجلب المياه الدافئة عند هطول الأمطار، فتمثل خطورة كبيرة على المحال، لذلك حرص السكان على تخير مواضع معينة تتكيف مع عوامل الخطر الطبيعية هذه (٢) ، ولذلك اتخذت المحال عديداً من

---

(١) سعيد عبدالله الشيخ. العمارة التقليدية ومدى ملاءمتها للظروف المناخية بالمملكة العربية السعودية - عالم الصناعة - المجلد ١٠ - العدد ١٩ يناير ١٩٨٤ - ص ص ٤٠ - ٤١.

(٢) راجع: حسن سيد أحمد أبو العينين، ومحمد مدحت جابر - مواضع المحال العمرانية في المنطقة الشرقية من دولة الإمارات العربية المتحدة والعوامل الجغرافية التي اثرت فيها - الدراسات الخاصة - معهد البحوث والدراسات العربيةالعالية - عدد ٣٠ القاهرة - ١٩٨٧م.

المواضع التي تكفل لها تلك الحماية من عوامل الطبيعة، وكانت المشكلة دائماً محاولة إبعاد الخطر القادم من الجبل (مثل الوديان المنحدرة السريعة) أو من البحر في صورة الأمواج والمد، فتخيرت المحال مواضع تحميها من هذين العاملين الطبيعيين.

أما الحماية ضد العدوان البشري فتمثل في الحصن أو القلعة الذي يكاد يكون توأماً للمحال كافة في المناطق الجبلية والساحلية خاصة. يضاف إلى ذلك خطة المنزل نفسه وتنظيمه بحيث يكفل أقصى درجة من الحماية لسكانه عن طريق بنائه الكتلي، وقلة الفتحات به في طابقه الأرضي، ومتانة أبوابه، التي كانت تستورد خصيصاً من الخارج تحقيقاً لهدف الحماية.

(د) الهجرة الموسمية :

ارتبط العمران التقليدي في دولة الإمارات العربية المتحدة بنوعين من الهجرة الموسمية، الأول يمكن تسميته بالهجرة الرأسية، والثاني الهجرة الأفقية.

أما عن النوع الأول فقد كانت هذه الهجرة تتم في المكان نفسه في المدن، حين ينتقل السكان من غرف الطابق الأرضي المخصصة للمعيشة شتاء إلى الطابق العلوي، والمهيأ بالشرفات الواسعة والنوافذ الكبيرة والمجهزة أصلاً لقضاء سكان المنزل التقليدي فصل الصيف بها. وحتى في المنازل المتواضعة كان بها بالسطح العلوي غرفة واحدة صيفية تفي بهذا الغرض، فالانتقال في هذه الحالة رأساً من أسفل إلى أعلى مع تغير الفصول. وكما لاحظ «كولزوجاكسون» فقد تدهورت هذه الهجرة الرأسية كثيراً الآن مع تدهور العمران التقليدي ، وبعد غزو أجهزة تكييف الهواء الحديثة للمباني. وجدير بالذكر أنه في حالة وجود «البارجيل» في المنزل

التقليدي تكون حركة الانتقال الرأسي هذه محدودة نوعاً ما؛ لأن البارجيل يقوم بوظيفة تحديد اتجاه الهواء والتهوية الرأسية من أعلى إلى أسفل المبنى. يلاحظ كذلك أن هذه الحركة الرأسية لم تكن عامة أو مطلقة، بمعنى أن المنزل التقليدي إذا كان مزدحماً بسكانه، بمعنى ارتفاع درجة التزاحم (Growdding)، أدى ذلك إلى تقليص هذه الحركة الرأسية (١).

أما النوع الثاني من الهجرة فهو الأهم، ونعني به انتقال السكان من منازلهم الشتوية التقليدية «الثابتة» والدائمة إلى منازل المصيف الأقل ثباتاً وأقل دواماً. وكانت منازل الصيف تقام عادة في بعض الأحيان على مسافة غير بعيدة من مساكن الصيف في أماكن خلوية وفسيحة، تشغلها بساتين النخيل وغيره من المزروعات، وقريباً من مصادر المياه، وبعيدة نوعاً ما عن مناطق الازدحام والاكتظاظ بالمدن، وفي حالات أخرى تكون مساكن الصيف هذه بعيدة عن المساكن الشتوية والمقار الدائمة للسكان، وعادة ما تكون خارج الإمارة نفسها. وعلى ذلك فإنّ السكان في الإمارات كانوا ينقسمون في فصل الصيف ثلاثة أقسام: القسم الأول يبقى في مساكن الشتاء، ويتغلبون على حرارة الصيف بالوسائل المناسبة التي توجد في مساكنهم كالبراجيل، أو يستفيدون ببعض أجزاء المنزل التي تلطف الهواء، مثل الليوان والأروقة المفتوحة على الفناء.

أما الفئة الثانية فهي التي كانت تنتقل انتقالاً جزئياً من قلب المناطق السكنية إلى الضواحي والهوامش الحضرية لبناء مساكن الصيف الخفيفة وأهمها العريش.

---

(١) Coles, A. & Jackson, Windtower in Dubai, 1976. PP. 12- 13.

والفئة الثالثة ترحل بعيداً إلى أماكن جبلية أو زراعية بها الحدائق والزروع والنخيل خاصة، وهذه الأخيرة هي الأهم ويرحل السكان إما إلى مناطق يمتلكونها هم أنفسهم، أو إلى مناطق تخص ذويهم وأقاربهم وأصدقائهم. وقد ساعد على ذلك أن بعض الإمارات تقع في أكثر من مكان، كما هي الحال في الشارقة، التي لها عوضاً عن جبهتها على الخليج العربي جبهة أخرى على خليج عمان، فكان سكان الشارقة يرحلون من المدينة صيفاً إلى كلبا أو خورفكان أو غيرهما من مناطق الساحل الشرقي التابع لإمارتي الشارقة، والفجيرة، وذلك لقضاء فصل الصيف، وتطول إقامتهم أحياناً إلى ثلاثة أو أربعة أشهر.

وفي بعض الإمارات كان يطلق على حركة الانتقال الفصلي هذه اسم «الحضارة» وبخاصة عند انتقال سكان المدن الشمالية إلى واحات العين وليوا وسهل الباطنة وإلى رؤوس الجبال وإلى مناطق رأس الخيمة الداخلية. وكان السكان في الماضي يصلون إلى هذه المناطق صيفاً على ظهور الجمال، ويجمع الطريق أكثر من أهل منزل واحد. ومن التقاليد المرعية أنهم كانوا إذا وصلوا إلى أماكن المصيف ليلاً لا يدخلون حتى يحل الصباح، وأحياناً كان يطلق على المدة التي يهاجرون فيها تعبير «التحوال» إشارة إلى التحول باتجاه فصل الصيف.

وبحسب الوصف السابق كان للعديد من الأسر سكنان أو مقران، مقر شتوي، ومقر أو سكن صيفي، وعادة ما كان الأخير يتصف بأنه مؤقت (Temporary)، وكان المسكن الصيفي عادة من نوع العشش من طراز العريش. ومن أمثلة المناطق التي كانت تبنى فيها هذه المساكن الصيفية المؤقتة في أطراف المدن، غير بعيد عنها، هي مناطق البراحة وأبو هيل والجميرة في مدينة دبي، أما المناطق البعيدة الداخلية، فكان منها مناطق

هيلي والجاهلي في مدينة العين، ومن المناطق الأخرى محصنة وشعم وخضب وحتا والمنامة ومصفوت ودبا وكلبا وصعره وخت وإذن وشمل والعريبي والحديبة وغيرها (١). وكان بعض الأسر من ميسوري الحال يهرعون إلى منطقة ساحل الباطنة بالمنطقة الشرقية، ويقيمون هناك في مساكن خاصة بهم يستخدمونها في فصل الصيف، وعادة ما كانت إما مساكن «العريش» المصنوع أساساً من منتجات النخيل أو في مساكن ثابتة نوعاً.

والملاحظ على هذه الهجرة - على غير المعتاد - أنها من مناطق ساحلية إلى مناطق داخلية، إلى مناطق واحات كالعين وغيرها، أو إلى مناطق جبلية كمناطق مسافي وغيرها، وذلك هرباً من ارتفاع نسبة الرطوبة المصحوبة بحرارة شديدة بالمناطق الساحلية، التي تجعل الإقامة بالسواحل صعبة.

وكانت هذه الهجرة الموسمية تتميز ببعض التخصص فيذكر تومنكسون (Tomkinson) قبائل المناصير والنعيم تذهب إلى العين، أما القواسم فيذهبون إلى نطاق ساحلي تابع لهم في ساحل الباطنة، أما قبائل العجمان فكانت لهم مناطق جبلية باردة يذهبون إليها في الجيب الجبلي في مصفوط. ولا يزال بعض السكان من القدامى خاصة يمارسون هذا الخروج الصيفي (Rural exodus) سنوياً، ويتركون منازلهم المكيفة الهواء إلى مناطق صيفية مؤقتة منازلها من نوع العريش والباراستي (٢) . وإنْ كانت هذه الهجرة قد تقلصت كثيراً عنها في السابق بعد شيوع التكييف الصناعي، وزيادة التطور بالبلاد. وقد أثرت

---

(١) محمد راشد الجروان - رسالة إلى ولدي ١٩٨٥.

(٢) Tomkinson, M., The United Arab Emirates, London, 1975. P. 29.

هجرة البدو الموسمية أيضاً في العمران التقليدي وهي هجرة تحتمها طبيعة اقتصادهم الرعوي والبحث عن العشب والماء، وارتباط ذلك بأيام سقوط المطر، وبالتالي توزيع المراعي في الصحراء. وفي العادة تبدأ الحركة الشتوية من أواخر نوفمبر إلى شهر مارس والهجرة الصيفية أو هجرة العودة تبدأ من أوائل يونيو، وتترك فيها العشائر البدوية جوف الصحراء عائدة إلى منازلها الصيفية قرب الواحات ومراكز العيون والآبار. وهكذا فقد حددت حالة الانتقال الدائم نوع «السكن» للبدو، وهو دائماً من الأنواع الخفيفة سهلة التشييد، فكان بيت الشعر أو الخيمة أنسبها لسهولة إقامتها ويسر عملها من المواد المتاحة للبدو (١) ، وقد ورد وصف كامل لهذا النوع من السكن في هذه الدراسة.

هـ - المؤثرت الأجنبية في العمران التقليدي :

لعبت العلاقات بين السكان في دولة الإمارات وغيرهم ممن احتكوا بهم خارج البلاد في أثناء علاقاتهم التجارية دوراً مهماً في إدخال عناصر عمرانية خارجية على العمران التقليدي في الإمارات، وساعد على ذلك عدم وجود بعض المواد الخام اللازمة للبناء وأهمها الأخشاب؛ إذ إنّ الأنواع المحلية من الأنواع التي لا تصلح في معظمها للبناء وبخاصة لعمل الأسقف المتسعة المساحة في المساكن التقليدية، وعموماً فالأخشاب المحلية أقل جودة في نوعيتها من الأجنبية في هذا المجال. وجلب السكان أخشاب «الجندل» من الهند وشرقي أفريقيا وباكستان وغيرها، ويطلق على هذه الأخشاب أسماء عديدة، وإنْ كان الشائع الجندل والكندل. كذلك جلبت أخشاب «الساج»، وهي الألواح العريضة نوعاً التي توضع

(١) شاكر خصباك - مجتمع يتغير - مرجع سابق - ص ٥٥٦.

فوق عوارض الجندل؛ ليستقر عليها سقف المنزل، وكانت هناك بعض أنواع خاصة من الأخشاب تستورد من «ممباسا» بشرق أفريقية، وكانت تستورد مادة بناء من جنوب العراق هي «الباسكيل» أو الباسجيل وقد شرحت أهميتها عند الحديث عن مواد البناء. وكانت بعض المواد اللازمة للبناء تستورد من إيطاليا لبعض المساكن المتميزة مثل الأعمدة المزخرفة، التي توجد في بعض المنازل التقليدية في حي البستكية في دبي. كذلك كانت تستورد بعض المواد اللاحمة والجص ومواد الطلاء من مناطق قرب مدينة لنجة على الساحل الإيراني المقابل (١) . وبالنسبة للأبواب الكبيرة فكان بعضها يجلب كاملاً من الهند، كذلك بعض العتبات والنوافذ الجاهزة والسواتر والحواجز (Screens) إضافة إلى ذلك كان كثير من الأثاث المستخدم في المساكن التقليدي يأتي من الخارج لاسيما السرر المصنوعة من خشب السيسم من باكستان والهند.

ولما كان النشاط البحري له دوره كقاعدة للعمران التقليدي كانت معظم أخشاب بناء السفن تستورد من الخارج، وبعضها من زنجبار، حيث أقامت عائلات عربية هناك منذ مدة طويلة، وارتبطت بسكان الإمارات في الماضي بوشائج قوية. ولم تنتقل السلع المادية فقط من هذه البلدان الأجنبية من الخارج.

ولكن الأهم من ذلك كان انتقال الأفكار والعادات والأساليب التي أُدخل بعضها على المساكن التقليدية في الإمارات، وأدى ذلك إلى تزاوج بين هذه الأساليب المستوردة والأساليب المحلية مما أغناها وجعل المسكن التقليدي أكثر ملاءمة للمعيشة، وأكثر إيفاء بالغرض منه. ولعلّ في أبراج

---

(١) Coles, A., & Jackson, P., Op. Cit., P.

الهواء المسماة «بالبراجيل» دليلاً على ذلك، وقد شاعت في العمران التقليدي في الإمارات سواء أكان في المساكن التقليدية الريفية أم الحضرية، وكان منها عدة طرز بحسب أهمية المبنى، وتدرجت من الأنواع البسيطة المتواضعة إلى الأنواع الفخمة والكبيرة المركبة في المساكن المتميزة والقصور، ويعد حي البستكية في مدينة دبي من أغناها بالبراجيل، وقد نقلت فكرة البرجيل أساساً من إيران وطبقت في مساكن الإمارات التقليدية على نطاق واسع، ولم ينتشر البرجيل في الإمارات فقط، بل في معظم الدول الخليجية ومنها البحرين، التي تأثرت بالبراجيل المستوحاة من فارس وبالزخارف والنقوش القادمة من إيران أيضاً وبلاد ما بين النهرين وغيرها (١) ومن المواد التي جُلبت من الخارج في مساكن الإمارات التقليدية وأثرت فيها الأعمدة الموشاة بالزخارف الجميلة، التي جرى جلبها من إيطاليا ودول أخرى، ولكنها كانت محدودة بالنسبة لتأثر العمران التقليدي بالدول القريبة وبخاصة دول المحيط الهندي كشرق أفريقيا والهند وإيران.

(١) إبراهيم عثمان - العمارة في البحرين - عالم البناء - العدد ٢٤- يوليو ١٩٨٢ ص ٣١.

الفصل الرابع

القاعدة الاقتصادية للعمران التقليدي

كما رأينا في تأثير الضوابط الطبيعية في العمران، من مناخ وتركيب جيولوجي ومظاهر سطح، فإنّ مواضع عديدة جذبت العمران لِمَا لها من خاصية وجود قاعدة اقتصادية يرتكن إليها. وقد اعتمد العمران في الإمارات العربية المتحدة تقليدياً وتاريخياً على قواعد اقتصادية محددة، لم تتغير إلاّ منذ عقدين من الزمان، حين دخلت على هذه القواعد الاقتصادية عناصر جديدة، مثل البترول. وأول هذه القواعد الاقتصادية البداوة والرعي الذي مثل أساساً مهماً للعمران في المنطقة منذ القدم، والمراعي ليست على مستوى واحد من الأهمية فهناك منطقة غنية نسبياً بمياهها هي منطقة السهل الحصوي الداخلي، مما شجع على احتراف بعض البدو للزراعة كنشاط مكمل، والثانية منطقة قاحلة كما في مناطق الختم والظفرة وبينونة، وهي فقيرة بمياهها الجوفية، وبنيانها الاقتصادي مما حصر نشاط القبائل في الرعي.

والحقيقة أنه في حالات كثيرة يجمع البدو بين الزراعة والرعي، وقد حمل ذلك «فينلون» – Fenelon على القول: إنه خلافاً لبقية جهات جزيرة العرب ليس هناك حدود واضحة بين البدو الرحل والسكان المستقرين في دولة الإمارات، وأن هناك كثيراً من التأرجح بين البداوة والاستقرار، وكثيراً ما تقضي القبائل البدوية جزءاً من العام فقط في الصحراء في رعي حيواناتها (١). وقد قدم الاقتصاد الرعوي الحيوانات بأنواعها

---

(١) أ – شاكر خصباك – ص ص ٥٥٣ – ٥٤.
ب – Fenelon, K. G., The United Arab Emirates, An Economic & Social Survey, London, 1973. P. 84.

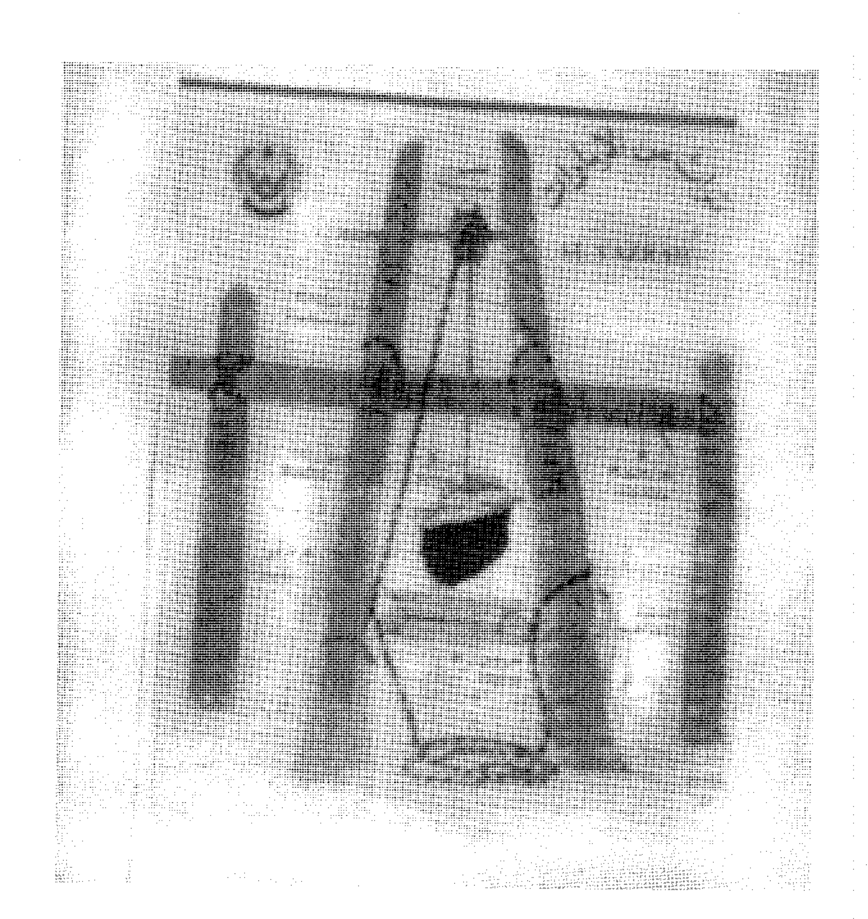
وبخاصة الجمال والماعز والغنم ومنتجاتها، كان الجمل دائماً أحد أعمدة الحياة البدوية كما يذكر Jubbar وساد في المنطقة الجمل ذو السنام الواحد (Camelus drome darius)، وله فصائل عديدة، ويُنسب للعرب الريادة في استئناسه - راجع Jubbar ص٢٠٩. إضافة إلى حرف ثانوية كالزراعة وجمع الأحطاب وأحياناً العمل بالتجارة والغوص.

أما الزراعة كأساس اقتصادي للعمران، فقد تركزت في مناطق بعينها تناسب ذلك النشاط، وحتى اليوم تتفاوت أهمية نشاط الزراعة من إمارة لأخرى. وأهم المناشط الزراعية توجد في رأس الخيمة والفجيرة ومنطقة العين والشارقة. وتوافر الماء هو العنصر المهم المحدد لأهمية المناطق الزراعية في الإمارات منذ القدم، وكان دائماً مثار خلاف بين القبائل والسكان، مما أوجد ضرورة لتنظيم توزيع الماء على الزرّاع بالتساوي، وابتداع السكان وسائل محلية للحصول على المياه وتوزيعها على المزارع، مثل اليازرة، وتوضحها الصور (من ٥ إلى ٨)، يُضاف إلى الأساسيين السابقين للعمران قاعدة اقتصادية ثالثة هي الصيد، ويشمل صيد اللؤلؤ وصيد السمك. و هو نشاط تقليدي قديم صاحب العمران التقليدي في الإمارات، ويرى بعضهم أن المحال القديمة الكثيرة على السواحل بالإمارات كان اعتمادها الرئيسي على صيد الأسماك (١).

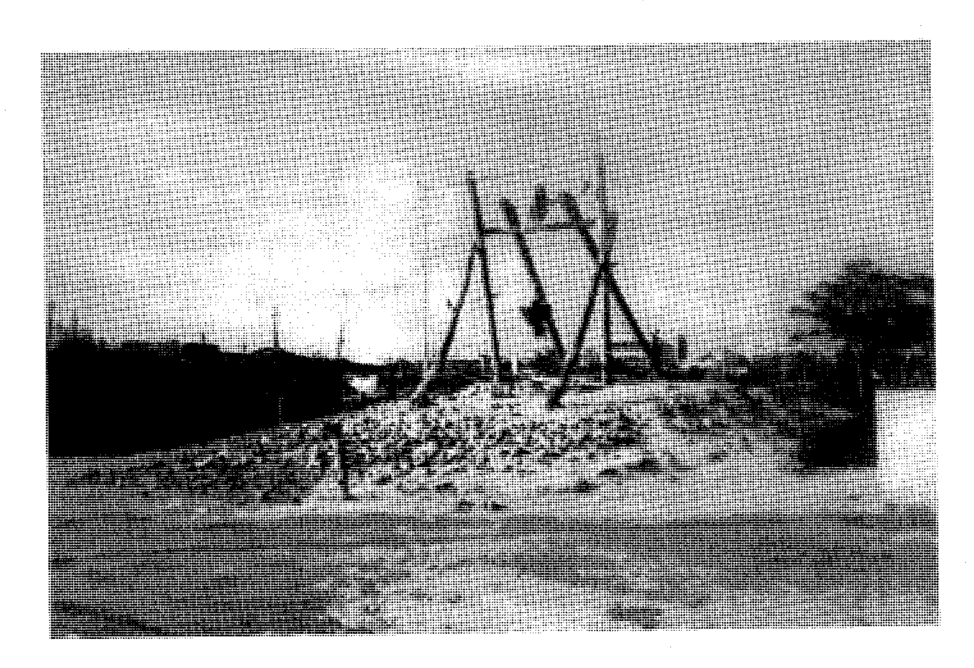
أما التجارة، وهي القاعدة الأخيرة، فكانت تقليداً في غاية الأهمية واعتمد عليها العمران كثيراً، ويُعد هذا النشاط أكبر مؤثر في النمط والشكل العمراني الذي وضح في الإمارات، وعن طريق التجارة

---

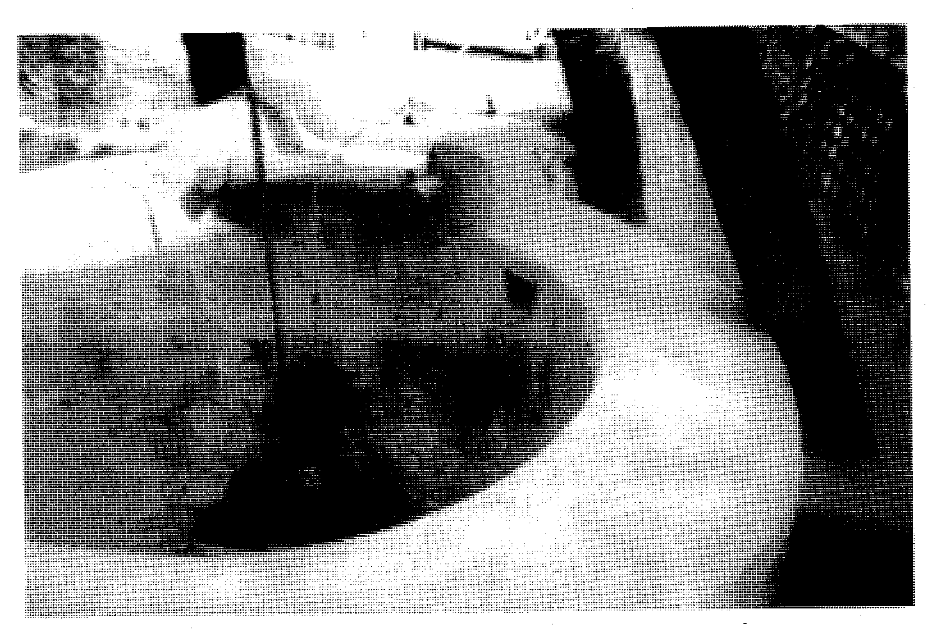
(١) Kay, S., Op. Cit. Several pages.



صورة/٥ اليارزة مكوناتها وتركيبها



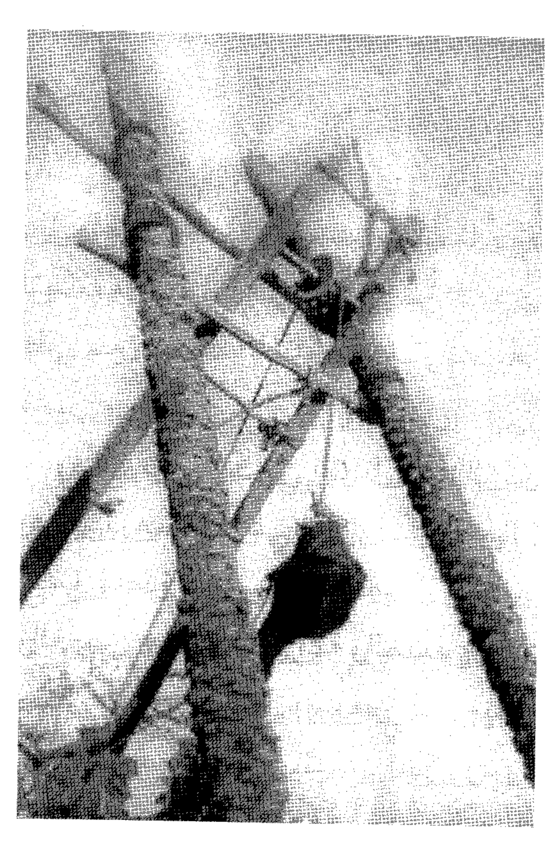
صورة /٦ اليارزة - منظر عام



صورة /٧ بئر اليارزة - ومنه يتم الحصول على الماء

نقلت مواد عديدة للبناء والغذاء، ونقلت الأفكار والسلع التي وضحت حتى اليوم في المحال العمرانية.

أما إذا تناولنا هذه القواعد الاقتصادية للعمران في دولة الإمارات العربية المتحدة بشيء من التفصيل فإننا نجد:



صورة/ ٨ الجزء العلوي من اليارزة

بالنسبة للزراعة والرعي، كانت الفكرة السائدة عند علماء الزراعة والآثار أن أساس العمران في منطقة الدراسة وغيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية كان يعتمد أساساً على غير الزراعة، وأن الاقتصاد السائد كان رعوياً أو صيد الأسماك، ويترتب على ذلك إعادة النظر في تاريخ الزراعة في المنطقة (١) ، ولا يمنع هذا من القول إن الرعي أساس اقتصادي للعمران في المنطقة منذ القدم، وقد كانت القبائل البدوية في الماضي على عدة أنواع منها المرتحل طوال العام في أعماق الصحاري، ولذا كان الجمل ذا أهمية خاصة لهم، ومن هؤلاء العوامر والمناصير، وبعض فروع النعيم، ولذا سكن هؤلاء أساساً بيوت الشعر التي مثلت

(١) راجع موضوع الجغرافيا التاريخية للعمران.

عمرانهم التقليدي لإمكان نقلها من مكان لآخر مع الانتقال المستمر. وكان هناك بعض القبائل التي يعتمد اقتصادها على الانتقال الفصلي بين أعالي الجبال والسهول المجاورة والمناطق الأقل ارتفاعاً. وتكون منازلهم على الجبال صيفاً وفي السهول شتاء، وهؤلاء يعد الماعز حيوانهم الأثير؛ لتمكنه من التنقل على المناطق الجبلية، وفي مناطق السهول المنخفضة، على حين كانت الأغنام والأبقار ثانوية. كذلك كان لهم منازل في كل فصل.

وهناك نوع ثالث من القبائل شبه الرحل تجمع بين البداوة والاستقرار، وهم أكثرهم عدداً في الإمارات. ويلاحظ أن الأساس الاقتصادي لهؤلاء يجمع قاعدة عريضة من الأعمال بدءاً بالرعي والجمع وانتهاء بالتجارة والغوص، مروراً بالزراعة والصيد. وكان لهؤلاء وشائج اقتصادية مع سكان المدن بالساحل، يبيعون لهم منتجات الرعي والزراعة، ويعودون بمتطلبات حياتهم من منتجات المدن، ومن هؤلاء بني قتب والعوامر وبعض فروع النعيم وقبائل أخرى (١). وعلى ذلك كانت أغلب القبائل تكفي حاجتها من إنتاجها الرعوي أو الزراعي، وترحل بالباقي لبيعه في أسواق المدن، وهو ما يمثل دعامة اقتصادية لها. وكان البلح بوجه خاص أساس الغذاء والاقتصاد أيضاً فهو كما يسميه (Miles) خبز السكان (The bread of people) . ومعظمه يمكن حفظه لشهور طويلة وربما لسنوات (٢) ، ومن النخيل كانت معظم المنازل التقليدية، حتى بالنسبة للقبائل المرتحلة دائماً ؛ إذ تعود بعض هذه القبائل على اتخاذ مساكن ثابتة لهم في أطراف الواحات.

وقد تحايل السكان من الزراع على ظروف البيئة، وابتدعوا وسائل

(١) شاكر خصباك – ص ٥٤٩ – ٥٥٠.

(٢) Miles, S., Op.Cit., P. 395.

وأدوات تناسب ظروفها، فاعتمدوا على وسائل بدائية مثل الشادوف (الغرافة)، «والجازرة»، وكانت اليازرة أداة رئيسة في ري المزروعات وبخاصة النخيل، وعملت عمل ماكينات الري الحديثة؛ وكان لكل زراعة يازرة خاصة بها، وكانت تُصنع من سيقان النخل نفسه(*) . وتدار بوساطة الثيران. وكانت أهم المزروعات النخيل والجت (البرسيم) وبعض الخضراوات القليلة (١).

ولمّا كان المطر لا يفي بحاجة الزراعات التقليدية فقد اتجهت الزراعة والعمران للاعتماد على المياه الجوفية بصورها المتعددة من عيون وينابيع ووديان وأفلاج، ومن بين هذه تبرز الأفلاج كظاهرة فريدة في المنطقة توضح أفكار الماضي، وتمثل أساساً اقتصادياً مهماً للعمران الذي انجذب دائماً إلى قرب هذه الأفلاج، وهي مجاري مائية محفورة صناعياً من عمل الإنسان، تمتد أفقياً في الطبقات الصخرية الحاملة للماء الباطن، ويكون امتدادها بميل خفيف يساعد على انحدار الماء فيها، وفيها تتجمع المياه الباطنية بطريق التسرب، ثم تنحدر في الفلج نحو نهايته، حيث توجد الأراضي الزراعية المراد ريها(٢)، وهذه قد تكون قصيرة بطول عدة أمتار أو طويلة (عدة كيلومترات) ومن أطولها أفلاج العين التي تقترب من ١٠ كيلومترات. ويجري حساب دقيق لتوزيع المياه على المستفيدين وري- المزارع (الزرايب) ويرتبط ذلك بحركة النجوم ومسائل فلكية أخرى، ولعلّ في ذلك بعض الشبه مع نظام توزيع المياه من عيون وينابيع واحة سيوه في مصر(٣)، ويقسم الأهالي

(*) لمعرفة أجزاء اليازرة - راجع مجلة الفن والتراث الشعبي - العدد الأول - السنة الأولى - سنة ١٩٩٥- ص ص ٨٢- ٨٥.

(١) محمد رشيد الفيل - الدراسة المسحية مرجع سابق ص ص ٣٣٦ - ٣٤٠.

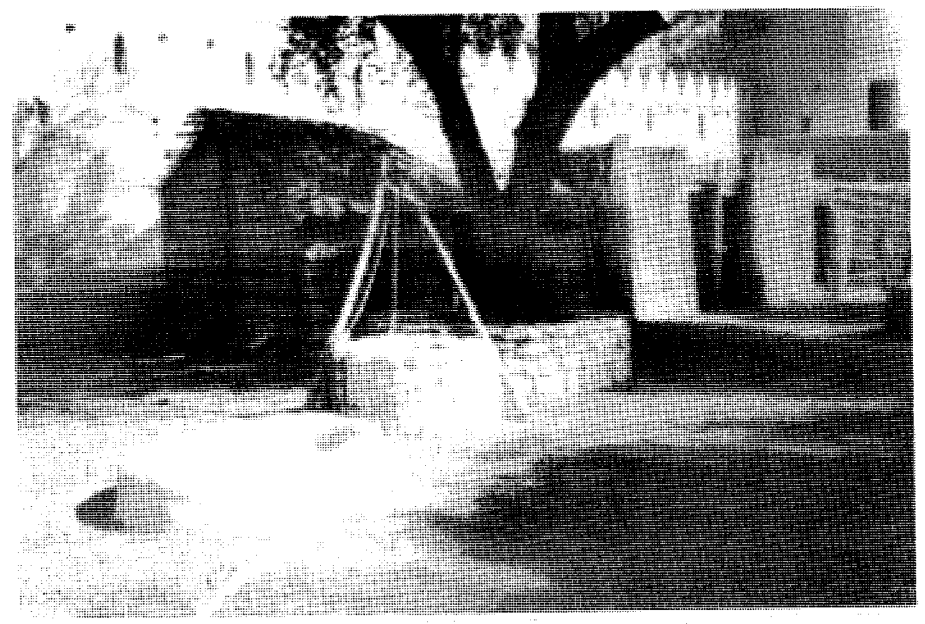
(٢) محمد متولي - الدراسة المسحية مرجع سابق ص ٢٠٣.

(٣) لاحظ الباحث ذلك في أثناء رحلات ميدانية له في سيوه سنة ١٩٦٩ - ١٩٧٨م.

الأفلاج إلى نوعين :

١- غيلي وإليه تنتمي معظم أفلاج الإمارات.

٢- داوودي وهو القـــديم ويربط السكان بينه وبين بعض الروايات والأســاطيـر ومن ذلك أن نبي الله سليـمـان سـخّر الجن في حـفـرها. والأفـلاج الغيلية ترتبط وتتأثر بكمية الأمطار السـاقطة، وتحـفر على طول مسـار الفلج عدة تثقيبات لتنظيفه تسمى (الثقبة) صـورة (٩). وفلج الذيد



صورة /٩ البئر أو الطوى وحوله بناء دائري وتشبهه الثقبة في ذلك

كان يروي في الماضي ٨٠ مزرعة، وبه ٣٦ ثقبة، وهو يتكون من فرعين (ساعدين) وساعد ثالث جرى طمره. ويسمّى الخبير بحفر الفلج وتنظيفه (باصـرا) والمختص بتوزيع مياهه (عريفا)، والأخير كان يحصل على أجره في صورة حصـة مائيـة من مياه الفلــج يستخدمها في الزراعة أو يبيـ ها (١).

(١) جريدة الاتحاد في ١٣/١/١٩٨٦م.

ويرى بعض الكتّاب أن الأفـــلاج نظام جلب من إيران من جبالها الشمالية (البرز) خاصة، التي عرفته في الألف الثانية ق.م، والكلمة سامية تعني التفرع والانقسام، ولابد عند حفره من حفر بئرٍ رئيسة تسمّى البئر الأم (Mother Well) قرب مقدمات الجبال، والوصول إلى عمق مستوى الماء، ويحفر بئر على بعد من الأول في الاتجاه الذي ستجري فيه المياه، ثم آخر وآخر وهكذا، ويجري ربط مستويات هذه الآبار بعضها بخندق، وهنا تكمن المهارة. وأطول أفلاج الإمارات في العين (حوالي ١٠ كم) (١) . وكان السكان قديماً يقومون بتدعيم الأفلاج بمزيد من الآبار المحفورة تدعيماً للعمران الزراعي التقليدي وجذباً للاستقرار، كما حدث في الماضي في فلج العين (الصاروج). ووحدة توزيع مياه الفلج تسمى (يادة) ومقدارها ١٢ ساعة و١/٤ يادة ٣ ساعات وتسمى (ربيع) ويقسم الربيع بدوره إلى ٦ أقسام (٢) ، وقد حل الآن محل العريف «التقليدي موظف يقوم بوظيفته القديمة بصورة حديثة».

وكان السكان المرتبطون بالأفلاج إما مستقرين في منازل تقليدية إلى جوارها، وإما في المدن وغيرها، ويستأجرون عمالاً يديرون مزارعهم ويقومون بالأعمال الزراعية وهؤلاء يسمون (البيادير)، وهم عمال مواطنون يأخذون أجرهم جزءاً من المحصول. كذلك كان يأتي إلى المزارع المرتبطة بالأفلاج عائلات الرجال الذين ذهبوا للغوص، فيقيمون بمساكن العشيش صيفاً مثل العريش وملحقاته، ويستأجرون بعض النخيل إذا لم يكن لهم مزارع. وكان البلح يرسل من المزارع إلى أبوظبي ودبي من واحات العين في رحلة بالقوافل تستغرق ١٤ يوماً ذهاباً وإياباً، ويُباع أيضاً جزء من

(١) Kay, S., Op. Cit.

(٢) جريدة الاتحاد في ٢٧/٢/١٩٨٦م.

المحصول «للحضار»، وهم العائلات المصطافة بين مزارع النخيل. وفي الشتاء تزرع مزارع النخيل بالحنطة والبر (القمح)، وكان البعض يحمل منتجات الألبان وصفائح السمن على المطايا لبيعها في أسواق دبي وأبوظبي والعودة بلوازم الزراع (١).

وفي مثل هذه المناطق الزراعية المستقرة كان يوجد السكن الدائم للزراع وهو عادة من الطين المتوافر في البيئة بالواحات أو من اللبن بعد صناعته وتجفيفه، وأحياناً من الأحجار، إذا كانت المناطق الزراعية قريبة من الجبال كما في المنطقة الشرقية.

ولم تمنع سيادة المناطق الجبلية في بعض أجزاء الإمارات من قيام نمط زراعي تقليدي هناك أثر في العمران بدوره، كما في الجزء الجبلي من إمارة رأس الخيمة، ونعني بذلك إنشاء السكان لأحواض صغيرة المساحة بين الجبال تقع متسلسلة في شكل مدرج بعضها فوق بعض لإنتاج الحبوب اعتماداً على المطر الساقط، مع عمل برك بجوارها لجمع الماء وحفظه، وقد هجر هذا النمط الآن بعد التطور الاقتصادي، وكانت هذه الأحواض التي تسمى محلياً (وعوب) تنتج نوعاً محلياً من القمح يفوق الأنواع الأجنبية كثيراً ، وأثر هذا النمط الزراعي في السكن، فكان السكان يهاجرون من مساكنهم الثابتة قرب الجبال إلى حيث توجد هذه الوعوب «لتنقيتها من النباتات البرية وخدمتها من أجل مزيد من الإنتاج، ويقدمون في شكل جماعي يطلق عليه (الحشيد)، وتستمر هذه العملية عشرة أيام، يعودون بعدها إلى منازلهم «الشتوية»، ثم يأتون مرة أخرى مع الحصّاد لجمع المحصول. وفي المرات التي يقدمون فيها إلى

(١) الاتحاد في ١٩٨٦/٢/٢٧م.

«الوعوب» يقيمون مساكن مؤقتة خفيفة، تختلف جذرياً عن مساكنهم الثابتة. ويسمى موسم الحصاد هذا (اليزيد) ويعمل الرجال والنساء والأطفال في هذه العملية، ولكل جماعة وعب خاص بها (١).

واعتمد الاقتصاد الزراعي أيضاً على منتجات الجبال من الفواكه المزروعة والبرية، وعلى خلايا النحل الجبلية المنتجة للعسل، وكان (المن) الواحد = ٤ كجم يُباع بحوالي روبيتين، وحالياً يصل ثمنه إلى ١٥٠٠ درهم، ولايزال بعض سكان الجبال يأتي بصورة عرضية إلى مواضع أسواق تقع عند تقاطع الطرق لبيع ذلك الناتج، كما هي الحال في السوق الواقعة عند مدخل مسافي على الطريق القادم من الذيد أو المنامة، وهو ما كان يمْثل دخلاً مهماً لسكان البادية والجبال في الماضي، وكان هناك علاقة بين زيادة محصول العسل ونوعيته وكثرة الأمطار؛ إذ إن ذلك مرتبط بالحياة النباتية والشجرية المعتمد عليها النحل في غذائه.

وقد أصاب الإهمال معظم جوانب ذلك الاقتصاد التقليدي المنتمي إلى الماضي وإضافة إلى العسل كانت الجبال عامرة بأشجار النقب والتين والميز والفواكه، وفيما بينها انتشرت مراكز العمران الريفي الكبيرة والصغيرة. ومعظم مساكن سكان الجبال كانت صخرية صغيرة المساحة بالصورة التي جرى شرحها عند الحديث عن مساكن الجبال، وكانت المناطق الزراعية التي تدعم هذه القرى ذات المساكن الصخرية صغيرة للغاية، ومن نوع الوعوب المشار إليها من قبل، وكان البناء والعناية بالوعوب وتشييد المساكن والقرى يتم بصورة تعاونية جماعية. وإلى جوار المساكن أنشئت دائماً مخازن صخرية لحفظ الناتج الزراعي.

---

(١) جريدة الاتحاد في ١٩/٢/١٩٨٦م.

وجرت العادة أن بعض الزراع يجمع الأحطاب والأغصان الشجرية وبخاصة من شجرة السمر، ويبيعها في المدن في أثناء رحلته لبيع محاصيل الجبال، أو يحول هذه الأحطاب إلى (سخام)، وهو الفحم، ويبيعه كوقود في المدينة وهو من مصادر الدخل الإضافية؛ إذ يتيح له ثمنها العودة بالتموين الغذائي من أسماك وأرز وقهوة (بن) وبهارات (١) وكان للمنطقة الشرقية من الإمارات خاصة شهرة في زراعة (الغليون)؛ أي التبغ وذلك في سهول المنيعي والحويلات ووادي قور ووادي العسيلي ووادي ريما وغيرها. و كانت له حوالي ٤٠٠ مزرعة في المنطقة الشرقية، وله زراعة تقليدية كانت تعد قاعدة اقتصادية مهمة للعمران؛ إذ يزرع أولاً في أحواض صغيرة بكثافة كبيرة ثم ينقل إلى الأرض الزراعية المعدة له بعد ذلك (كما في طريقة شتل الأرز)، ويستغرق موسم زراعته من ٥ - ٧ أشهر، واعتمدت زراعته على الأفلاج، وكان المطر الشديد يضربه، ويحتاج إلى مجهود كبير كان السكان يتعاونون فيه وبخاصة زراعته ونقله إلى الأرض المعدة لإنتاجه بعد ذلك، ثم تسميده بسماد الجاشع (العوم)، وهو سماد من السردين والأسماك المجففة، وكان الزراع يجلبونه من الجميرة في دبي ومن رأس الخيمة وعمان، وينقلونه على الإبل، وكان التجار يأتون إلى مناطقه - ويستقرون في مدينة كلبا أساساً - من البحرين والسعودية بالسفن كل عام ليحصلوا على الغليون، ويقرضون الزراع استعداداً للموسم القادم (٢) . وكان حصاده يرتبط بنمط عمراني معين؛ إذ في هذا الموسم، يقيم الزراع بعض العشش، وهي مساكن مؤقتة. وعششاً واسعة، مخصصة لصف أوراق التبغ (الغليون)،

---

(١) جريدة الاتحاد في ١٨/٩/١٩٦٨م.

(٢) جريدة الاتحاد في ١٩/١٢/٨٥.

وتوضع في شكل «حزم» وتجفف. ويرتبط الموسم برواج كبير وحركة وعمران يتجدد من عام إلى عام؛ لوجود التجار الذين يستأجر بعضهم مساكن في الساحل، يقيمون فيها أحياناً أسابيع طويلة، حتى يتموا الصفقات قبل رحيلهم إلى بلادهم

وقد ظلت زراعة الغليون مهمة حتى وقت قريب؛ فتشير إحصاءات سنة ١٩٧٣ إلى أن مجموع أراضي التبغ (الغليون) كانت مساحتها ٤١٠٠ دونم، وزراعته بذلك تأتي في المرتبة الرابعة من حيث استخدامات الأرض المنتجة في هذه السنة بعد النخيل والخضروات والجت [البرسيم](١).

وقد ارتبط نمط المساكن التقليدية الثابتة عموماً بالأساس الاقتصادي الزراعي، وكانت معظم المساكن من الطين واللبن ومنتجات النخيل المتوافرة في البيئة وأحياناً معتمدة على بعض الأخشاب، والأخشاب المصنّعة المستوردة من الخارج.

أما الصيد فله تاريخ طويل في الإمارات ساعد على ذلك الموقع على الخليج العربي وخليج عُمان، كذلك دفعت قلة الموارد الأرضية آنذاك إلى الاتجاه إلى البحر للاعتماد عليه، بل إن البحر كان له دوره سواء في العمران أو القاعدة الاقتصادية للعمران، فمنه استخرجوا الأحجار المرجانية للبناء وبعض المواد الطينية المستخدمة كملاط واعتمدوا في تسميد الأرض أيضاً وبخاصة المزروعة بالتبغ على سماد مستخرج من الأسماك المجففة. ويذكر «لوريمر» أهمية حرفة الصيد ويحصي عدد المراكب وعدد القائمين بالصيد في الخليج في أكثر من مناسبة (٢) ولا

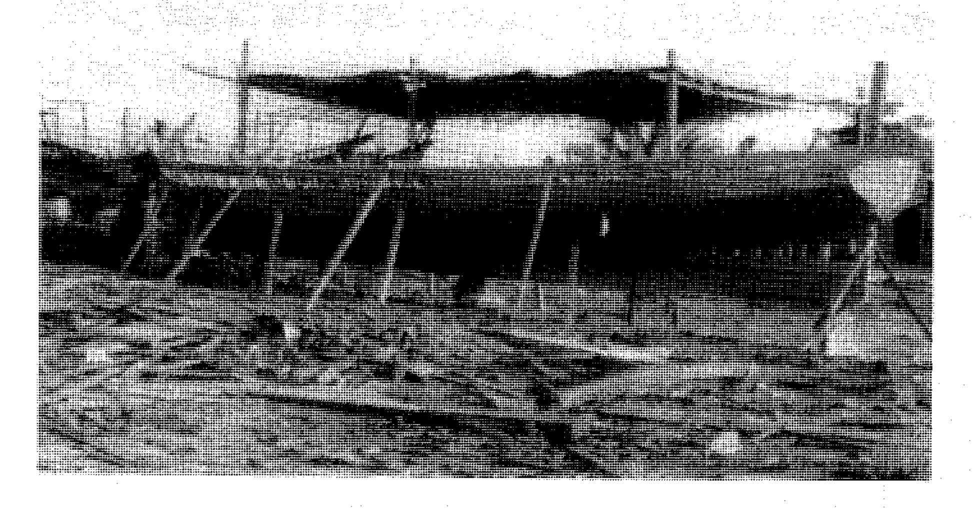
(١) محمد رشيد الفيل – الدراسة المسحية – مرجع سابق، ص ٣٤١.

(٢) لوريمر – القسم الجغرافي – صفحات متعددة.

نعدو الحقيقة إذا ذكرنا أن تركز السكان والعمران في المناطق الساحلية قد تأثر بحرفتي الصيد والتجارة، وكانت بعض القبائل الداخلية تأتي إلى الساحل في مواسم معينة للصيد كقبائل الشحوح في رأس الخيمة، وكذلك سكان واحة «ليوا» الذين ينزلون للساحل شتاء للصيد والغوص(١) وأدى ذلك إلى وجود مساكن مؤقتة للصيادين عند ساحل البحر معظمها من نوع العشيش. أما مساكنهم الدائمة فكانت حيث يقيمون بقية السنة إذ نظرت بعض القبائل الرعوية إلى الصيد على أنه نشاط ثانوي. على الرغم من ظهور البترول إلا أن جزءاً كبيراً من السكان لا يزال يعمل بالصيد يدل على ذلك أنه في بداية السبعينات كان يعمل به ما يقرب من ٧٠٠٠ صياد مواطن، وكان الإنتاج يزيد على أربعين ألف طن (٢). ولا شك أن الإنتاج كان يمكن أن يزيد عن ذلك لولا اتباع طرق الصيد التقليدية (٣). والصور (١٠-١٢) توضح صناعة القوارب التقليدية من الجريد. أما نشاط الغوص لصيد محارات اللؤلؤ فكان له آثاره الإيجابية

صورة ١٠ / صناعة القوارب التقليدية من الجريد

(١) محمد رشيد الفيل - مرجع سابق - ص ٣٧٥.
(٢) المرجع أعلاه ٢٧٥ - ١٣٧٧.
(٣) مانع سعيد العتيبة - اقتصاديات إمارة أبوظبي - ص ٤٦.



صورة ١١/ صناعة السفن من الخشب



صورة ١٢/ ميناء صيد صغير في منطقة ضدنة في الساحل الشرقي

على العمران التقليدي من عدة جوانب، فالثروة التي كان يجلبها ذلك النشاط (كانت تدعم العمران بدون شك، وقد عمل بهذا النشاط السكان كافة من الطوائف كافة، واندمج فيه حتى البدو، وأدى غياب الغواصين لمدة أكثر من ٣ شهور إلى هجرة فصلية أحياناً لذويهم بعيداً عن البحر، تاركين هناك منازلهم الشتوية الثابتة، بينما يتجهون إلى بناء مساكن (العشيش) في أثناء غياب أرباب العائلات في الغوص، التي يتركونها عائدين مع بداية عودة الرجال من رحلات الغوص. وقد أدى نشاط الغوص إلى ازدهار حرف متعددة تركزت في المدن الساحلية إضافة إلى حرفة التجارة النامية، وكذلك صناعة السفن وتجهيزها وإصلاحها، وكان من أغنى المغاصات وفرة باللؤلؤ المغاصات الواقعة بين قطر وأبوظبي. وكانت جزر مثل دلما وداس مراكز لتجمع سفن الغوص. وفي سنة ١٩١٢ أدى إلغاء دبي لضريبة الجمارك إلى تركيز تجارة اللؤلؤ بها وانتقل التجار إليها، وأصبحت لها الصدارة في تجارته [راجع فاطمة الصايغ ص ٣٢ - ٣٣]. وقدر عدد العاملين في نشاط الغوص في بداية القرن العشرين حوالي ٢٢ ألف شخص، واندمج فيه حتى البدو، وعمل في نشاط الغوص أكثر من حوالي ١٢١٥ قارباً. ويذكر «الفهيم» أنّ العدد الأكبر من قوارب صيد اللؤلؤ كان في أبوظبي من بين الإمارات المتصالحة في نهاية القرن ١٩. وكان أكبر أثر للغوص في العمران هو ما يجلبه من أموال كل عام، فظهرت المنازل المحكمة التي يمتلكها التجار في المدن التي نوقشت في موضوع العمران التقليدي الحضري. ومن آثار الغوص في العمران التقليدي أن هذا الأخير كان يتأثر بالهزات الاقتصادية التي تحيق بتجارة اللؤلؤ وتدهور حرفة الغوص، كما حدث في الثلاثينات من القرن الحالي إبان الكساد الاقتصادي العالمي حكم اللؤلؤ الاقتصاد في أواخر القرن ١٩ إلى سنة ١٩٢٨ مع بداية الكساد العالمي،

وأثّر في تركيب السكان، فكان للعرب التخصص في القتال والغوص وبناء السفن، وسيطر الإيرانيون على تجارة المؤن. بينما عمل البانيان (من الهند) كوكلاء لشركات أجنبية وتقديم القروض [راجع محمد مرسي عبدالله ص ص ١٤٥ - ١٤٧].

أما عن التجارة، فكما لاحظنا كان هناك نوع من التجارة الداخلية مدفوعة باختلاف الإنتاج بين مناطق الإمارات الداخلية والساحلية، وهذه كانت ذات صبغة محلية، ويمكن القول: إنها عملت على تأثر سكان المناطق الداخلية بسكان المناطق الساحلية، وانعكس ذلك على عمرانهم التقليدي بما استوردوه من مواد بناء، وأهمها الأخشاب والأبواب والنوافذ المصنّعة والجاهزة القادمة من الخارج وأيضاً الأثاث المنزلي (١) .

أما التجارة الخارجية فكانت نامية، ووصلت السفن التجارية بين موانىء الإمارات وبين الهند والبصرة والكويت وبوشهر (في إيران)، وتميزت موانىء خاصة بالنشاط كحركة التجارة النامية دوماً في خور دبي، وكانت دبي أهم الموانىء لوجود الخور، كذلك وصلت السفن إلى شرق أفريقيا، وكانت سفناً كبيرة حمولتها بين ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ طن. ويمكن القول: إن أثر التجارة في العمران التقليدي كان فائقاً ، ففضلاً عن نقل المواد والسلع التي دعمت ذلك العمران كالأخشاب بأنواعها والمواد الغذائية كان الأهم من ذلك نقل الأفكار والتأثيرات الأجنبية، التي لا نزال نلاحظها على العمران التقليدي في الإمارات، فنظام البناء بالحجر المرجاني مشابه له كثيراً ، في شرق أفريقيا (٢) . حيث توجد مساجد ومبانٍ كبيرة الحجم هناك مبنية من المادة نفسها، ومعظم أسقف

(١) لوريمر - دليل الخليج - الجزء الخاص. ص ٢٥٦٨.
(٢) يمكن تعرف بعض أسماء الأثاث المنزلي التقليدي في المثبت الخاص بالتعبيرات والمصطلحات الخاصة بالعمران التقليدي في نهاية هذا البحث.

المساكن التقليدية في الإمارات مسقوفة بالخشب (الجندل) القادم من زنجبار وبقية شرق أفريقيا والهند وباكستان وإيران، وقصب الباسكيل «الباسجيل» أيضاً، القادم من جنوب العراق. وجلبت التجارة تأثيرات فنية وزخرفية على المساكن أيضاً، تمثلت في النقوش والحفر على الأبواب والجدران من الداخل والسواتر (Screens) التي كان بعضها مستورداً وجاهزاً من الخارج. ولعلّ في نظام البارجيل «أو أبراج الهواء» دليل واضح على شيوع الأفكار العمرانية التي جلبتها التجارة؛ فهو أساساً طوّر في فارس (إيران) ونقل إلى مدن الإمارات. كذلك يرى بعضهم أنّ النمط العمراني التقليدي أو البيت الشتوي المسمّى في الإمارات (بالكرين) قد جلب من جزيرة زنجبار (١). كذلك جلبت من أجل البناء والعمران التقليدي مواد بناء جيدة، مثل الجص الإيراني الناصع البياض والقوي، الذي استخدم في بناء المنازل الساحلية لمقاومة الأمطار والعوامل الجوية الأخرى، وأهمها الرطوبة المرتفعة. وليس معنى ذلك أن العمران التقليدي المحلي قد لحق به زيف أو تغيير؛ فهذه المواد كانت أدوات تستخدم في استكمال الشكل العمراني الذي يلائم إنسان الإمارات، ويجعله قادراً على التواؤم مع أبعاد بيئته. وقد نشطت التجارة الداخلية والخارجية ونتج عن ذلك رواج الأسواق التي كان لها شكل تقليدي خاص، وكان أغلبها بحكم شدة الحرارة من الأسواق المسقوفة والمظللة كسوق الشارقة القديم صورة (١٣) وصورة (١٤، ١٥) لأسواق دبي القديمة. وصورة (١٦) لمحل تقليدي لبيع الأعشاب الطبية، وكانت تحل محل الصيدليات المعروفة حالياً ، وتقوم بوظيفتها (٢).

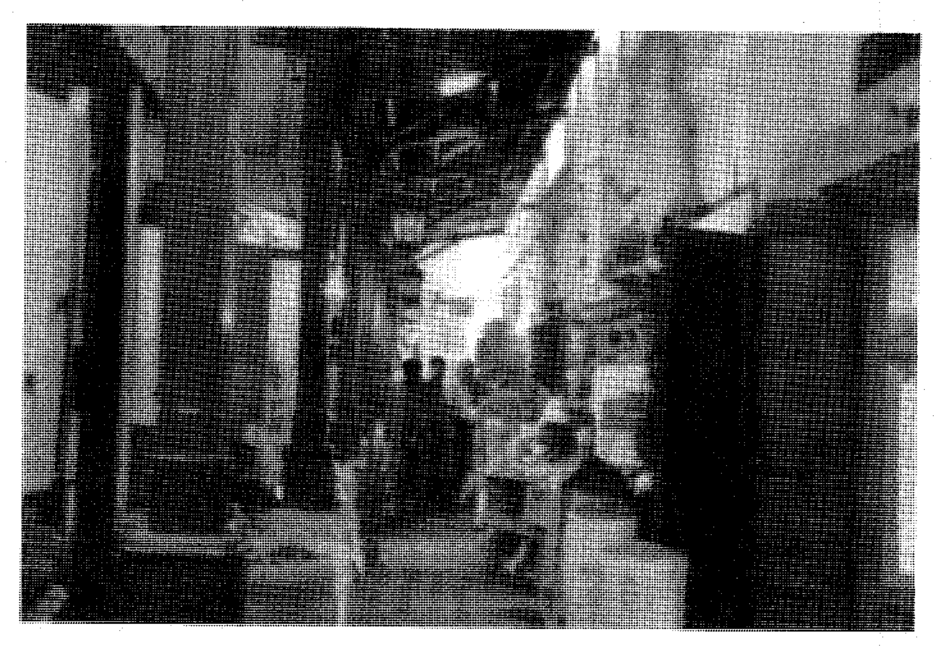
---

(١) Kays, S., Op. Cit.

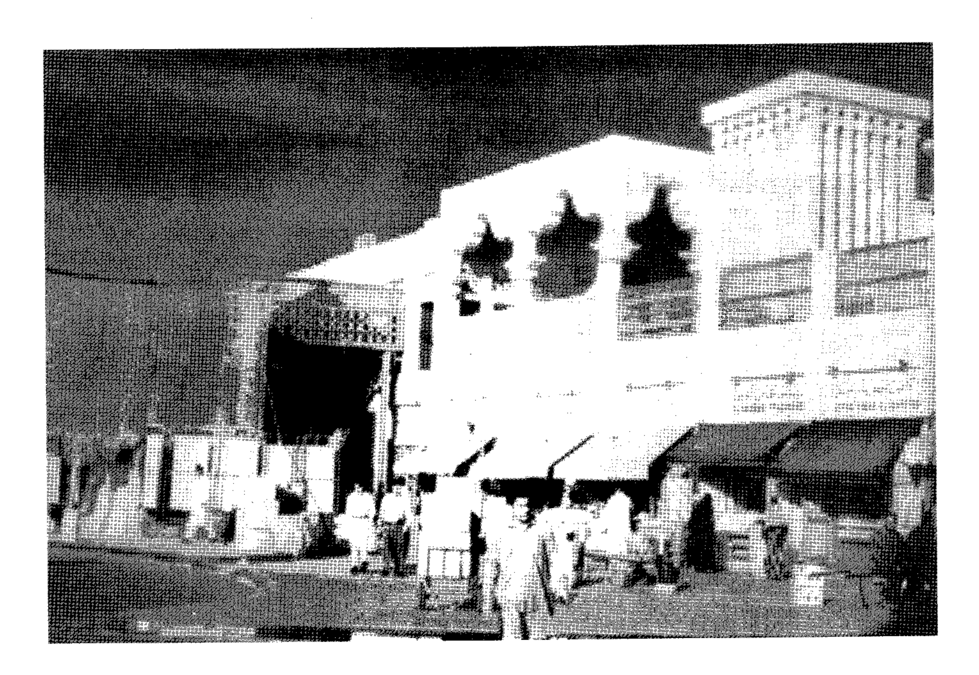
(٢) معلومات حصل عليها الباحث في أثناء الدراسة الميدانية.



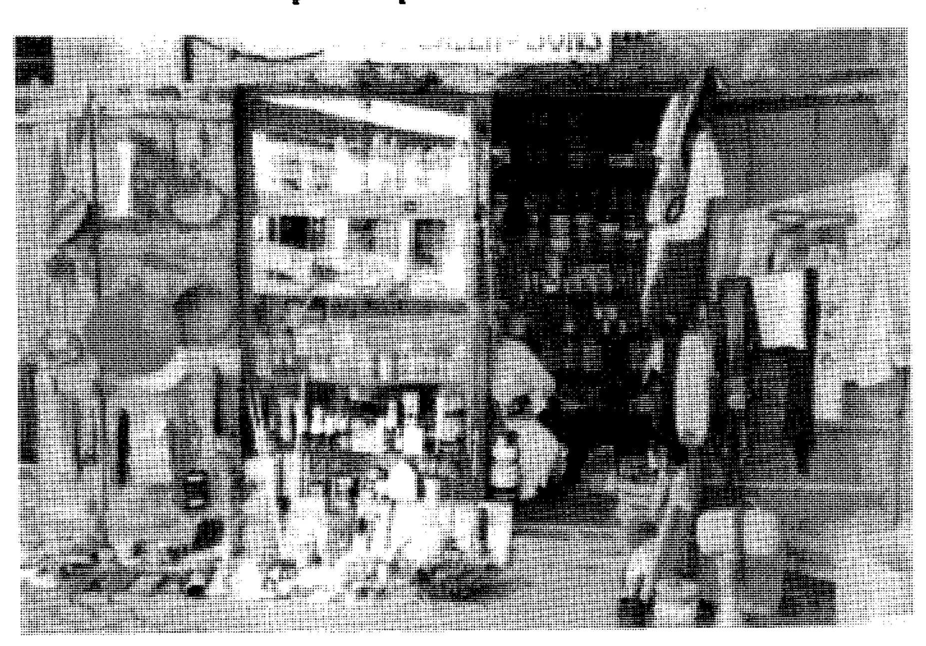
صوره ١٣/ نموذج لأسواق الشارقة القديمة



صورة ١٤/ نموذج لأسواق دبي القديمة في ديرة



صورة ١٥/ نموذج لأسواق دبي القديمة في الراس



صورة ١٦/ محل تقليدي لبيع الأغراض والأعشاب والعطارة

الفصل الخامس

مواد البناء الخاصة بالعمران التقليدي
في دولة الإمارات العربية المتحدة

مواد البناء التقليدية :

توافرت بعض هذه المواد محلياً، وكان عليها أن تقابل بعض خصائص الطبيعة وتوفر متطلبات البناء في الريف والمدن، وقد كان بعض هذه المواد يتوافر محلياً، وبعضها يجلب من الخارج، وقد لعب التنوع الجغرافي دوره في اختلاف مواد البناء المستخدمة، وبصفة عامة كانت مواد البناء عاكسة لتفاعل إنسان الإمارات مع بيئته. وأهم المواد المستخدمة في البناء التقليدي ما يأتي:

١- الطين واللبن :

وهي مادة من أقدم مواد البناء في العالم، ومنه شيدت مبانٍ في مناطق الحضارات القديمة منذ آلاف السنين في مصر والعراق وغيرهما من مناطق الحضارات في العالم، ولايزال اللبن يستخدم حتى اليوم في بعض الدول المتقدمة، كما هي الحال في ولاية نيومكسيكو في الولايات المتحدة الأمريكية، ونرى اليوم مباني من اللبن ترتفع عدة طوابق، قد تصل إلى ٥ - ٦ طوابق، وهي تقوم بوظيفتها بصورة تامة (١). ويشيع استخدام الطين واللبن في مباني الإمارات الريفية والحضرية التقليدية، ويسمّى محلياً

(١) Agrwal, A., Op. Cit., P. 7 & 69.

مـــدر. ويجلب الطين من قـيـعـان الأودية القـريبـة، وأحـيـاناً من سـواحل البـحـار وجـوانب الأخـوار. ويخلط الطين بالماء والتبن لـزيادة قـوة تمـاسكه حتى يصبح ذا كثافة معينة. ويترك يوماً أو نصف يوم، ويشكل في قوالب خشـبية ليصبح لبناً، ويرش بالماء عدة مرات وهو تحت أشـعة الشـمس، حتى لا يتشـقق، وفي أحيان قليلة يجري حرقه إذا كان صاحب المنزل من المقـتـدرين، وفي بعض الأحـيـان يسـتـخـدم الطين نفـسـه كـمـلاط أو مـادة لاحمة، وللتكسية أيضاً، وفي هذه الحـالة يسمـى «الليط»، وهذا هو الطين المحلي البني اللون المسـتـخـرج من المناطق السـبـخـة. وهـنـاك بعض أنواع يؤتى بهـا من الخـارج من إيران ويدعـى طين «بلـوغـار» (١). وقـد ابتـدع السكان عدة طرق لجعل الطين يقاوم الأمطار والرطوبة عن طريق تكسية اللبن بطبقة من خليط مقاوم للعوامل الجوية، وكذلك تغطية الأسقف بالمدر والصـاروج، وهي مادة يدخل فيها روث الحيوان، التي تجعله مقاوماً لفعل الأمطار والعوامل الجوية (٢) مثل الرطوبة أكثر أعداء الطين.

٢- الأحجار والصخور :

وتنقـسـم إلى أحـجـار برية وبحـرية، أمـا الأولى فـتـجلب من المناطق الجبلية الموجـودة في الإمارات، سواء أكانت أحـجاراً نارية صلبـة، كما في جبال الحـجـر بالمنطقة الشرقية من الإمارات، أم أحـجاراً جيرية ورملية في الأماكن الجبلية الأخرى، وهي أسهل في تشكيلها واستغلالها من الأولى. والمسـاكن الحـجرية التقليدية شائعة لدى بعض القبائل الجبلية على وجه الخصوص مثل قبائل الحبوس والشحوح، وفي العديد من مناطق إمارتي

---

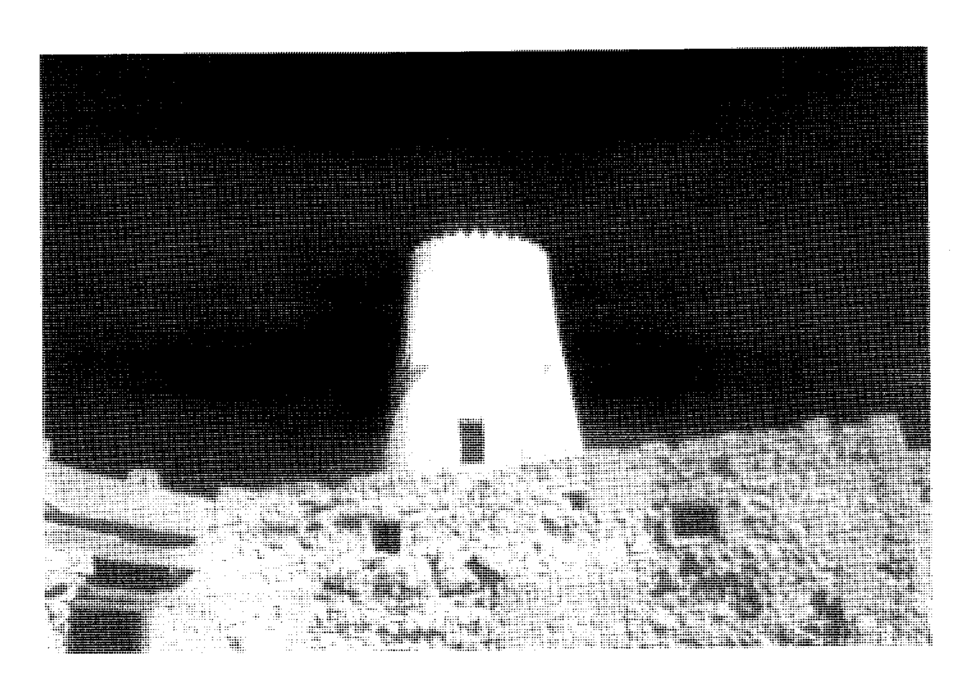
(١) عند الدراسة الميدانية للباحث.

(٢) McHenry, P. Op. Cit., P. VII.

الفجيرة ورأس الخيمة، وهذه المساكن الصخرية تكون عادة أصغر حجماً من المساكن التقليدية الطينية، بحكم عوائق المكان وقلة الأماكن المسطحة والصالحة للبناء في المناطق الجبلية. وإضافة إلى ذلك يستخدم الحجر كثيراً في ترميم المنازل المشيدة بمواد أخرى كالمساكن الطينية وعمل أساساتها من الأحجار، ويدخل الحجر أيضاً في أجزائها المتصلة بالأرض لمقاومة الرطوبة والعوامل الجوية. وأما النوع الثاني من الأحجار فهو شائع الاستخدام في المناطق الساحلية حيث يتم جلب بعض الصخور البحرية ويطلق عليها (الحصى) وجلب الأحجار المرجانية أيضاً (*) شائعة الاستخدام في السواحل، وذلك لخواصها المناسبة للبناء، ولاسيما ما يتصل بقدرتها على العزل الحراري لطبيعتها المسامية، وهي الوظيفة التي يقوم بها الطين في المناطق الداخلية، وبذلك فهذه المادة البحرية من مواد البناء تفضل المواد المستخدمة في الوقت الحاضر، ويندر أن نجد منزلاً في منطقة ساحلية بالإمارات لم تستخدم هذه المادة في بنائه، ويشيع البناء بالحجر المرجاني بعض المناطق الساحلية التقليدية كما هي الحال في منطقة الشندغة في دبي وحي البستكية أيضاً. وتتشابه سواحل الإمارات في البناء بالحجر المرجاني مع سواحل أفريقيا الشرقية، التي يعد البناء بالحجر المرجاني فيها شائعاً في المناطق التي سكنها العرب تقليدياً هناك، حيث كان على تلك المساكن التي امتلكها التجار منذ القدم أن تفي بحاجة السكان وحاجات حرفة التجارة النامية، وتؤمن بكفاءة إيواء البضائع القيِّمة، التي تجيء بها

(*) يطلق على المرجان محلياً لفظ البيم (مفردها بيمة). راجع ريم المتولي سنة ١٩٩٧ - ص ٢٦

المراكب الموسمية، وكانت المساكن المشيدة بالحجر المرجاني هي الأنسب والأمثل دائما(١). ويطلق على الأحجار المرجانية اسم (Madrepore) (٢)، وصورة (١٧) توضح بعض نماذج البناء بالحجر المرجاني الذي كان له طريقة خاصة في وضع الأحجار بعضها فوق بعض، بحيث تكون منعكسة في اتجاهاتها، كما توضح ذلك الصورة، وعلاوة على ما تقدم تستخدم الصخور والأحجار في عمل أسس المباني التقليدية وفي عمل طراز السكن أيضاً المسمى بالخيام في المناطق الجبلية، ولاسيما في أجزائها السفلية وأرضية الخيمة.



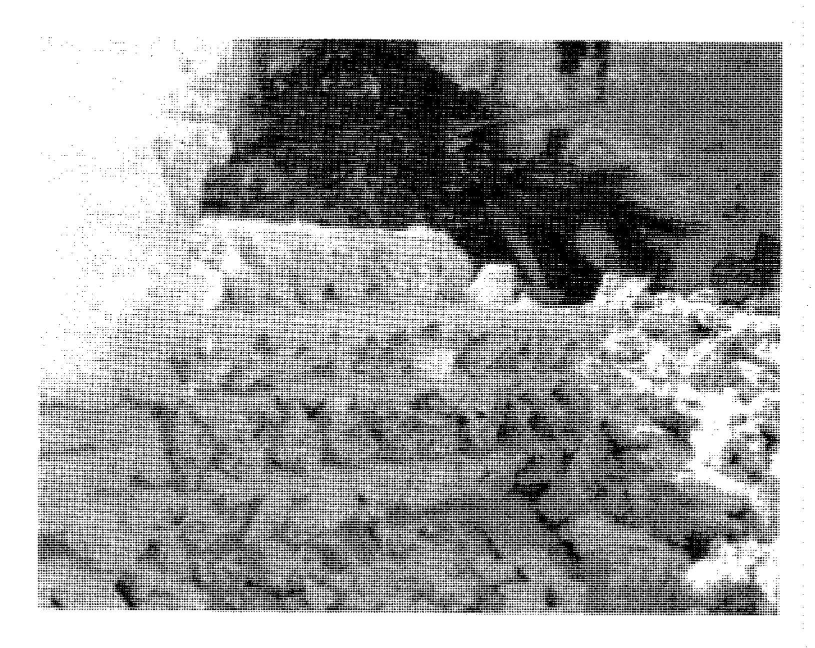
صورة ١٧/ طريقة البناء بالحجر المرجاني

(١) Denyer, S., oP. Cit., PP. 38 & 54.

(٢) Tamkinson, M., Op. Cit., P. 70- 2.

٣- الجـــص :

لــه أنــواع عديــدة، ويستخـــدم إمـــا كمــادة لاحمـــة (Mortar أو للتكسيـة (plaster، ويجري استخـراجه من أمـاكن خـاصـة بجـوانب الأخوار أو المناطق الجيرية بعد إزالة الطبقات الأخرى التي تعلوه أحياناً، وتكون عالقة به، ثم يوضع بعد ذلك في حفرة تسمى محرقة، ويشعل فيه النار مدة ٣ - ٤ أيام، ثم يستخرج من الحفرة، ويسحق ليصبح مسحوقاً كمادة لاصقة أو لاحمة لمواد البناء. وهناك أماكن خـاصة في كل إمارة توجد بها المادة الخام الصالحة لصناعة الجص، ويجري استيراد بعض أنواعه من الخـارج وبخاصة من إيران، كذلك تستخدم أحياناً مـادة يطلق عليها اسم «دهك»، مشتقة من الصخور البحرية المعالجة بالحرق بالنار. والصورة (١٨) توضح البناء بالحجر المرجاني والجص.



صورة ١٨/ البناء بالحجر المرجاني والجص

٤- الصاروج :

هذه المادة من المواد المهمة التقليدية التي جرى ابتداعها في مجتمع الإمارات، ولها أهميتها ليس في البناء فقط ولكن في حماية المبنى من العوامل الجوية. والصاروج نوع من الطين الأحمر المحلي المجلوب من أماكن عديدة، فيوجد في مناطق بإمارة رأس الخيمة وغيرها، وقد يجلب من إيران. ويتم خلط الطين النقي غير المختلط بالرمل بروث الأبقار والحيوانات الأخرى، ليصبح أشد مقاومة، وأكثر تماسكاً، وأقل نفاذية للماء، وهو أسلوب متبع في كثير من جهات أفريقية ذات طابع البناء التقليدي. ويتميز الصاروج أيضاً بقلة توصيله الحراري. وبعد خلط الطين والروث وبعد أن يصبح خليطاً لزجاً، يفرش على الأرض بسمك حوالي ٥ - ١٠ سم إلى أن يجف بوساطة أشعة الشمس، ثم يقطع ويوضع في حفرة في الأرض مع جمر النار ويغطى بالتراب لمنع تسرب الحرارة، وبعد ذلك يسحق الناتج، ويصبح في شكل مسحوق، ويستخدم كمادة لاصقة إذا خلط بعد ذلك بالماء، وهو شبيه بالأسمنت نفسه وبخاصة ما يتصل بخاصية الصاروج في ضعف توصيله الحراري، ومقاومته للماء، ولونه الطبيعي الأفتح، الذي يعكس أشعة الشمس. وقد أثبت الصاروج من خلال آلاف المباني المشيدة به في الإمارات تفاعله وملاءمته مع الظروف الطبيعية بالمنطقة.

٥- النورة :

مادة للتكسية، تستخرج من الحجر الجيري بطرق مشابهة لصناعة الجص، وتطلى بها الأسطح التي تعلو الأسقف، وذلك من أجل حمايتها من تأثير الأمطار، وعادة ما يجري صيانة الأسطح بها

سنوياً قبل مجيء فصل سقوط الأمطار تحسباً لآثارها المدمرة للمباني التقليدية.

٦- الأخشاب :

وهذه تشمل أنواعاً عديدة. ولما كانت البيئة المحلية لا تساعد على نمو أخشاب البناء المعروفة والطويلة نوعاً، فإنّ الاعتماد كان على جذوع النخيل ومنتجاته الأخرى من جريد (دعن) وخوص وليف. والحقيقة أن النخيل عنصر أساسي من عناصر البناء التقليدي تاريخياً، وأقدم الحفائر تدل على استخدامه في الأسقف للمحال العمرانية الأثرية، كما هي الحال في هيلي في شمال مدينة العين (١) . ولذا كانت لشجرة النخيل أهمية، سواء في الأساس الاقتصادي للعمران، بما تمد به من تمور، أو في البناء بالصورة التي سلف شرحها (*) . ومع نمو العلاقات التجارية مع الدول الأجنبية، وتردد السكان على هذه الدول، أصبح الخشب المستورد يصل من هذه البلاد، ويطلق عليه الجندل والشندل وهي العوارض الطويلة الأعمدة التي توضع كدعائم للسقف وترص على مسافات متساوية؛ لتدعيمه حيث يعلوها طبقات من (الدعن) وهو جريد النخيل وحصير من السعف وطبقات من «المدر» والطين، ولذا يعد «الجندل» عنصراً أساسياً في البناء التقليدي، وقد ظلت الأخشاب المستوردة سلعة مطلوبة باستمرار حتى عصر ما قبل البترول ولاتزال ولكن قل الاعتماد عليها الآن بعد شيوع الطرق الحديثة في البناء المتعدد

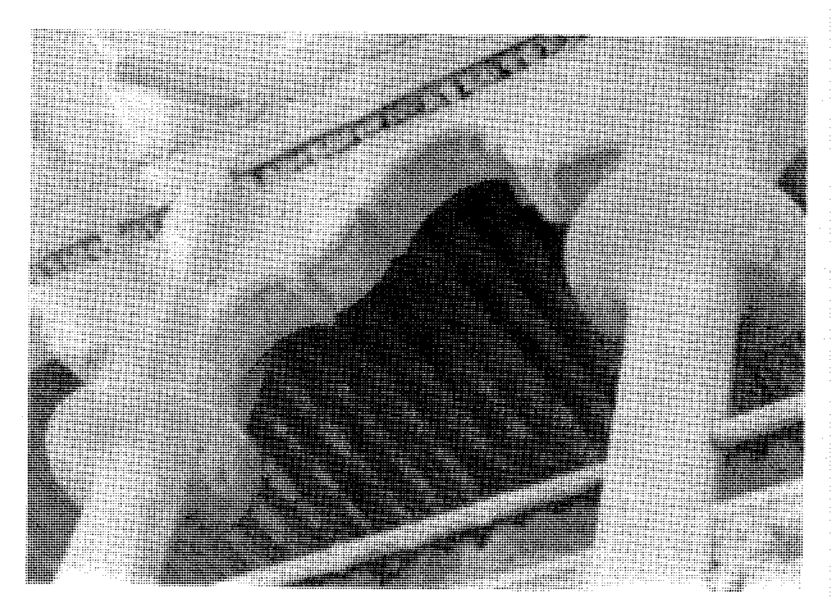
---

(١) Kay, S., Op. Cit., P.24

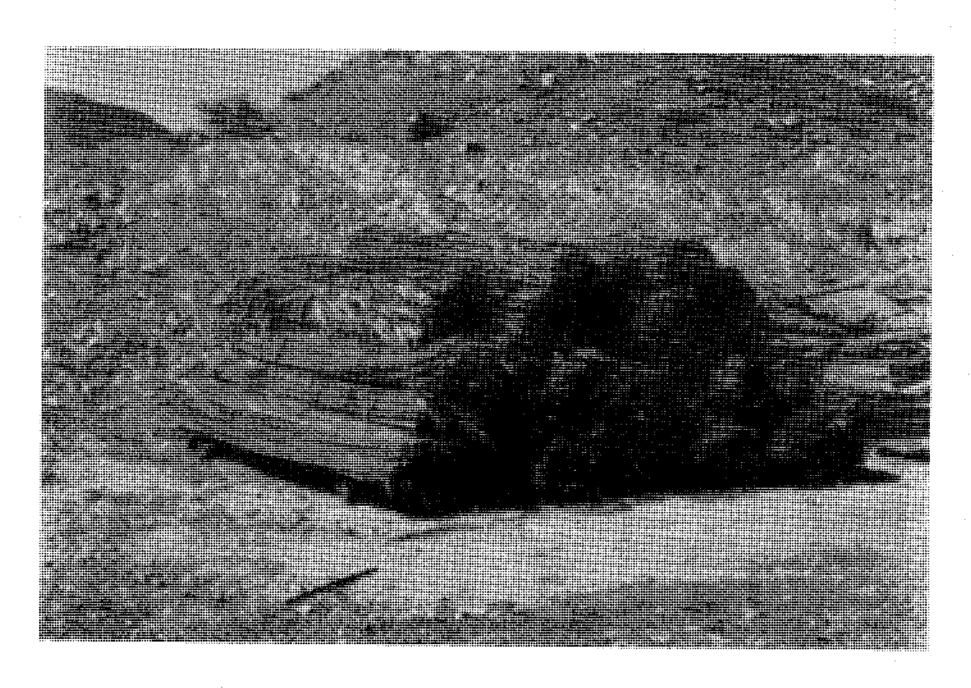
(*) يوجد في دولة الإمارات أكثر من ستين صنفاً من النخيل، ويخضع النخيل منذ قيام دولة الإمارات للعديد من البحوث والدراسات العلمية لتنميته - راجع مجلة الفن والتراث الشعبي - العدد الأول - السنة الأولى - ديسمبر ١٩٩٥ ص ص ١١١- ١١٦.

الطوابق، ويدخل في المواد الخشبية المستوردة نوع من البامبو، ويسمى (باسكيل - أو باسجيل) كان يرد من مناطق جنوب العراق، وتشق الواحدة من الباسكيل شريحتين، وذلك لتركيبها في الأسقف الخاصة بالمباني التقليدية، ولا تدخل الأخشاب المستوردة أساساً في المباني التقليدية إلاّ في الأسقف، وكدعائم للجدران وصناعة الأبواب، بينما تستخدم منتجات النخيل المحلية، وبخاصة (الدعن)، في مباني العشش الريفية والدعن هو الجريد المرصوص بعضه إلى جوار بعض لعمل الجدران في مباني مثل «العريش» والدعن نوعان: نوع مقصوص والآخر يبقى على حاله. ومن الأخشاب المحلية أيضاً المانجروف (*) وله أهميته في البناء التقلدي منذ القدم كمادة ضرورية ومهمة في البناء وأيضاً كأساس اقتصادي للعمران نظراً لوجود بعض الطيور التي تضع أعشاشها في أشجار المانجروف، كما أن أوراق الشجر تعد غذاء للحيوانات التي يمتلكها السكان وكان من المواد الأولية بعض الأخشاب المحلية أيضاً التي يطلق عليها محلياً (رايلة)، وتستخدم لتدعيم الأسقف. ويلاحظ أنه مع ندرة الأخشاب وندرة المواد المعدنية المتاحة أيضاً لدى السكان في المناطق المختلفة في الإمارات انهم ابتدعوا عمل «مرازيب»، وهي المجاري التي تركب في الأسطح لصرف مياه الأمطار، وقد صنعوها من أخشاب النخيل، وهي من أهم ملامح العمران التقليدي في الإمارات وصورة (١٩) توضح الحصير المصنوع من خوص النخيل، الذي يعلو أخشاب الجندل الحاملة له، وصورة (٢٠) توضح الدعن المصنوع من جريد النخيل، كما أن صورة (٢١) توضح استخدام الأخشاب والنخيل

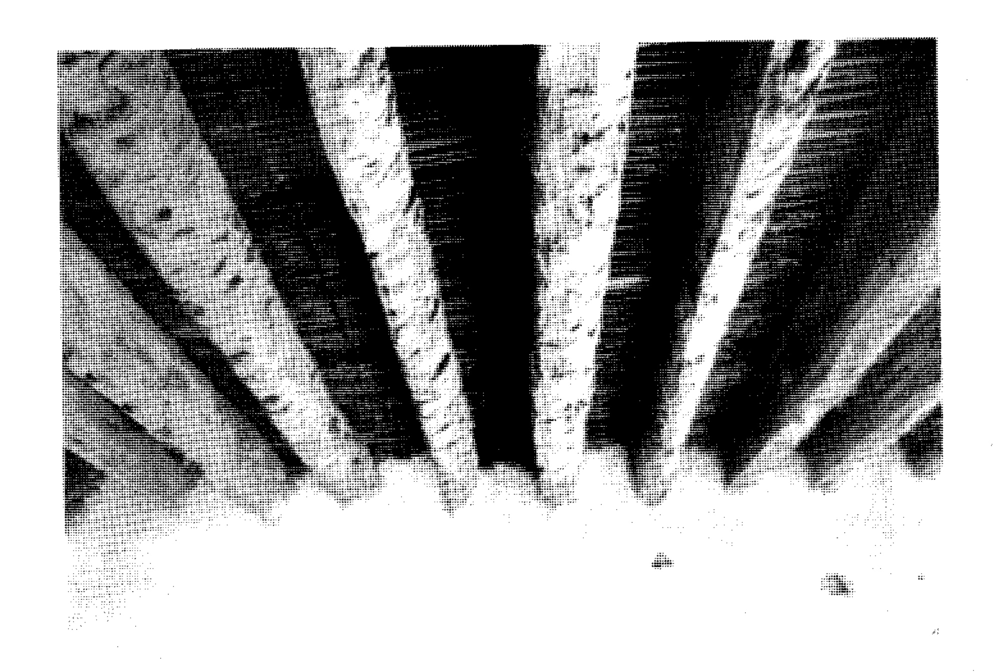
(*) يسمى محلياً القرم.



الصورة ١٩/ الحصير المصنوع من خوص النخيل الذي يلعو أخشاب الجندل



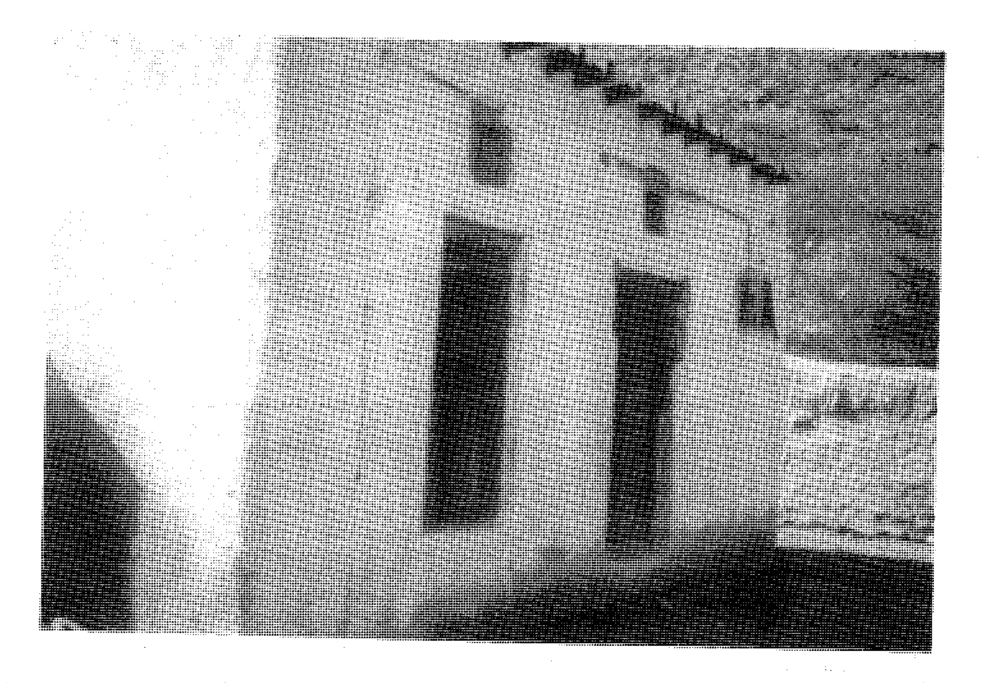
الصورة ٢٠ / الدعن أو جريد النخيل المستخدم في بناء المنزل التقليدي



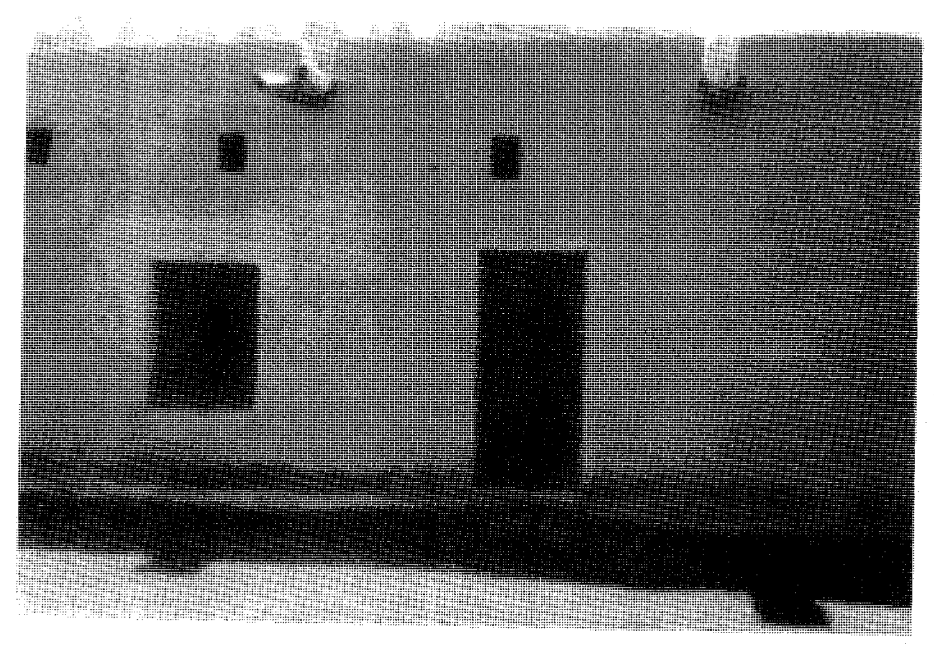
الصورة ٢١ / استخدام الأخشاب والنخيل في حمل الأسقف

في حمل الأسقف، والصورة (٢٢) توضح أخشاب الجندل، تخرج من الجدران الحاملة للأسقف، وكان ذلك شائعاً في المباني التقليدية،

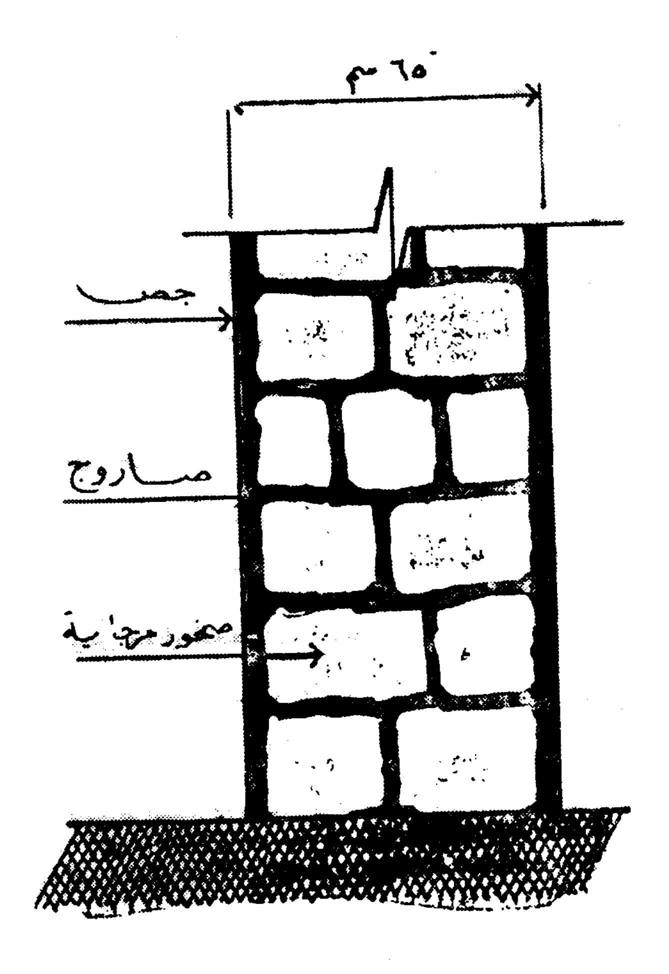
وصورة (٢٣) توضح استخدام أخشاب النخيل في عمل «المزاريب» للمباني التقليدية، ويوضح شكل (١) قطاعاً في أحد جدران المساكن التقليدية يوضح مواد البناء المستخدمة، كما أن شكل (٢) يوضح قطاعاً في سقف منزل تقليدي والمواد الحاملة له والمواد المستخدمة أيضاً في السقف ومدى سمكه.



الصورة ٢٢ / أخشاب (الجندل) تبرز خارج جدران المنزل التقليدي

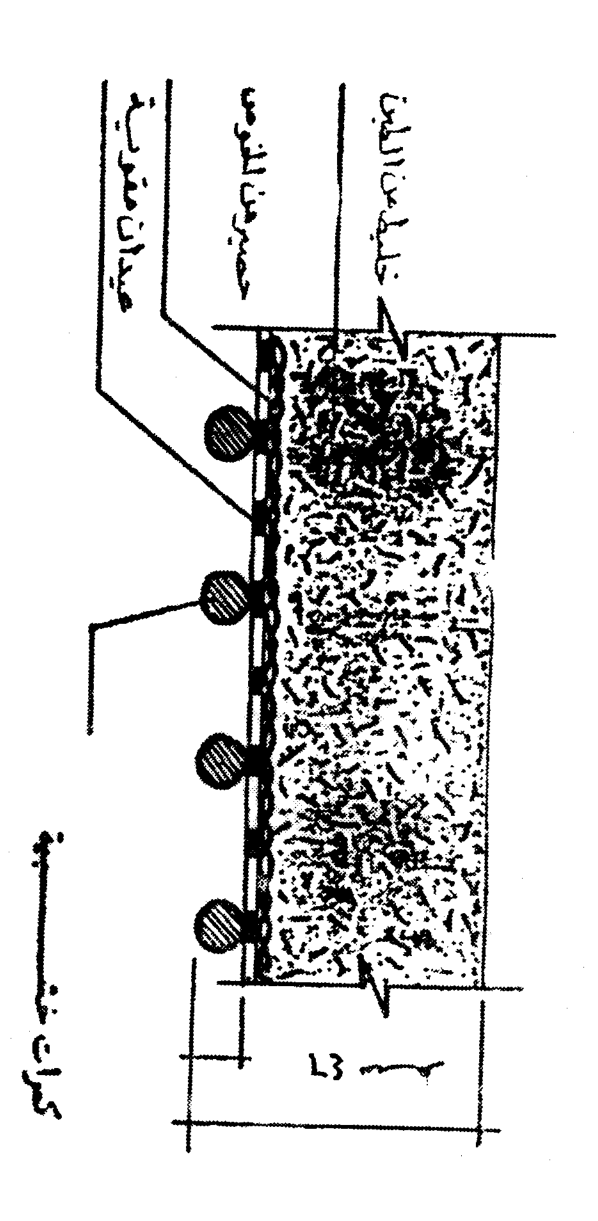


الصورة ٢٣ / استخدام جذوع النخيل في عمل المزاريب، أو مجاري المياه في أسطح المنازل



شكل رقم (١)

قطاع في جدار منزل تقليدي



شكل رقم (٢)/ قطاع في سقف منزل تقليدي

الفصل السادس

أنواع العمران التقليدي وطرزه
في دولة الإمارات العربية المتحدة

سوف ندرس أنواع مساكن العمران التقليدي في دولة الإمارات من خلال تقسيمها إلى العمران الريفي والبدوي، ثم العمران الحضري التقليدي.

أولاً - العمران الريفي والبدوي التقليدي :

يلاحظ من العرض السابق الذكر أن معظم السكان قبل عصر البترول كانوا يجمعون بين البداوة والاستقرار، وقد أنتج ذلك نمطاً عمرانياً متفرداً، وبصفة عامة أصبحت المساكن الريفية التي كانت منتشرة في الماضي من نوع «العشيش» قليلة الانتشار في الوقت الحاضر، بعد أن كانت في الماضي أكثر المساكن شيوعا (١). ويمكن لنا أن نقسم المساكن الريفية بدورها إلى مساكن الشتاء ومساكن الصيف أو «المقيض».

١ - المساكن الريفية الشتوية، وهذه تشمل عدة أنواع من السكن من أهمها :

المنزل الطيني التقليدي :

يسود هذا الشكل العمراني في السهول الساحلية والمناطق القريبة من

(١) عبدالحميد عبدالقادر غنيم - المستوطنات البشرية في دولة الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الفلاح - الكويت، ١٩٨٥، ص ٢٧١.

الوديان الجبلية، التي يسهل الحصول فيها على مادة البناء، أو تحويل الطين إلى لبن، ويخلط الطين - كما أشرنا في دراسة مواد البناء - ببقايا الحيوانات مثل الروث؛ لزيادة مقاومة الطين للعوامل الجوية مثل المطر والرطوبة. والمنزل من هذا النوع المبني من طابق واحد يطلق عليه اسم «مخزن»، وله جدران سميكة تصل إلى أكثر من ٥٠ سم كما في الصورة (٢٤). وللمنزل فناء تقليدي تطل عليه مكونات المنزل. وتكون هذه المساكن الطينية التقليدية بعضها مع بعض نسيجاً عمرانياً فريداً. ويفصل المساكن عن بعضها طرق ملتوية ضيقة يطلق عليها «السكيك». ويؤدي التجاور والالتصاق لهذه المساكن وضيق الفواصل بينها إلى جلب الظل وتبريدها. إذ لا تسقط أشعة الشمس على الجدران حينئذ بشكل مباشر. يضاف إلى ذلك أن قلة التوصيل الحراري للبن أو الطين تجعل داخل



الصورة ٢٤ / جدران المنزل التقليدي المتميزة بالسمك

المنزل دافئاً شتاءً رطباً صيفاً مما يزيد من راحة السكان. كما أن الطرق الضيقة السابقة الذكر، المسماة بالسكيك أو «الدواعيس» تنشر الإحساس بالأمن والوسط الاجتماعي المتميز بالألفة. وهذا النمط الخاص بالمسكن الطيني واسع الانتشار في العالم أجمع وبخاصة في المناطق الحارة، وفي السودان تتبع الأساليب نفسها في بنائه، فتضاف إلى الطين مخلفات الحيوان أيضاً (١) . وكان التخلي عن البناء باللبن في عصر البترول والاتجاه للبناء بالطابوق (الطوب الأسمنتي) أكبر الأثر في زيادة المبالغ المصروفة على التكييف للمنازل، وقد ذُكر أن ٦٦٪ من الطاقة الكهربائية المولدة في الكويت تستخدم في التبريد فقط (٢) . وتشير تقارير أخرى إلى ارتفاع هذه النسبة أكثر في الوقت الحالي. والمنزل الطيني التقليدي إذا كان من طابقين أُطلق عليه اسم «غرفة»، وعادة ما يكون سكن الشتاء أو السكن الدائم وسكن «المشاتي» على عكس الأشكال العمرانية الصيفية «المقيض»، التي تكون عادة مؤقتة وأقل ثباتاً لأن السكان يقضون بها بعض شهور الصيف فقط. ويصنع سقف المنزل من الأعمدة الخشبية «الجندل» أو من جذوع النخيل المتوافر في البيئة المحلية، ويعلو هذه العروق الخشبية غطاء من الدعن (وهو جريد النخل) وأيضاً من الحصير المصنوع من خوص النخيل وطبقة من الطين أيضاً أو «المدر» المعالج بروث الحيوان، لزيادة تماسكه ومقاومة العوامل الجوية وبخاصة الأمطار، وعادة ما تعلو هذه المواد السالفة الذكر بعضها بعضا في شكل طبقي. وتتأثر خطة المنزل الطيني بعدة عوامل طبيعية وبشرية(٣).

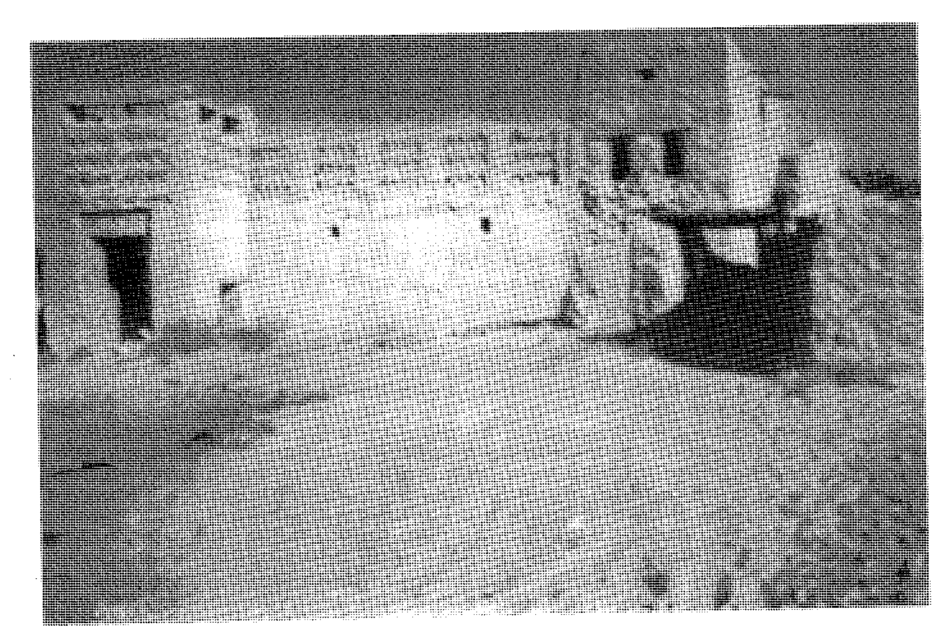
---

(١) Agarwal, A., Op. Cit., P. 40.

(٢) Ibid., P. 69.

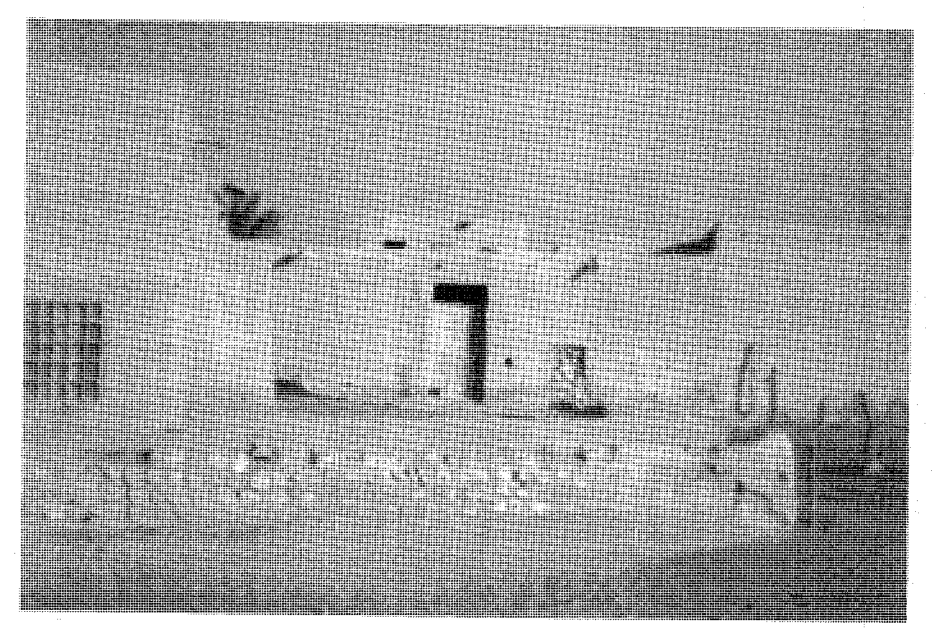
(٣) راجع موضوع مواد البناء والتركيب الداخلي للمنزل.

وقد يدخل الحجر والصخر في تركيب المنزل الريفي التقليدي وبنائه، وإنْ ظل الطين عنصراً مهماً، بوصفه مادة بناء مباشرة، أو بوصفه ملاطاً ومادة لاحمة. وكذلك قد تبنى المنازل الريفية الشتوية التقليدية الدائمة من أحجار المرجان مثل مساكن المدن، إذا كانت مواضع العمران قريبة من السواحل، كما هي الحال على طول ساحل الباطنة بالمنطقة الشرقية. وللأحجار المرجانية أيضاً فوائدها في البناء وبخاصة في مواجهة الحرارة العالية شأنها في ذلك شأن اللبن، وفي حالة استخدامها لا تختلف خطة المنزل ولا طبيعة الأسقف عمّا سبق شرحه بالنسبة للمنزل الطيني التقليدي. وصورة (٢٥) توضح قطاعاً في أحد الجدران بالمساكن التقليدية. وقد يوجد أمام المنزل الريفي التقليدي ما يعرف «بالدجة»، وهي مصطبة مرتفعة نوعاً عن سطح الأرض، مستطيلة الشكل، تستخدم في



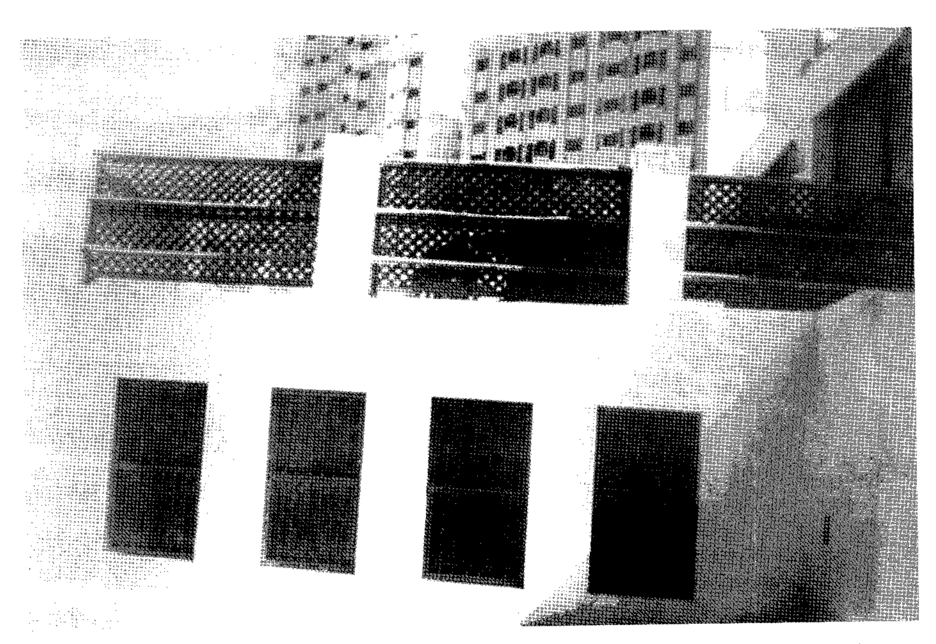
الصورة ٢٥ / قطاعات توضح جدران المنزل التقليدي

الجلوس عليها من قبل الرجال عند الحديث والسمر، ويوضحها صورة (٢٦)، ويحيط سطح المنزل سور يدور حول نطاقه الكلي، وعادة ما يرتفع أكثر من متر، وقد يصل إلى أعلى من قامة الإنسان ليحجب الرؤية،



الصورة ٢٦ / الدجة «المصطبة» أمام المنزل التقليدي

ويعرف ذلك السور العلوي باسم «واريش»، وهو عادة مخرم الفتحات في شكل زخرفي؛ ليقلل من الحرارة ويعمل على تلطيف سطح المنزل. وصورة (٢٧) توضح «الواريش». والمنازل الطينية التقليدية تؤدي وظيفة السكن والدفاع أحياناً وبخاصة في الماضي حين كانت المنازعات القبلية سائدة، ولذا نجد بعض المساكن يلحق بها قلعة صغيرة ، والقلعة كانت تؤدي وظيفة الدفاع في المدن والريف على السواء. ويحيط بالمنزل الطيني سور حول الفناء يسمى «طوفة».

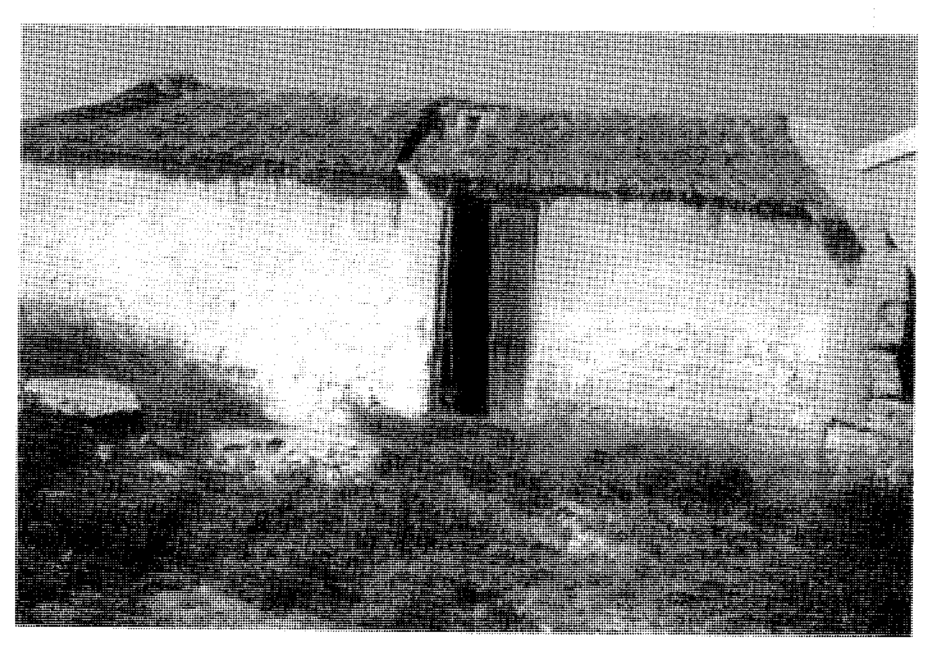


الصورة ٢٧ / نموذج للواريش أو السور فوق سطح المنزل التقليدي

مسكن الكريــن :

و هو من المســاكن الشــتوية أيضــاً، ويطلق عليـه أيضــاً اسم «مـخـزن» كذلك، وقد يكون من غرفة واحدة، وتقيم به العائلة مجتمعة، والغالب أن يبنى من اللبن وإن استخدمت الحجارة في بنائه في المناطق القريبة من الجبال أو على الأقل استخدامها في تدعيم جدرانه، كما هي الحال في بعض أجزاء إمارة الفجيرة ورأس الخيمة، وقد يحيط بالكرين فناء غير متسع. ويأخذ الكرين شكلاً جمالونياً مثمناً (gabled)، وهو من منازل الشتاء الشائعة الانتشار في دولة الإمارات العربية المتحدة في مناطق السـهـول أسـاسـاً وبعض المناطق اللصيقة بالجبال. وخطة الكرين مسـتطيلة، و من أجل إعطاء الشكل الجمـالوني يراعى ذلك عند بناء الجدران أو هيكل الكرين. أما السقف فيبنى من روافد أفقية تثبت فوق

الجدران، ويحيطها الإطار ويغطى السقف بالمواد البنائية المحلية المستمدة من منتجات النخيل وبخاصة الحصير، وتترك فتحات صغيرة في جوانب الجدران لدخول الضوء والهواء(١)، وهي ما يطلق عليها محلياً اسم «مصابيح» وتوضح صورة (٢٨) الكرين. وفي المناطق الجبلية يختلف هذا الشكل العمراني التقليدي عن مثيله في السهول نوعاً، في أن الجدران



الصورة ٢٨ / نموذج للكرين التقليدي

تكون بالكامل من الأحجار، كما في صورة (٢٩)، كما يكون الكرين أقل ارتفاعاً. ويحيط بالكرين أيضاً فناء (حوى) تبنى به بعض المرافق المكملة للكرين، كمسكن شتوي للأسرة.

(١) Dostal, W., Op. Cit., PP. 4- 6.



الصورة ٢٩ / الكرين الجبلي

الخيمة الشتوية :

والخيمة الشتوية من مساكن الشتاء أيضاً ولا علاقة لها بالخيمة المعتادة التي نعرفها والمشيدة من الأقمشة، والأخيرة تخص البدو ويطلق على الخيمة الشتوية أيضاً الكوخ الجمالوني (gobled Hut) وتوجد في المناطق الجنوبية من إمارة رأس الخيمة كثيراً، وهي تتكون من جدران قليلة الارتفاع ومغطاة بسقف منحنٍ، والإطار يميل في جانبي الخيمة ويغطى السقف بالأعشاب النباتية المتوافرة في البيئة التي تقام فيها الخيمة. وهذا الشكل العمراني أي الخيمة له طرازان، الأول يطلق عليه «الخيمة الريادية» وتصنع من النخيل والجذوع ويرص (الدعن) أي الجريد إلى جوار بعضه بدقة متناهية حتى لا يتسرب الهواء إلى داخل الخيمة ويصلح هذا الطراز أساساً لفصل الشتاء. أما الطراز الآخر فهو

«الخيمة الخيارية» وهي من المواد نفسها ولكنها أسهل في صنعها وأسرع ولا تحتاج إلى وقت طويل كالنوع السابق، ولا تستهلك سعفاً أو مواد خاماً كثيرة. ويطلق على باب الخيمة اسم «الردة» وقد يحفر تحت الخيمة لعمل أساس لتثبيتها. وثمة تقسيم آخر لأنواع الخيام في بعض المناطق من دولة الإمارات العربية المتحدة والذي يوضح التباين الجغرافي في أشكال السكن وفي المسميات أيضاً التي تطلق عليه، فتقسم الخيام أحياناً إلى «خيمة بحر» وهي المصنوعة من سعف النخيل وألواح الخشب والزنك، ثم (خيمة ليوا) نسبة إلى واحات ليوا والأخيرة تختص بإمارة أبوظبي فقط (١). وكانت الخيمة شائعة في الماضي في مناطق السواحل حيث مقر الصيادين في المحال المنعزلة المسماة «بالحالات» كما في حالات منطقة السمحة على بعد ٥٨كم من أبوظبي على طريق دبي، وفي مسافي وفي منطقة النخيل، في رأس الخيمة أيضاً. ونمط الخيمة الشائع من مناطق الصيد يعد من الأشكال التقليدية التاريخية المرتبطة بحرفة الصيد البحري، وعادة ما يكون للخيمة فتحات ضيقة بالنظر إلى تخلل الهواء للمواد النباتية المصنوعة منها.

بيت الشعر :

وهذا الشكل العمراني هو سكن البدو، يضع Jubbar الخيمة كأحد أعمدة الحياة ا لبدوية، ويقول: إنّ السائد صنعها من شعر الماعز - راجع Jubbar ص٢٤٥. وقد يكون «بيت الشعر» مسكناً شتوياً أو صيفياً، ويسكنها البدو وهم «أهل الرمل» تميزاً لهم عن «أهل الحجر»، وهم سكان الجبال من القبائل. والجدير بالذكر أن قبائل الإمارات ليست كلها من

---

(١) فالح حنظل - معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة - وزارة الإعلام والثقافة - أبوظبي - ١٩٧٨- ص ٢٠٤.

الرُعاة بل يمكن أن تتوزع عشائر القبيلة بين الحرف المختلفة فإذا كانت تقطن قرب الساحل احترفت الصيد، وإذا كانت بالمناطق الزراعية والواحات، احترفت الزراعه (١) . وفي هذه الحالات لا تختلف مساكنها عمّا سبق لنا شرحه، أما إذا كانت تسكن المناطق الصحراوية فتحترف الرعي ويصبح «بيت الشعر» مسكنها التقليدي. وهو من نمط العمران المؤقت كما سنرى ويطلق على المسكن بيت الشعر إشارة إلى المادة المصنوعة منها، وهي شعر الماعز وصوف الغنم. وتصنع الخيمة البدوية هذه «بيت الشعر» من قطعة نسيجية طويلة تسمى «بالفلائح» وطول قطعة الخيمة وعدد ما يدخل فيها من قطع قماش أو نسيج دليل على أهمية صاحبها من الناحية الاجتماعية والاقتصادية وترفع الخيمة بعد اتمام نسجها وحياكتها على أعمدة تسمى «العمدان» على نحو مشدود بوساطة حبال الخيمة. ويقسم الفضاء الداخلي بوساطة ستارتين أو ثلاثة وتسمى «القطع» وتكون الخيمة مفتوحة من أحد جوانبها. وفي حالة هبوب الرياح يتم استخدام «قفا الخيمة» أي ظهرها، ويصبح الوجه ظهراً، ويتم التغيير في اتجاهات الستائر المقسمة لفراغ الخيمة من الداخل أيضاً وبسرعة. وفي الجانب الخلفي من الخيمة تمتد أطوال من النسيج لتكون جداراً من القماش يسمى «الرواف» وتغطي قطع الرواف هذهِ طولاً لا بأس به يكفي لإغلاق النهايتين الجانبيتين المفتوحتين للخيمة وتمكن هذه الامتدادات الطولية أصحاب الخيمة من استخدامها ليلاً لإغلاق البيت كذلك. ويرتبط عدد حبال الخيمة بعدد أعمدتها، وكل عمود له حبلان أحدهما للاتجاه الأمامي والثاني للاتجاه الخلفي، ويتم توصيل امتداد الرواف بجوانب الخيمة باستخدام سلسلة تدعى «الخلال» وهكذا

(١) محمود عبداللطيف عصفور – من قرى قديمة إلى مدن عصرية – في كتاب دولة الإمارات – دراسة مسحية شاملة مرجع سابق – ص ٦٣٢.

يظهر الرواف مكتملاً على نحو ستارة ثقيلة يدفن طرفها الأسفل بوساطة الرمل على امتداد الرواف وطوله، وقد تدفن الحاشية بوساطة أوتاد. وعلى ذلك تقسم الخيمة إلى خمسة أقسام :

١- سطح بيت الشعر المكون من فلجين.
٢- الأعمدة.
٣- ستائر تقسيم فضاء الخيمة (القطع).
٤- ستائر في مؤخرة الخيمة - الرواف - والمربوطتين في موضع وسط من الخلف والممتدة حول نهايتي الخيمة الجانبيتين.
٥- الأحبال (١) .

وفي بعض الأحيان تخيط النساء نسيج الخيمة، وأحياناً يصنع في المدن القريبة من الصحراء التي يضرب فيها البدو، وإنْ كان الغالب أنها مسئولية نساء القبيلة، وكذا من مسؤولياتهن تجديد الأجزاء التالفة.

وتقسم الخيمة «بيت الشعر» بحيث تكون حجرة النساء في الوسط «مرقد الحريم» ويكون الجزء المخصص للرجال إلى اليمين (مرقد الرجال)، وكل من القسمين يحوي أغراض النساء أو الرجال، فتفرش مناطق الرجال بالسجاجيد (دواشك) وبها سرج الجمل ووسائد للاتكاء، ويمكن استقبال الضيوف بها، ويوجد أيضاً بندقية سيد الدار معلقة بكلاّب موصل بعمود الخيمة، كذلك يوجد في مكان الرجال موقد لعمل القهوة «ودلال» وغير ذلك. أما في حجرة النساء فتوجد أغراضهن وأواني الطبخ. وقد يوجد بالخيمة مكان مستقل لحفظ مستلزمات الغذاء من أرز وطحين وتمور واللوازم الاحتياطية الأخرى. وقرب حجرة النساء

---

(١) ديكسون - الخيمة البدوية - ترجمة عبدالحسين الدعجي - مجلة المأثورات الشعبية - السنة الأولى - العدد الرابع - الدوحة - اكتوبر ١٩٨٦، ص ص ٦٦- ٦٧.

توجد قرب الماء بعيداً عن حجرة الضيوف، وهي عادة ما توضع على طبقة من الحشائش الغضّة لتبقى باردة. ويجرى تعديل وضع فتحات الخيمة بحسب هبوب الرياح، وعادة ما لا تفتح في مواجهة الرياح، ويطلق على الجزء المفتوح «وجه الخيمة»، وعلى الجزء المغلق منها «قفا الخيمة» وفي حالة هبوب الرياح الشديدة أو المطر يكون على سكانها إغلاق الخيمة تماماً أو تعديل فتحاتها. وتغلق تماماً في الفصل البارد أيضاً عندما تشتد البرودة أكثر من اللازم. وعموماً تنصب الخيمة في الجزء الشرقي والشمالي الشرقي من الجزيرة العربية على نحو يكون فيه المحور الأطول للخيمة مواجهاً للرياح الشمالية الغربية (١) . ويتحكم القرب من الماء في الموضع الذي تنصب فيه الخيمة. ويلاحظ أن موضع الخيمة شتاء يبعد نسبياً عن مصدر الماء الذي يُموّن السكان، وقد يبعد أكثر من ٢٠ ميلاً، حين لا تسقى الجمال كثيراً ولا تحتاج الماعز والحيوانات الأخرى للشرب والأكل ٤ أيام. أما في فصل الصيف فإن موضع الخيمة يجب ألاّ يبعد عن مصدر الماء أكثر من نصف ميل - إلى ميل واحد (من ٨٠٠ متر إلى ١٦٠٠ متر) ويتم تغيير أماكن نصب الخيام لضرورات صحية كل ٨ - ١٠ أيام، ويكون البحث عن العشب دافعاً لذلك أيضاً. وتنصب الخيام بحيث تكون مجتمعاً قرابياً، لا تتوزع على نمط معين إنما تنتشر عشوائياً على مساحة واسعة، وكل مجموعة خيام لأسرة تبعد حوالي ٢٠٠ ذراعاً عن المجموعة الأخرى، وعلى بعد ٤٠٠ ذراع إذا كانت الأرض مفتوحة دون عائق. وفي الصيف تكون خيام القبيلة على أبعاد متقاربة نسبياً لتحلقها حول البئر الذي يزود القبيلة بالماء.

---

(١) على الرغم من أن مقالة «ديكسون» تتحدث عن الخيام في شبه الجزيرة العربية عامة فإن الجزء الأكبر من تحليله ينطبق على الوضع في دولة الإمارات العربية المتحدة.

ولكل من الانتشار الشتوي لخيام القبيلة، والتمركز الصيفي أيضاً له مزاياه وعيوبه، ولاسيما في أثناء تعرض القبيلة لخطر العدوان، فمثلاً لا يسهل على المعتدي إحراز نصر شامل وكامل في حالة المساكن المشتتة من الخيام في كل مكان بموضع الخيام الخاصة بالقبيلة (١) .

(ب) المساكن التقليدية الصيفية :

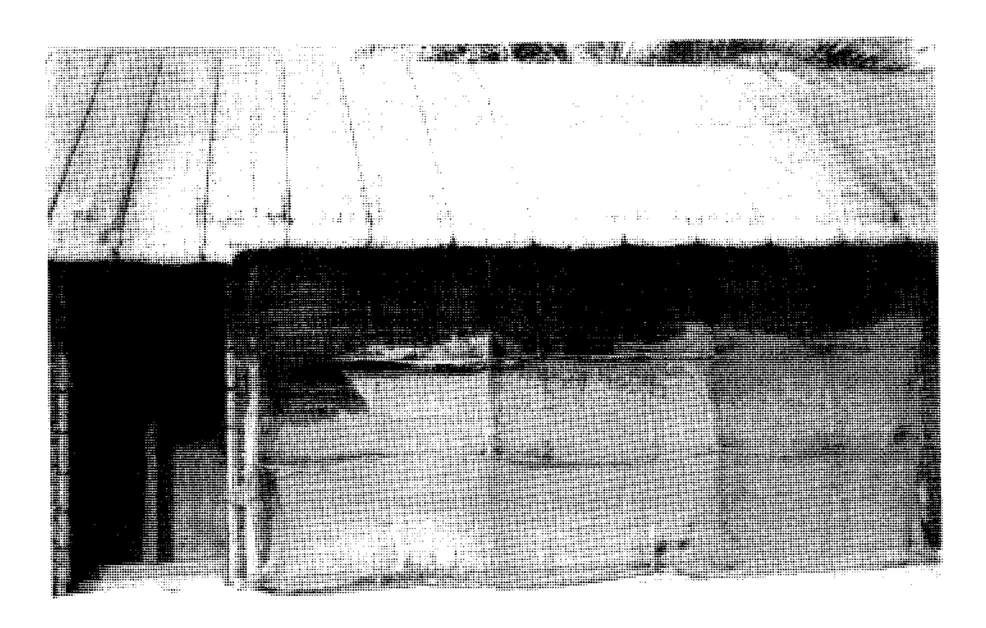
هذه الأنماط العمرانية التقليدية يغلب عليها الطابع المؤقت، على الرغم من أن بعض الجماعات المنعزلة والمتنقلة قد تتخذ منها سكناً في أغلب أوقات السنة. ويمكن تعرف الأشكال التالية من المساكن التقليدية الصيفية.

١ - العريش :

يكاد يكون طراز «العريش» أوسع هذه الأنواع انتشاراً، وهو من مساكن «العشيش» التي تشيد أساساً من مواد أولية محلية مشتقة أصلاً من النخيل ومنتجاته، وهو واسع الانتشار في الريف، بل في أطراف المدن أيضاً، إذ يبني سكان المدن صيفاً بعض «العرشان» لقضاء مدة الصيف، ولذلك يمكن أن يكون العريش هنا بيتاً ثانياً للسكان كما هو شائع لدى بعض سكان دول أوروبا مثل بريطانيا أو في (U.S.A) من وجود منزل ثانٍ للسكان عادة في منطقة ريفية لقضاء فصل الصيف يطلق عليه (Second home). ويختلف العريش عن الكرين الشتوي في أن الأخير كما لاحظنا يشيد من مواد أكثر ثباتاً، أما العريش فكل مواد بنائه نباتية أساساً، ويشيد عادة بارتفاع الجدران المصنوعة من «الدعن» حوالي من ٢٠٠ سم - ٢٤٠ سم، ويرص الدعن بعضه بجوار بعض،

(١) ديكسون - مرجع سابق - ص ٦٧.

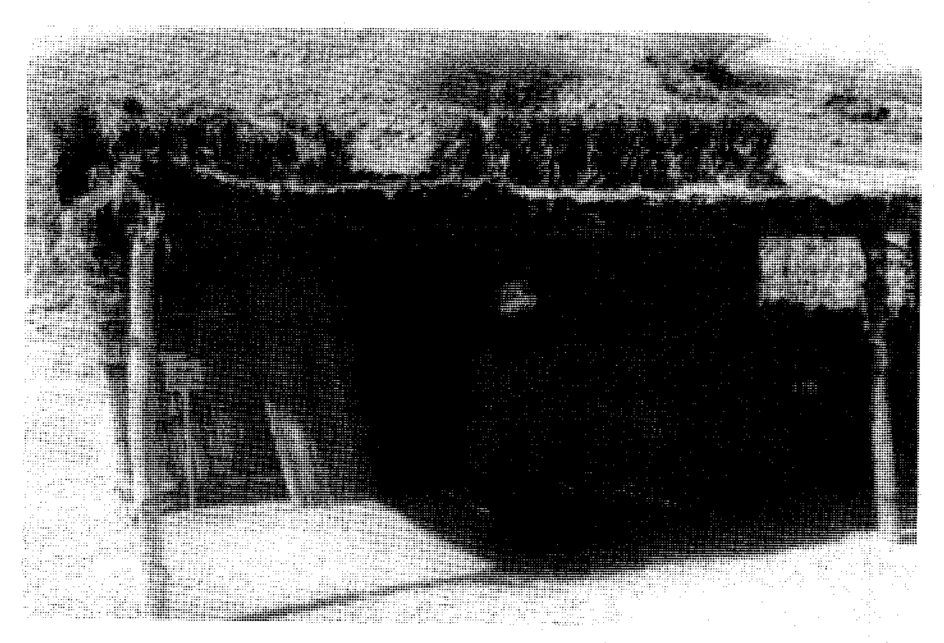
ويجري ربط «حزم» الدعن هذه مع بعضها بسيقان عرضية وحبال، وتسمح هذه الطريقة بتخلل الهواء للعريش وهو ما يطلب في فصل الصيف من أجل راحة السكان (١) وللعريش طرازان الأول يسمى (العريش المقصص) ويسمى (لقط) أيضاً، وهو مصنوع من السعف الذي قص منه الخوص من أعاليه، كما توضح ذلك صورة (٣٠) والطراز الآخر هو (العريش الخياري)، ويسمى بذلك نظراً لاستخدام «الخيرة» فيه، وهي



الصورة ٣٠ / نموذج للعريش المقصوص «لقط»

عبارة عن الحزام الذي يربط كومة أو حزمة من جريد النخل، وهو يختلف عن الطراز السابق في أنه غير مقصوص كما في صورة (٣١). وقد كان العريش شائعاً كما أسلفنا القول حتى في بعض المدن بالإمارات، فقد كانت العرشان شائعة في مدينة دبي مثلاً في مناطق عيال

(١) Dostal, W., Op. Cit.



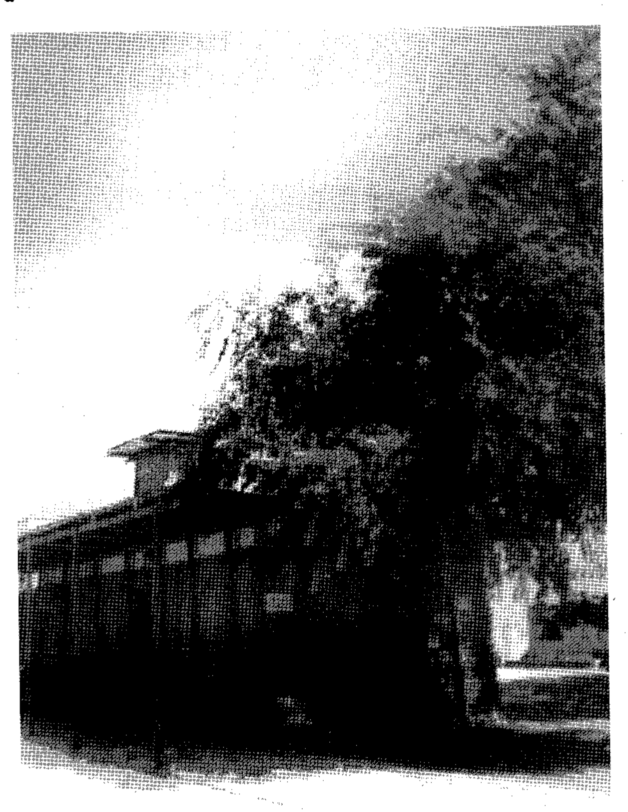
الصورة ٣١ / نموذج للعريش غير المقصوص

ناصر وفريج المرور القديم والبراحة (١) . وفي بعض الأحيان يكون الخوص المستخدم في صنع العريش من الداخل بمنأى عن الحيوانات السائبة ولحجب الرؤية أيضاً، ويفتح باب العريش صيفاً باتجاه الرياح، غالباً في اتجاه الشمال، أما إذا استخدم في الشتاء فيفتح في اتجاه الجنوب. وفي بعض الأحيان القليلة تصنع العرشان من «الدفوع» أي الجريد المشدود بعضها إلى بعض بالحبال، وصورة (٣٢) توضح نموذجاً للعريش المزود ببارجيل متواضع وهو ما كان يشيع صيفاً في طراز العريش؛ إذ يساعد ذلك البارجيل على جلب الهواء بصورة رأسية إلى داخل العريش فيزيد من تلطيف الهواء. وهذه الطرز من البراجيل

---

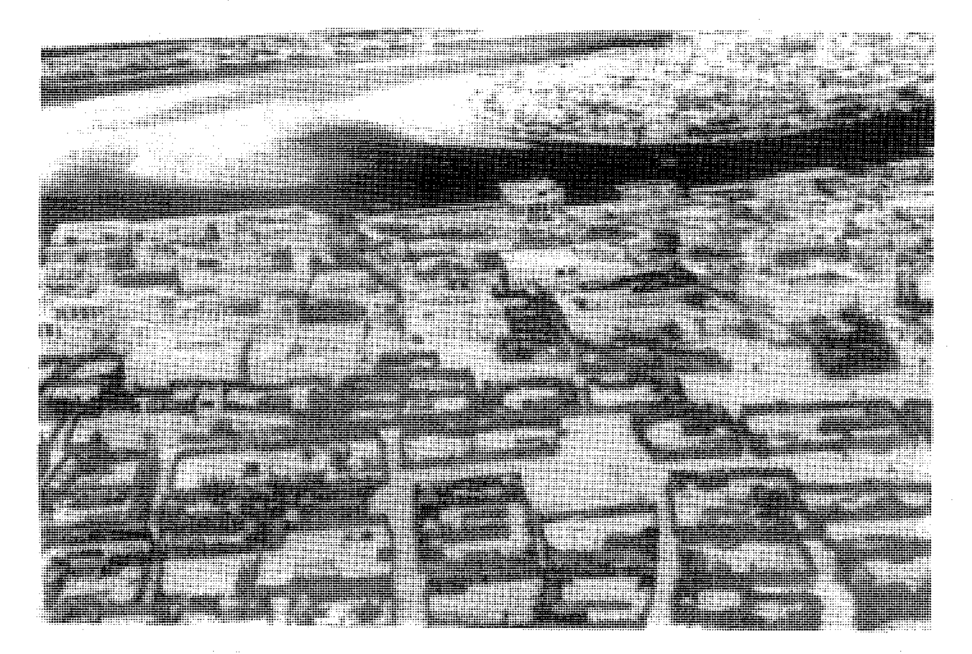
(١) معلومات استقاها الباحث في أثناء الدراسة الميدانية.

المتواضعة تناسب هذه المساكن المؤقتة على عكس براجيل المدن الضخمة والفخمة كما لاحظنا ذلك عند الحديث عن المسكن الحضري التقليدي.

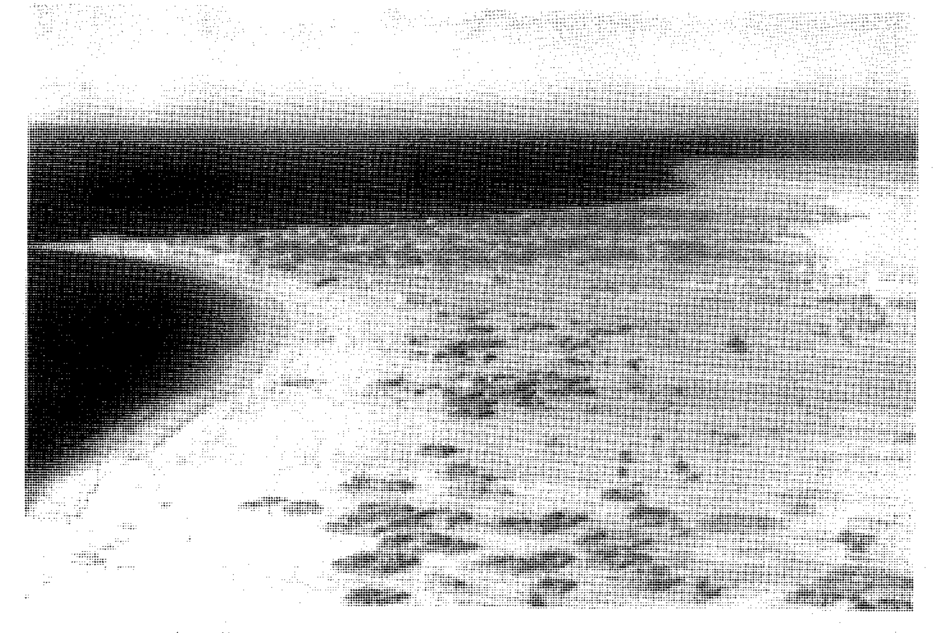


الصورة ٣٢ / عريش مزود بالبارجيل المتواضع

وصورة (٣٣) توضح تجمعاً من العرشان التي كانت سائدة في أطراف مدينة دبي قبل التطور العمراني الحديث، وصورة (٣٤) توضح مدينة أبوظبي في بداية الستينات، حين كان كثير من مساكنها التقليدية من أنواع العريش.



الصورة ٣٣ / تجمعات العرشان في دبي قبل التطور العمراني الحديث



الصورة ٣٤ / مدينة أبوظبي في فترة الخمسينات قبل ظهور البترول

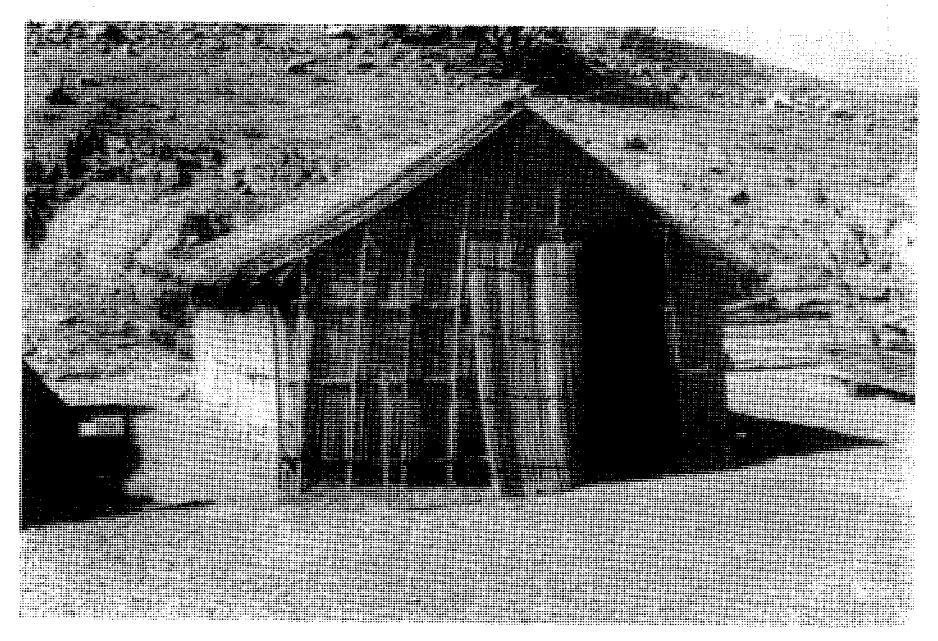
٢ - **الباراستي :**

وهو من أنواع السكن التقليدي لسكان الإمارات في الماضي، ولما كان معظم قبائل دولة الإمارات العربية المتحدة في الماضي ليست منقطعة تماماً للرعي كما هو المعتاد في سكان الصحراء تقليدياً، فإن معظم هذه القبائل مارس عديداً من الحرف غير الرعي، وكان بيت الشعر كما لاحظنا سكناً للبدو حين يوجدون في الصحراء في جزء من السنة شتاء. أما في الصيف فكان العديد منهم يقطن الواحات وأطراف المدن، ويعمل بالصيد البحري والغوص والتجارة، وفي حالة سكناهم بعيداً عن الصحراء وفي أطراف المناطق الزراعية كان «الباراستي» التقليدي (Traditional Barasti) سكنهم المفضل، وهو من مساكن العشيش «أيضاً؛ لأن له ميزة السماح للنسيم بالتخلل صيفاً إلى داخله؛ إذ يصنع من سعف النخيل أيضاً «الدعن» والحصر والجدائل ومن ميزاته أن سقفه قد يصنع من طبقتين من الحصير المجدول، من سعف النخيل وليفه، وقد شاع الباراستي لسهولة صنعه، وقلة الوقت المستغرق في ذلك ورخص تكاليف إنشائه أيضاً وعادة ما كان للسكان باراستي واحد لكل أسرة على الأقل إضافة إلى سكنهم الدائم الشتوي؛ فهو أيضاً من نوع «المنزل الثاني» كالعريش. وفي كثير من الأحيان يكون الباراستي متسعاً ليسع العائلة كلها، وله قوائم خشبية أو من جذوع النخيل، وقد تستورد القوائم التي يرتكز عليها من الهند. وكان الباراستي في بداية السبعينات يتكلف حوالي ٢٠٠ - ٤٠٠ دولار فقط، ويقدر عمره بحوالي ١٠ سنوات(١). وقد أثر الباراستي على العمران الخاص بالقبائل البدوية بعد

---

(١) Cordes, R., Integration of Bedouin population in Abu Dhabi PP. 484 - 6.

توطينها حديثاً، وترك بصماته على تخطيط المنازل التي شيدت للبدو من نوع المساكن القليلة الكلفة، المعروفة محلياً باسم «الشعيبات»، ويمكن القول إن الباراستي شبيه بالعريش، إلاّ أن الأول يمتاز بشكله الحسن وقوته ومتانة بنائه. وصورة (٣٥) توضح الباراستي.

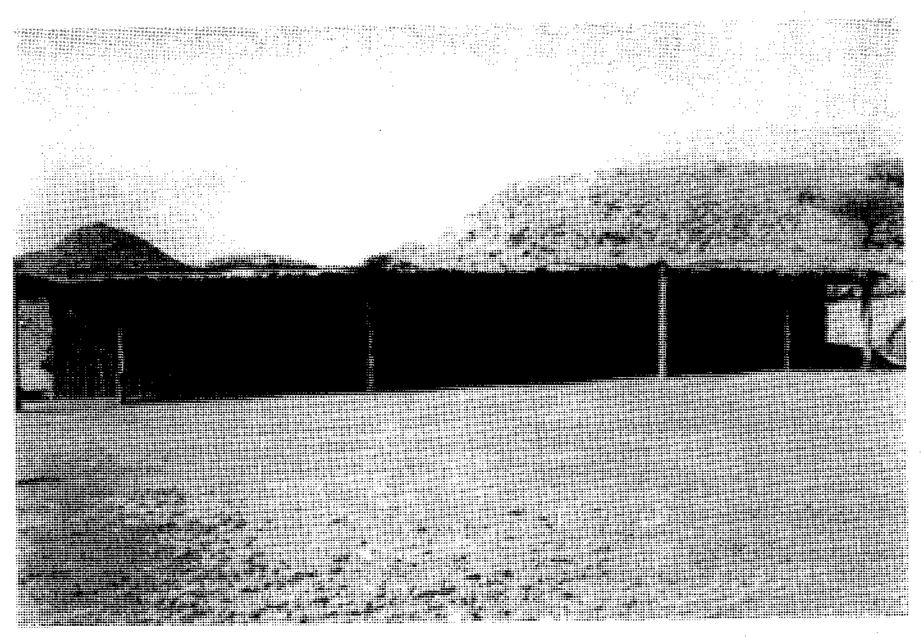


الصورة ٣٥ / نموذج للباراستي

٣ - السبلة :

وهي كالخيمة تصنع من سعف النخيل، يتم وضع شبكة في أعلاها أو مظلة من السعف والخوص، ويربط ويشد سعف النخيل إلى بعضه بحبال الليف، ويستغرق عملها في المتوسط أربعة أيام، وهي عادة ما تقام كمظلة أمام المسكن الأصلي كالعريش مثلاً أو أمام غيره من المساكن التقليدية، ولذلك تكون بعض جوانبها خالية؛ أي إنها تشيد طلباً للظل فقط والجلوس تحتها، وليس للإقامة والنوم كالمنزل. وتستخدم السبلة للضيافة، والعرف

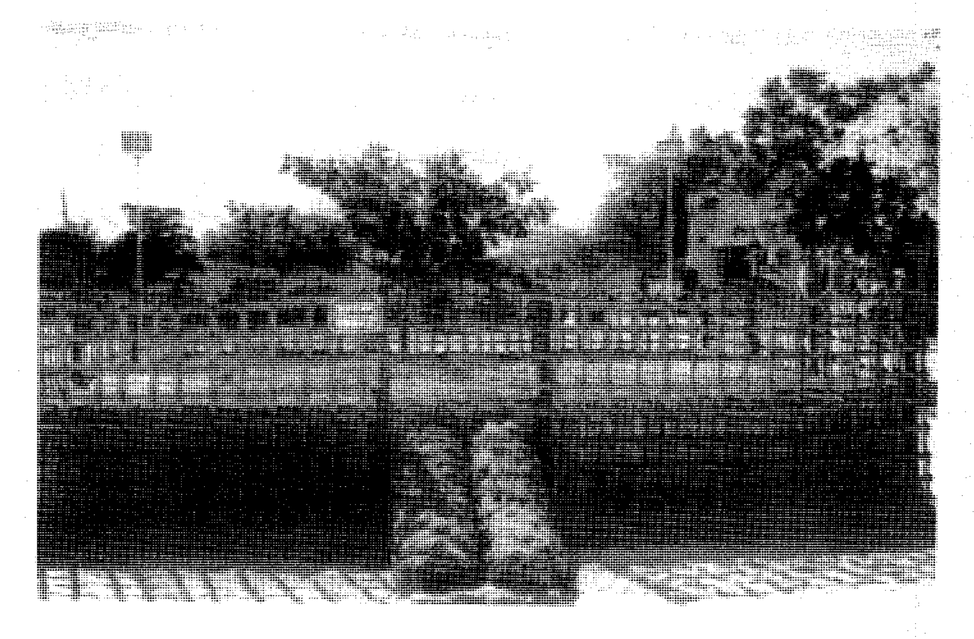
أن يدخلها كل عابر سبيل؛ ليتزود بالماء والغذاء وينال تحتها بعض الراحة، وصورة (٣٦) توضح نموذجاً للسبلة.



الصورة ٣٦ / نموذج للسبلة

٤- المنامة :

وتكون أيضاً أمام المسكن الأصلي في الصيف، وتقام لتنام عليها الأسرة في أثناء اشتداد الحرارة، وتكون المنامة مرتفعة ومرفوعة عن سطح الأرض للبعد عن الحشرات وطلباً للهواء، وقد ترفع على قوائم من جذوع النخيل أو بعض البراميل، والقاعدة أنها تكون أمام المنزل الذي لا يمكن استغلال سطحه صيفاً، إما لأنه هش من مواد رخوة، وإما لأن عليه من الأغراض ما لا يسمح باستغلاله، وصورة (٣٧) توضح نموذجاً للمنامة وهي في بعض الأحيان، تقام في فناء المنزل (الحوى).



الصورة ٣٧ / نموذج للمنامة

٥- السيـــم :

وهو نوع آخر من أماكن النوم في الهواء الطلق صيفاً، يشابه المنامة، ويُقام أمام العريش في فصل الصيف.

وهكذا حددت العوامل الطبيعية، نماذج السكن التقليدي الصيفي خاصة والشتوي أيضاً، ولذا تعد استجابة ذكية للظروف السائدة في البيئة الحارة التي تراعي أن تكون الأسقف عموماً مسطحة مستطيلة الخطة، ومشيدة من مواد عازلة أساساً كالطين واللبن والأحجار المرجانية المسامية، أو من مواد نباتية متوافرة في البيئة تسمح بتخلل الهواء لها، وتلطيف الهواء داخل المسكن، وبذا تكون أنماط هذه المنازل التقليدية في الإمارات مشابهة لها في بيئات حارة أخرى بالعالم كمنطقة حوض البحر

المتوسط، وبعض مناطق وسط آسيا الحارة (١) ،ويمكن لنا أن نجد استجابة مشابهة كذلك في بلدان حارة أخرى مثل مصر والمكسيك، التي تشيد مساكنها التقليدية من مواد عازلة، تخدم للحماية من ارتفاع درجة الحرارة، وعظم المدى الحراري بأنواعه (٢).

ج - المساكن التقلدية في المناطق الجبلية :

وهذه تشمل مساكن بعض القبائل التي ارتبطت معيشتها بالمناطق المرتفعة والجبلية في دولة الإمارات مثل قبائل «الحبوس والشحوح» وهؤلاء يتميزون بأن مساكنهم مبنية من الأحجار الشائعة بمناطق إقامتهم. وتمتد ديار الشحوح من بلدة «خصب» في رأس الخيمة إلى الجبال المعروفة بجبال الشحوح والممتدة إلى البريمي ومدينة العين، وهم قوم جبليون تميزهم لهجة خاصة عن لهجات بقية عرب الإمارات، لبعدهم عن البر والصحراء وسكناهم الجبال، وصارت عندهم بعض العادات والتقاليد التي تختلف إلى حد ما عن بقية عادات بقية الإمارات وتقاليدها(٣). ومما ميز منازل هؤلاء القوم أنهم لا يستخدمون في بنائهم لمساكنهم مادة لاحمة (Mortar)، وتبنى المساكن إما من مفتتات الصخور النارية الصلبة في المنطقة الشرقية، وإما من الصخور الجيرية الأسهل تشكيلاً كما في بقية الجهات. وفي المناطق الجبلية من إمارة رأس الخيمة تعرف دوستال على شكلين من أشكال البناء في هذه المناطق، أولهما «الصوفة - Sofe ، وهي سكن من أجل الفصل الانتقالي بين الشتاء

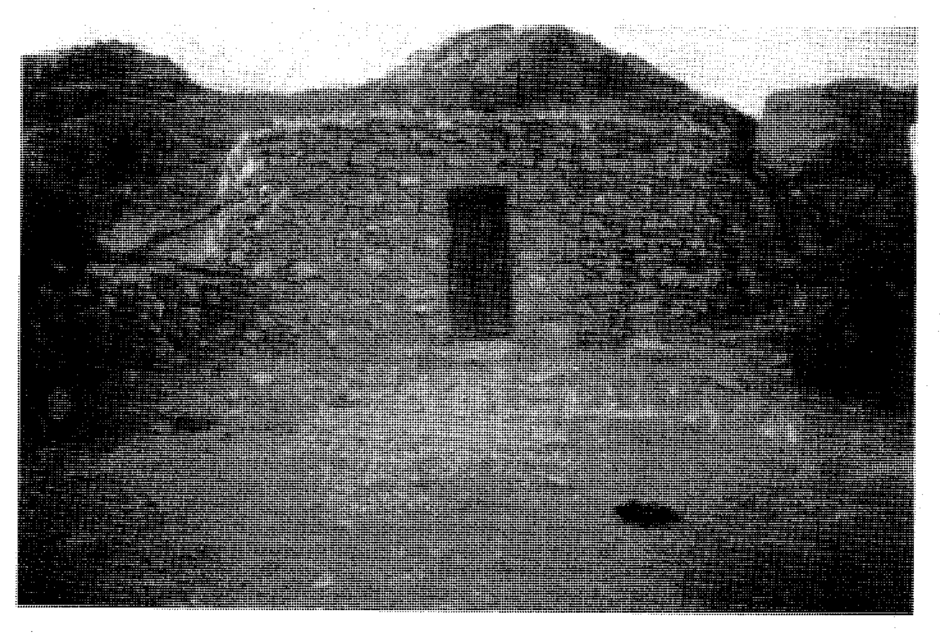
---

(١) Spencer, Op. Cit., P. 26.

(٢) Dicken, S., & Pitts, Op. Cit., O. 308.

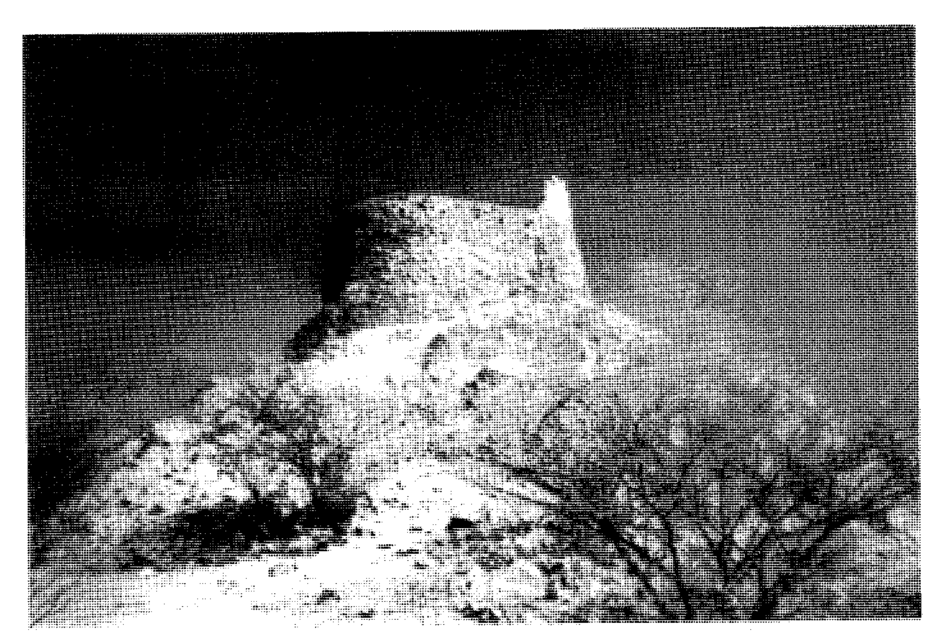
(٣) فالح حنظل ١٩٧٨ - مرجع سابق - ص ص ٣٢٢ - ٣٢٣. وراجع المؤلف نفسه في كتاب الشحوح المطبوع سنة ١٩٨٧ صفحات مختلفة.

والصيف، وثانيهما التي تبنى من أجل الفصل الشتوي وفي الحالتين تقام الجدران أساساً من الحجارة، ويراعى وجود بعض فتحات ضيقة للغاية تعمل كمنافذ أو نوافذ لهذه الأشكال العمرانية التقليدية في الجبال، وصورة (٣٨) توضح نموذجاً للمنازل أو المساكن الجبلية، ويطلق على مثل هذا النوع من المساكن الجبلية في المنطقة الشرقية من الإمارات (العنة) أو (الصفة). وقد يلحق بالمبنى الأصلي المشيد بالحجارة مبان ملحقة قريبة منه كلها من الأحجار أيضاً، ومن ذلك (الجدرة)، وهي بناء صغير لحفظ دواجن القوم، كذلك توجد بجوار المسكن بعض مرافق المسكن مثل «التنور والموقد». ويطلق أحياناً على سكان الجبال هؤلاء «أهل الحجر» في مقابل «أهل الرمل» من البدو. وقد تسقف المساكن الجبلية بمواد مشتقة من النخيل أو وبر الحيوانات، وعادة ما يحفر في



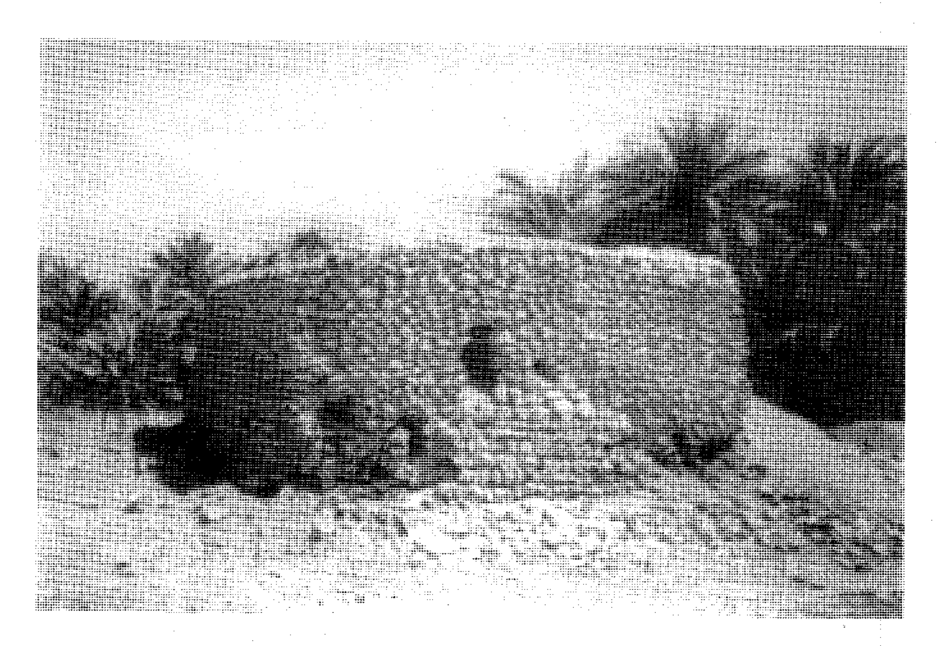
الصورة ٣٨ / نموذج لمسكن تقليدي جبلي في وادي سدر

الصخور مساحة تحدد مكان البناء المراد تشييده الذي يتميز عادة بصغر مساحته وحجمه قياساً بالأنواع السالفة الذكر من المساكن، كما في صورة (٣٩). وتتميز هذه المساكن بفقر مظهرها وضآلة

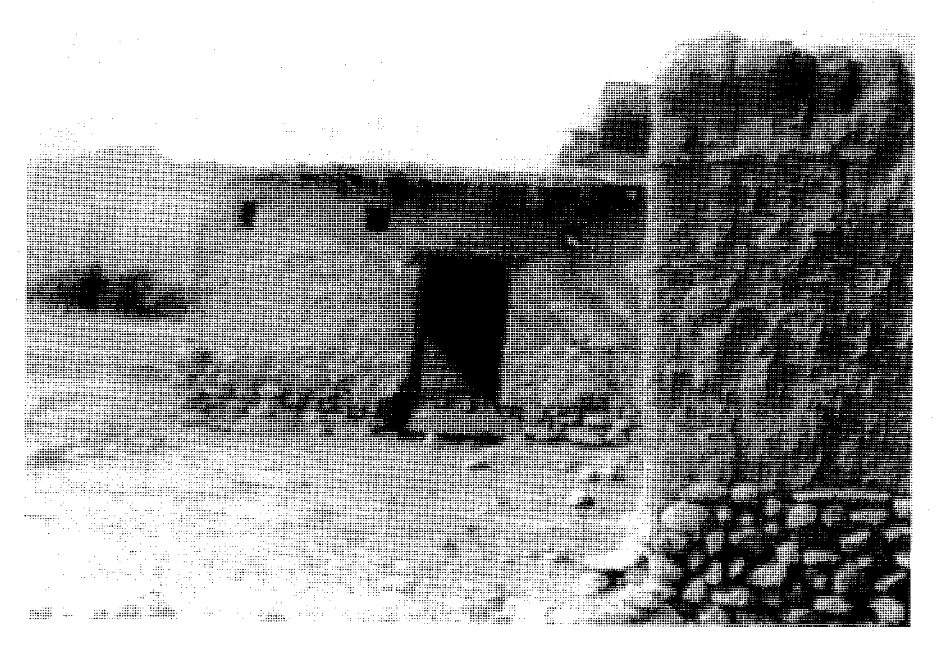


الصورة ٣٩ / المباني الجبلية في المنطقة الشرقية وصغر مساحتها واستخدام الصخور بدون مادة لاحمة

شأنها وقلة تأثيثها من الداخل كما في صورة (٤٠) وتمثل مسكناً جبلياً في منطقة زكت. وأحياناً تستخدم الصخور في دعم أسس المنازل، كما في صورة (٤١)، وصورة (٤٢) توضح منزلاً جبلياً في وادي السدر. ويرتبط بالعمران الجبلي ملمح عمراني مهم هو الحصون والقلاع التي تخيرت مواضعها عموماً مناطق جبلية حصينة تشرف على المنطقة المراد حمايتها والحقيقة أن الحصون والقلاع لازمت دوماً العمران البشري في دولة الإمارات. وقامت بدور الحماية والدفاع، سواء ضد قوى العدوان في



الصورة ٤٠ / مثال لمسكن جبلي في منطقة زكت



الصورة ٤١ / مثال لمسكن جبلي تدعم الصخور الجزء الأسفل منه



الصورة ٤٢ / منزل جبلي من وادي السدر

الداخل، ومنها الحروب بين القبائل (١) ، أو ضد المعتدي الأجنبي من دول أوروبية عديدة – كانت لها أطماعها في منطقة الخليج بعامة، وذلك بدءاً بالتوغل البرتغالي في المنطقة، ولذلك كان يراعى في هذه الحصون والقلاع أن تشرف على المنطقة التي يُراد حمايتها، وتحتل لذلك مواضع متميزة (٢). وكذلك كان من الأمور التقليدية أن هذه القلاع والحصون تركزت في الجبال، ليسهل عليها القيام بوظيفتها، وإن كان من الشائع أن كل محلة عمرانية، حتى في غير الجبال، لها قلعتها وأحياناً عدة قلاع،

---

(١) لتعرف ذلك تفصيلا: راجع – محمد مرسى عبدالله – دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها، دار القلم – الكويت– الطبعة الأولى – ١٩٨١ صفحات متعددة.

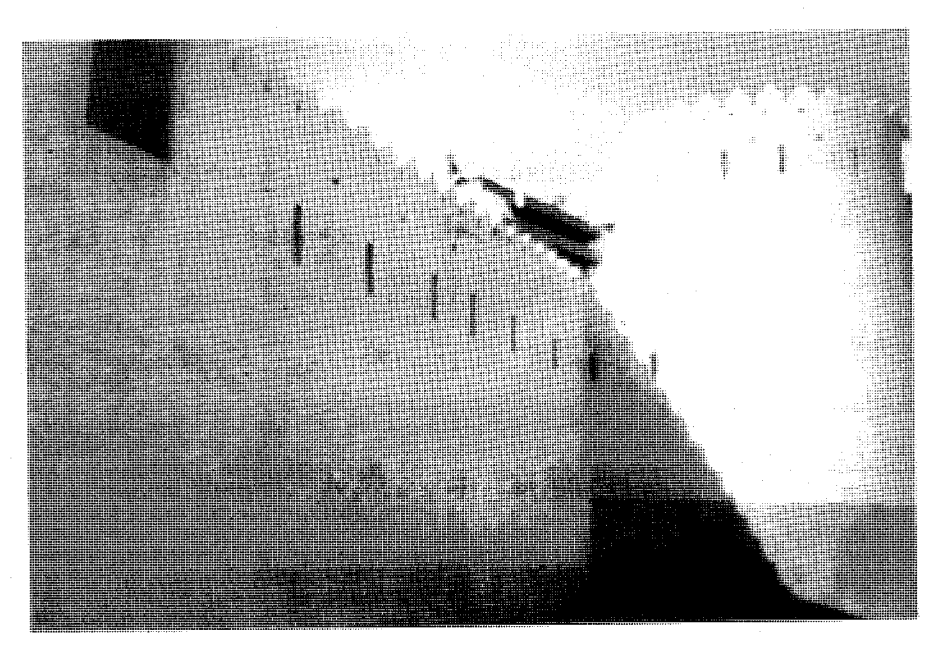
(٢) حسن أبو العينين ومحمد مدحت جابر – المواضع العمرانية في المنطقة الشرقية من دولة الإمارات العربية المتحدة، والعوامل الجغرافية التي أثرت فيها – معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة – العدد ٣٠ من سلسلة الدراسة الخاصة.

ومساكن قبائل الشحوح منال للعمران الجبلي (*). وفي حالة بناء القلعة في المدن تكون سكناً للحاكم، ويكون حولها ساحة، وأحياناً كان يطلق على القلعة تسمية «قصر»، وعادة لا يطلق اسم المدينة على القلعة بل يطلق اسم القبيلة الحاكمة أو اسم المنطقة، ومن ذلك أن يطلق على حصون إمارة أبوظبي أسماء آل فلاح وآل نهيان، وعلى حصون الشارقة اسم القواسم، وعلى حصون الفجيرة اسم الشرقي، وهكذا. ومن أنواع هذا العمران الجبلي الدفاعي ما يعرف «بالأبراج» وهي مستديرة أو مربعة للحراسة. وتقام عند حواف المدن، وأحياناً تكون جزءاً من سور المدينة، كما كان الحال في الماضي في الشارقة وعجمان ورأس الخيمة وهي تعد خط الدفاع عن المدن. ويمكن تمييز طرازين من الحصون والأبراج أحدهما عربي. والآخر فارسي(١). وعادة ما كانت الأبراج والحصون تجهز لتصد لمدد طويلة، ويكون داخلها الغذاء ووسائل الدفاع. كذلك كان من وظائف الأبراج دعم المباني وأركان جدرانها، والدفاع وحماية مواقع الآبار والبرك والعيون والأفلاج، والاستطلاع والمراقبة في حالات الأفراح، أو هجوم العدو، وظيفتها أيضاً كمنارة لقوافل الطرق البرية ولهداية السفن (راجع عبد الستار عزاوي، جمال الشحي (ص ص ١٧ - ٢٤٨). وهناك عشرة أبراج مراقبة في إمارة أبوظبي ماعدا البرج الكبير الذي يكون جزءاً من حصن الجاهلي، والبرج الذي يقع في قلعة مريجيب، وقد أحصت «ريم المتولي» ٩٩ برجاً وحصناً وقلعة في دولة الإمارات. (ص ص ٩٩ - ١٠٠). وقد تحولت بعض هذه

(*) ينقسم الشحوح إلى شحوح البدا (البدو) في الجبال وشحوح الحضر في المناطق الساحلية - راجع فالح حنظل سنة ١٩٨٧ (ص ص ٢٤٧ - ٢٥١).

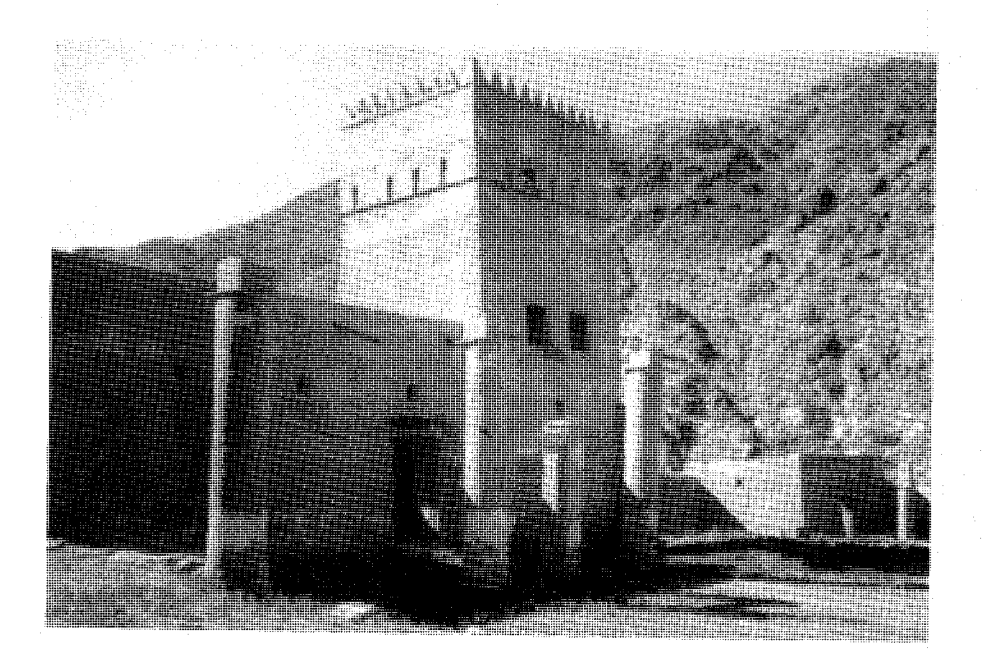
(١) ناصر حسين العبودي - آثار الخليج العربي - الجزء الأول - آثار الشارقة - ١٩٨٧.

القلاع إلى متاحف الآن، ومنها متحف مدينة العين ومتحف دبي الذي يُعرف بقلعة الفهيدي، وبعض هذه القلاع موغل في القدم يدل على طبيعة العمران المضطرب في الماضي، ومنها قلعة الفجيرة وعمرها أكثر من ٣٠٠ سنة، وهي أساساً من الأحجار والطين والمدر، الذي يزيد من مقاومة البناء للعوامل الجوية، وقد توجد داخل القلعة جسور تربط بين أجزائها، كما توضح الصورة (٤٣) أحد حصون وقلاع الفجيرة للحماية والدفاع في مناطق سهلية، وكان بعضها يبنى في مناطق استراتيجية

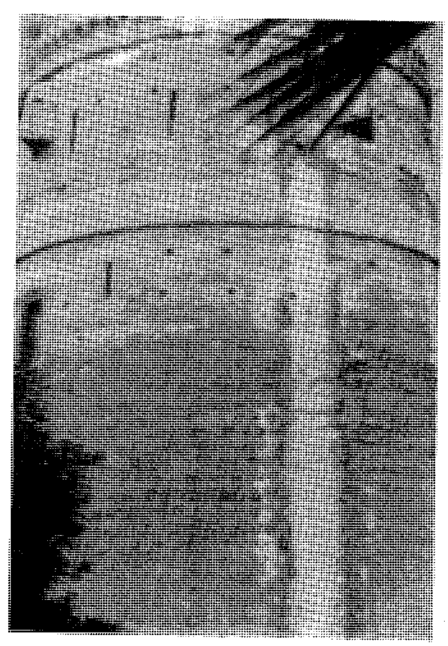


الصورة ٤٣ / القلعة نموذج لعمران الحماية بالدفاع تربط الجسور بين اجزائها

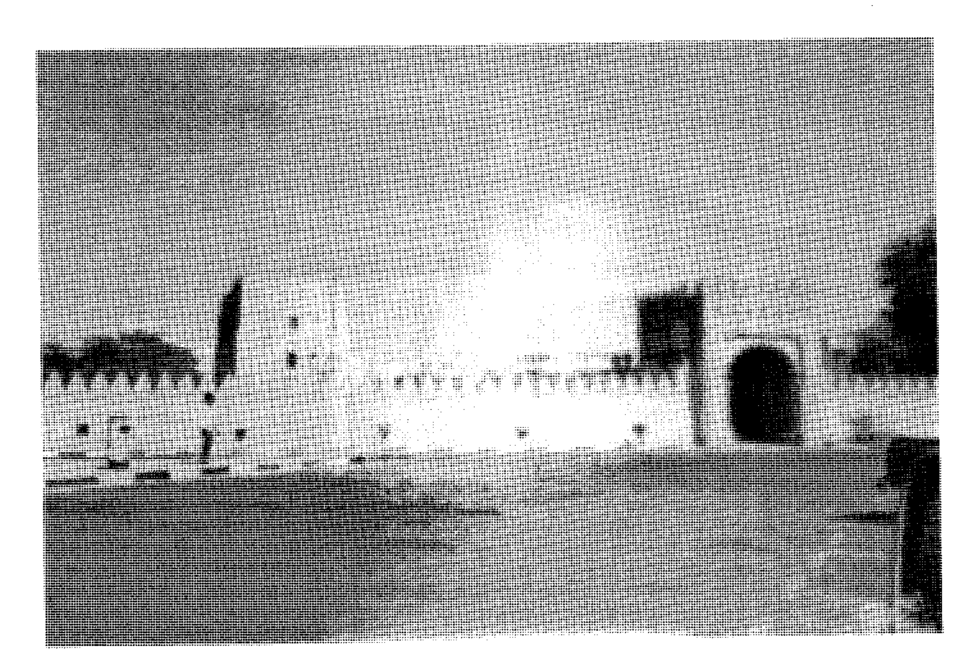
جبلية للحماية والدفاع وتوضحها صورة (٤٤). وتوضح الصورة (٤٥) نموذجاً للفتحات التي كان يتم من خلالها التخاطب مع الغير، ويكون من في داخل القلعة في أمن من الإصابة، والصور من (٤٦ إلى ٤٨) تمثل نماذج للقلاع. ويعد عمران الجبال شائعاً في كثير من مناطق العالم لا



الصورة ٤٤ / قلعة وحصن في منطقة جبلية في الفجيرة



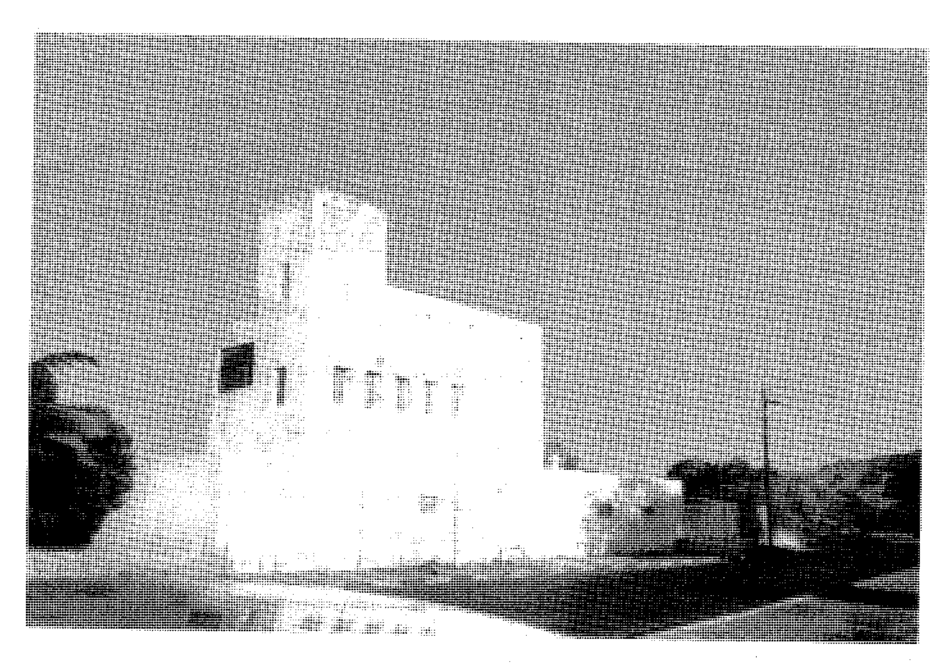
الصورة ٤٥ / نموذج للفتحات الخاصة بالمحادثة في القلاع والحصون



الصورة ٤٦ / قلعة المربعة - مدينة العين



الصورة ٤٧ / قلعة الجاهلي - مدينة العين



الصورة ٤٨ / قلعة دبا - دبا

سيما في المناطق الحارة الرطبة والأفريقية، حيث يقلل الارتفاع من درجة الحرارة. وفي أفريقيا يستخدم الحجر في المباني التقليدية، إما في أسس المباني وإما في جدرانها وفي حوائط المسكن التقليدي المعروف (بالكرال Kraal)، وكذلك تشيع المساكن الجبلية في جبال النوبا (Nuba) في غرب السودان، وهناك أمثلة للعمران الجبلي التقليدي في هضبة جوس في نيجيريا، وفي تنزانيا وفي أفريقيا الوسطى وغانا أيضاً (١). وقد حفظت الآثار دلائل عديدة لهذا العمران الجبلي، ولعلّ أهمها تلك المحلة العمرانية الأثرية القديمة أو القرية المحصنة (Fortified Village) المعروفة باسم Sheba)، أو حصن شمل»، وهي تقوم على هضبة طبيعية تعطيها مزيداً من القوة والمنعة، وتحيط بها الانحدارات من كل جانب، وحتى المدخل

(١) Denyer, S., Op. cit., P. 161.

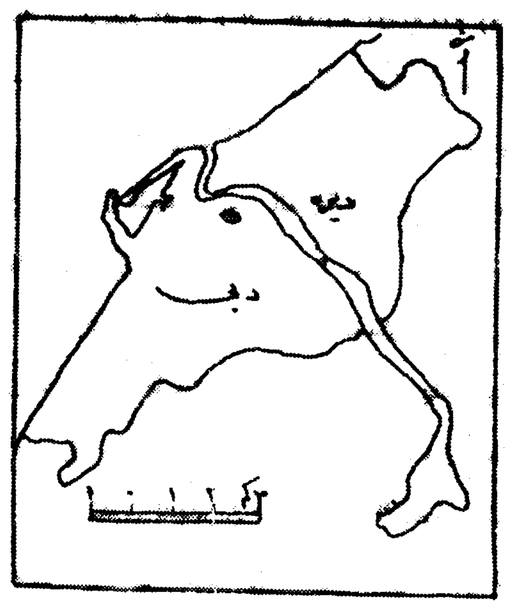
الرئيسي إليها عن طريق الوادي، وهو طريق مدرج يصعب ارتقاؤه، ويرجع الموضع إلى الفترة الإسلامية (١). ويمكن لنا تعرف المساكن التقليدية الجبلية في كثير من مواضع إماراتي الفجيرة ورأس الخيمة، وفي بعض جهات المنطقة الشرقية عند مقدمات الجبال، حيث يوجد نماذج للعمران الجبلي، التي يمكن نقلها من مكان إلى آخر، وترفع عن الأرض قليلاً؛ لتكون بمنأى عن هجوم الهوام والحشرات والمزيد من ترطيب المسكن، وهي تشيد من دعائم رأسية عند الأطراف وجدرانها من (الدعن) وتسقف بالجريد والخوص، الذي يكون مجدولاً والذي يسهل الحصول عليه من المناطق القريبة من مقدمات الجبال. وقد تكون الجدران أحياناً من الحصير.

ثانياً - العمران الحضري التقليدي :

عرفت دولة الإمارات العربية المتحدة الحياة الحضرية منذ مدة طويلة، وساعد ازدهار العلاقات التجارية منذ القدم على نمو المدن لاحظنا ذلك عند التطرق لموضوع الجغرافية التاريخية للعمران. ويلاحظ أن المنزل الحضري التقليدي يتمثل أحسن ما يتمثل في منازل مدينة دبي، وهي من أقدم مراكز التجارة الحضرية في الإمارات والخليج بعامة. ويمكن أن نجد أمثلة لهذا المسكن التقليدي في حي البستكية الغني بمساكنه التقليدية، ويوضح شكل (٣) موقع البستكية بالنسبة لمدينة دبي. ويتميز المسكن التقليدي الحضري بخصائص معينة، بعضها يعد استجابة للعوامل المناخية، وبعضها استجابة للوظائف المختلفة التي اضطلع بها ذلك المسكن التقليدي. كذلك يبدي المسكن التقليدي الحضري اتفاقاً مع

---

(١) Kay, S., Op. Cit.



شكل (٣) موقع حي البستكية بالنسبة لمدينة دبي

الخصائص المعمارية الإسلامية، التي تتمثل في الإمارات وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، ويمكن أن نجمل هذه الخصائص فيما يأتي:

١- التعبير العضوي لعمارة المسكن التقليدي (١) :

أي البناء دون خطة صارمة ملزمة، ويتمثل ذلك في أن المسكن يراعى في بنائه أن يكون قابلاً للتوسع والزيادة مع نمو حجم الأسرة، إذ إن سكانه كانوا أساساً من الأسر الممتدة، ولذلك كانت المحال العمرانية أيضاً تنمو عضوياً من الخارج؛ أي مجموعة المساكن التقليدية تنمو من الداخل ذاتياً، لكل منها داخل الفناء، ومجموعة المساكن مع بعضها المكونة منها المحلة العمرانية أيضاً سواء أكانت مدينة أم قرية، وصورة

(١) عبد الباقي إبراهيم - تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينةالإسلامية المعاصرة - مركز الدراسات التخطيطية المعمارية - القاهرة - ١٩٨٢ - ص ٥١.

(٤٩) توضح النمو العضوي كما يوضحه النسيج العمراني منذ القدم متمثلاً في مساكن دبي على الخور.



الصورة ٤٩ / النمو العضوي للعمران التقليدي على خور دبي

٢- التركيز في الداخل :

وهو مبدأ معماري مهم في الإمارات ودول الخليج الإسلامية ويحاول التوفيق بين كرم الضيافة العربي، والحفاظ على خصوصية أهل المنزل في الوقت ذاته، و من هنا كان التركيز مثلاً على وجود «المجلس» الفخم المتسع، وفناء فسيح أيضاً يفي بحاجات أهل المنزل، ويحفظ خصوصيتهم أيضاً عن طريق السور الذي يحيط به (الطوفة)، وأحياناً يوجد بالمنزل الحضري فناءان، أحدهما لمسايرة الحياة العامة والآخر خاص بالأسرة (١). كذلك لعبت العوامل المناخية أيضاً دورها في توجيه العناصر المعمارية إلى الداخل بعيداً عن الجو الخارجي الحار، ومن هنا

(١) Abdullah, I.M., Op. Cit., P. 34.

يمكن القول: إنّ الطابع المعماري للمسكن التقليدي نتاج عوامل مناخية واجتماعية.

٣ - الاتجاه إلى الأفقية (١) (Horizontality) :

سواء أكان في المسكن المنفرد، أم جملة مساكن «الفريج» أم الحي. فالقليل من المساكن تكون من طابقين أو أكثر، لذلك تميزت المساكن التقليدية بالاستمرار الكتلي والتداخل الفعلي. كذلك تميز التركيب العمراني للأجزاء القديمة من المدن بالتجمع في نمط عمراني مندمج (compact)، مع شبكة متعرجة وضيقة من الطرق «السكيك» ،وهو ما يوجد أيضاً في دولة خليجية مجاورة هي المملكة العربية السعودية (٢).

٤ - الاستجابة لتأثير المناخ :

يتمثل في صورة جدران سميكة من الطوب اللبن أو الأحجار المرجانية لخاصيتها الفائقة في العزل الحراري، كذلك تقليل الفتحات والنوافذ وتضييق مساحتها، فيما عدا فتحات، «المجلس» ونوافذه الذي يغشاه الزوار والضيوف. كذلك تقارب المنازل من أجل مزيد من الظل، ومحاولة خلق جو مضاد داخلي لما هو موجود في البيئة الخارجية، وهي قاعدة أساسية من قواعد العمارة الإسلامية، وهي التضاد العضوي البيئي (Environmental contrast)(٣). ومن

---

(١) حسين وهبي - التراث المعماري في البيئة العربية - عالم البناء - العدد ٣٦ - اغسطس ١٩٨٣ - ص ص ٢٦- ٢٨.

(٢) ناصر عبدالله الصالح - المؤثرات والأنماط الجغرافية للعمارة التقليدية بالمملكة العربية السعودية - من أبحاث الندوة العالمية عن العمارة الإسلامية والتخطيط - الدمام - ١٧- ٢٢ صفر سنة ١٤٠٠هـ - مطابع المقاصد الإسلامية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م، ص ٢٥.

(٣) توفيق أحمد عبدالجواد - تاريخ العمارة والفنون الإسلامية - دار وهدان للطباعة والنشر بدون تاريخ نشر، ص ٨.

هنا وُجد الفناء ووجد الليوان، وزرعت الأشجار داخل الفناء من أجل مزيد من الظل. وفي منازل الأغنياء وجدت «النافورات والفسقيات» من أجل خلق جو يختلف عن البيئة الحارة الخارجية القاسية. وكان «البارجيل» أعظم استجابة خليجية لتأثير المناخ وحيث يقذف بالهواء البارد نحو أسفل المنزل فيلطفه في المدن الساحلية بالإمارات خاصة، وسوف نعالج وظيفة «البارجيل» عند الحديث عن تركيب المسكن الحضري الداخلي.

وقد أدت مجموعة الاستجابات من كل المساكن التقليدية لظروف المناخ إلى جعل المنطقة العمرانية الحضرية التقليدية ألطف حرارة عموماً، وبخاصة أنها تتقارب وتسقط الظلال على الجدران كافة، ونتيجة تقاربها ينشأ تيار هوائي لطيف، يسهم في ترطيب المبنى. يُضاف إلى ما سبق ذكره أنّ بعض المساكن التقليدية كانت بروزاتها تتجه للخارج طلباً للظل في بعض جوانب المبنى، وهو ما أخذت به أحياناً بعض مدارس العمارة العالمية مستمدة ذلك من عناصر العمارة الإسلامية التي اكتشفت هذه الحلول الملائمة لراحة السكان منذ مئات السنين.

٥- الاتجاه إلى التجريد :

وبدا ذلك في عدم الاهتمام أحياناً بأعمال البياض والتكسية من الخارج، عكس الحال في داخل المسكن التقليدي، وتجلّى التجريد في تبني الرسوم الهندسية ورسوم النباتات في الزخرفة، والبعد عن رسم الأشخاص والكائنات الأخرى وعموماً فالمسكن التقليدي كان يتميز عموماً بالصراحة في التعبير (١).

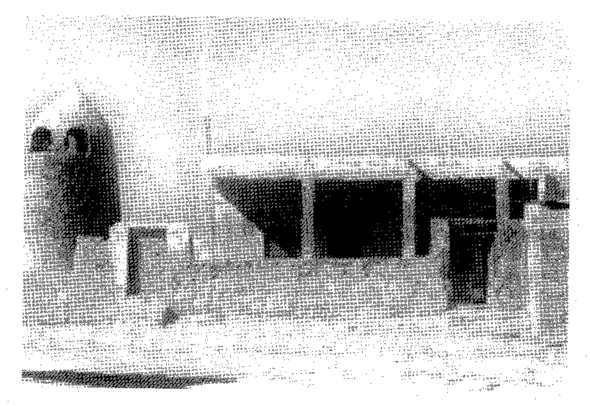
(١) إبراهيم عثمان – العمارة في البحرين – مرجع سابق ص ص ٣١- ٣٤.

٦- الاستجابة لعنصر الأمن والحماية :

حيث كانت الحياة قاسية في الماضي، وكانت المدن تتعرض أحياناً للعدوان والهجوم، سواء أكان من قوى داخلية أم خارجية، بوصفها مراكز للثروة في بيئة صعبة، لذا حاولت خطة وتركيب المسكن الحضري التقليدي تحقيق الأمن والحماية للسكان دائماً، بل إن بعض المساكن كان يصمم على شكل قلعة، ويستخدم للسكن والدفاع في آن واحد، وذلك كما في القلاع المسماة بالمربعة في منطقة فريج المرور في دبي وفي وسط مدينة العين أيضاً (*).

٧- الاستجابة للمؤثرات الاجتماعية :

وتوجيه منازل كل «فريج» إلى منطقة معينة من المدينة، ولاتزال المدن تحمل أسماء هذه الفرجان حتى الآن في مناطق الإمارات كافة وكان المسجد يمثل عنصراً مهماً في الفريج، وصورة (٥٠) توضح ذلك، وكانت الفرجان وحدات جغرافية واجتماعية خاصة.



الصورة ٥٠/ المسجد كعنصر معماري مهم في «الفريج»

(*) كان الأمن والحماية من وظائف محلات العمران في كل البيئات الجغرافية عبر العصور – راجع أ- محمد مدحت جابر سنة ١٩٨٥، ب – Hudson 1976, 41.

٨- التأثر بالمؤثرات الخارجية :

ونتج ذلك عن نشاط التجارة الخارجية النامية بين سكان الإمارات ودول المحيط الهندي والخليج العربي، فجلب ذلك إلى مراكز العمران العديد من المواد والتأثيرات والأفكار، التي نفذت في منازل المدن التقليدية، وقد تمثل ذلك في مواد البناء، ومن أهمها الجندل الذي جلب من شرق أفريقيا والهند وغير ذلك، وأعواد «الباسكيل» وقصبه أيضاً من جنوب العراق، والأعمدة الجاهزة والأبواب من الهند، والأعمدة والرخام من إيطاليا، وكثير من المواد من إيران وباكستان والعديد من أنواع الأثاث المنزلي أيضاً داخل هذه المنازل التقليدية. ولعلّ من أهم الأفكار المنقولة والمنفذة في الإمارات أبراج الهواء المسماة بالبراجيل والتي نقلت فكرتها من إيران، وظلت حتى مقدم عهد البترول وسيلة التكييف الناجحة الطبيعية في مدن الإمارات، وقد تجلت مثل هذه المؤثرات الأجنبية أيضاً في طراز بعض المباني وزخرفتها، وفي طراز الحصون والقلاع التي تأثرت أساساً بالطابعين العربي المستمد من الجزيرة العربية ومن الطابع الفارسي «الهرمزي» المستمد من إيران. ولم تكن هذه التأثيرات الأجنبية وقفاً على العمران الحضري في الإمارات، بل تأثرت بها مناطق قريبة أيضاً مثل السعودية، التي يسود في أجزائها الشرقية طراز من «ملاقف الهواء» شبيهة بالبراجيل الموجودة في الإمارات (وذلك لقرب المنطقتين من إيران)، بينما نجد المناطق الغربية والمطلة على البحر الأحمر بالسعودية يسود فيها ملاقف الهواء التقليدية (١) في صورة «المناور» أو الفتحات في أعلى الأسطح. كذلك كانت مناطق السعودية الشرقية متأثرة بالسلع التي جاءت من الخارج وأثرت في عمرانها

---

(١) ناصر عبدالله الصالح – مرجع سابق – ص ٣١، ص ٤١.

وبخاصة ما كان يرد إليها من زنجبار وشرقي أفريقيا عموماً من أشجار اللبخ والمانجروف.

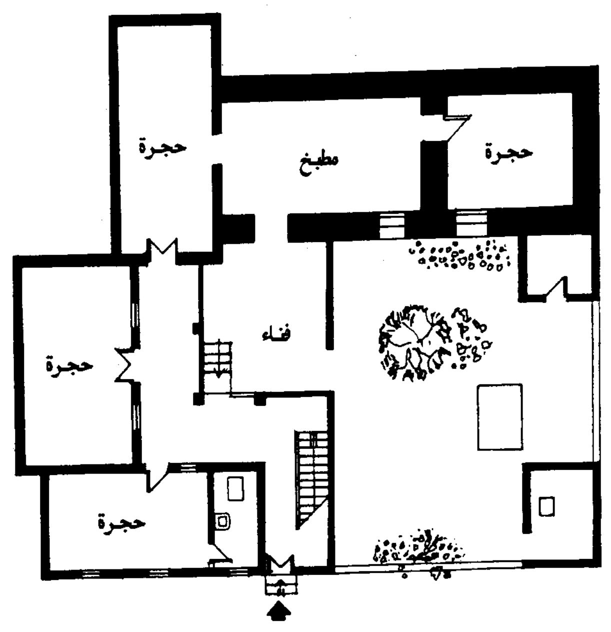
وهكذا نرى أن شكل العمران الحضري التقليدي وطابعه في الإمارات كان محققاً للمبدأ المعماري الخاص بأن الشكل يتبع الوظيفة، ونظراً لنجاح العمران التقليدي في ذلك استفادت بعض دول الخليج، مثل الإمارات والسعودية من بعض عناصر عمران الماضي التقليدي، وقد تجلّى ذلك في الإمارات في خطط توطين البدو الرحل في مراكز ريفية وحضرية مستقاة من الخطة القديمة للعمران التقليدي، ولذلك انتشرت هذه الأشكال التي تجمع بين القديم والحديث والمسماة بالمساكن القليلة الكلفة، أو ما يعرفه السكان في الإمارات بالشعبيات. وفي المملكة العربية السعودية يراعي الإسكان الحديث الآن بعض الأبعاد المستقاة من عمران الماضي التقليدي بعد ما أخفقت الأبعاد الحديثة وحدها في الوفاء بحاجات السكان (١). وقد كانت بعض المنازل الحضرية التقليدية آية في الفن الهندسي التقليدي، ويعد بيت الشيخ سعيد آل مكتوم في دبي مثالاً لذلك، وكذلك قصر الشارقة القديم، وصورة (٥١) توضح بيت الشيخ سعيد آل مكتوم - ويلاحظ أن تخطيط المنازل التقليدية في دول الخليج كافة ومنها دولة الإمارات العربية المتحدة كان متشابهاً لتشابه الظروف الطبيعية والجغرافية، والتشابه الحضاري الاجتماعي أيضاً، والاشتراك في الدين الواحد، وشكل (٤) يوضح مسقطاً أفقياً في منزل تقليدي بحريني، وهو ما يتفق مع نظيره في دولة الإمارات العربية المتحدة في الخطة والوظائف.

---

(١) الطالب هاني القحطاني - ارتباط الشكل بالوظيفة في الإسكان الريفي بالمنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل للعمارة والتخطيط - جامعة الملك فيصل الدمام - العدد الأول- ذو القعدة - ١٤٠١هـ- سبتمبر ١٠٨١ م، ص ص ١١- ١٢.



الصورة ٥١ / بيت الشيخ سعيد المكتوم مثال للعمران التقليدي الرائع



شكل (٤) مسقط أفقي لمنزل تقليدي

الفصل السابع

التركيب الداخلي للمنزل التقليدي
فـــي دولـــة الإمـــارات العربيـــة المتحـــــدة

يعكس التـركـيب الداخلي للمنزل التـقليـدي في الإمـارات مـا سـبق الحديث عنه من استجابة للظروف الجغرافية والاجتماعية السائدة، وفيما يأتي دراسة تفصيلية لأهم عناصر التركيب الداخلي للمسكن التقليدي.

١- الغــرف :

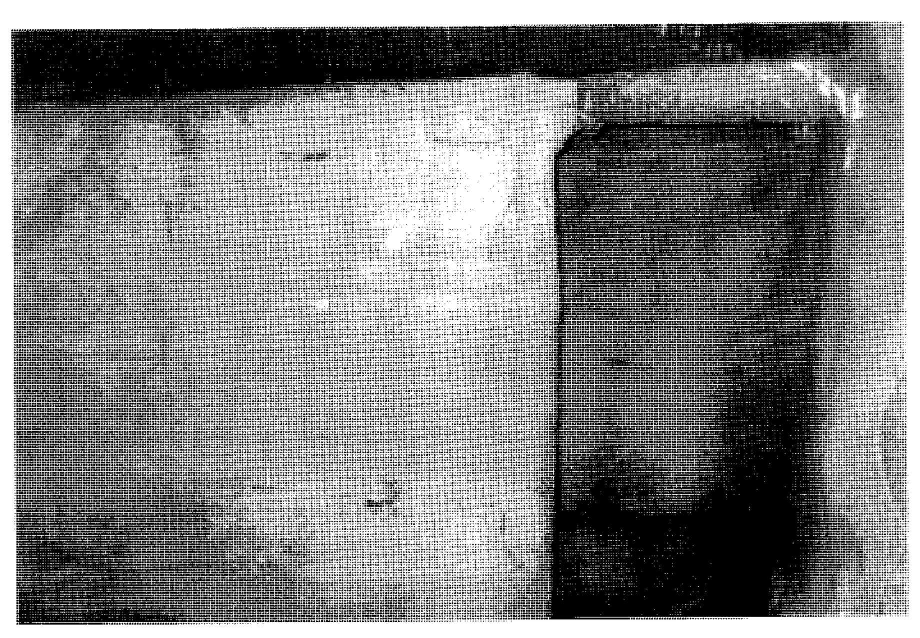
يطلق أحـياناً على الغرفـة اسم «مـخـزن»، والغرف لهـا طرازان، الأول شتوي وهو مـا يطلق عليه تعبير مـخزن، وتكون في الطابق الأرضـي من الدار، أمـا مـا يسـمى غرفـة، فـهي الغرفـة التي تقع في الطابق الثـاني من الدار (١)، وصـورة (٥٢) توضـح المخزن، أي الغرفة الواحـدة. وقد لا يكون للغـرفـة نوافـذ إذا كـانت تطل على الشـارع، ويكتـفى ببـعض الفـتـحـات الصغيرة المسماة «مـصابيح»، وللحجـرة بـاب، و في الحجرات المخصـصة للنـوم يوجـد، في جانب منهـا، مـا يعـرف باسم «مـسـبح» أو «زوية»، وهو الحمـام الملحق بغرفـة النوم ولكن ليس بداخله مرحـاض، الذي يكون في مكان خـاص من المنزل، ويطلق على هذا الأخـير اسم (أدب) أو (مطـهر). وتوضـح صـورة (٥٣) مـثـالاً للمـسـبح. وفي تخطيط غـرف المنزل يراعى تخـصـيص غـرف للذكـور وأخـرى للإناث من أهل المنزل، كـذلك يراعى

---

(١) فالح حنظل - مرجع سابق - ص ٥٦٢.



الصورة ٥٢ / نموذج للمنزل التقليدي من نوع المخزن أي الغرفة الواحدة



الصورة ٥٣/ نموذج للمسبح

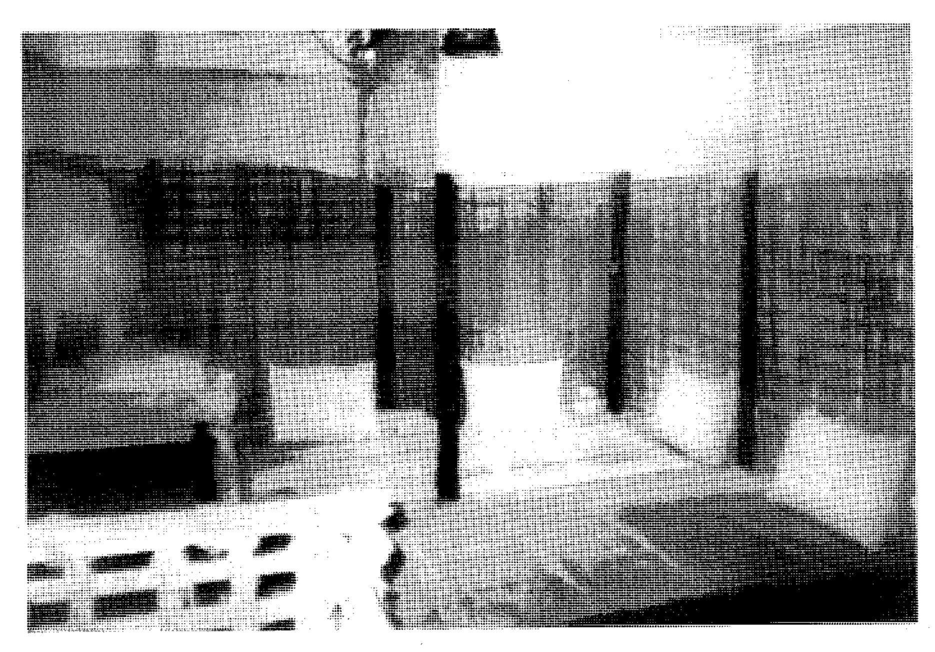
الفصل بين الغرف المستخدمة كلية من قبل أهل المنزل والمستخدمة من الزوار أو الضيوف. ويطلق على غرف الضيوف هذه اسم «المجلس» أو «الديوانية» وإمعاناً في الفصل في تركيب المنزل يكون للمجلس مرافقه المستقلة من حمام ومكان لعمل القهوة وما إلى ذلك منفصلة تماماً عن بقية أجزاء المنزل التقليدي الحضري، مشيدة على مبدأ البناء الكتلي المحمول على دعائم وعمد (١) . وفي أنواع الغرف كافة نجد سقوفها من أعمدة خشبية هي الجندل، وقد يستخدم في ذلك جذوع النخيل. وأقدم الآثار في الإمارات تدل على استمرارية ذلك النمط حتى العصر الحديث، فآثار منطقة الهيلي تبين بعض الأعمدة التي حملت سقف الغرف المصنوع من مشتقات النخيل (٢). وكما سبقت الإشارة تكون النوافذ في غرف الطابق الأرضي في أضيق الحدود ماعدا غرفة المجلس، وذلك لأسباب مناخية واجتماعية. وتسمح «المصابيح» بتجديد الهواء والإضاءة. وإذا كانت الغرفة معدة كمجلس في الطابق الأرضي لاستقبال الزوار والضيوف فإنها تكون ذات نوافذ «درايش» كبيرة الحجم بصورة واضحة، كما تكون أقرب إلى مستوى الأرض. وفي بعض الأحيان لا يمثل ذلك مشكلة، إذا كانت غرف المجلس تطل على الفناء، وليس على الطريق العام، ولا يتنافى ذلك مع مبدأ الخصوصية؛ لأنه إذا كان المجلس يطل على الفناء فإن هناك عادة فناءاً آخر يخص أهل المنزل، وإذا كان المجلس يطل على الطريق فإن المجلس يستخدم من قبل الزوار وليس من

---

(١) Coles, a., & Jackson, P., OP. Cit., P. 81- 9

(٢) Coles, A.,& Jackson, Op Cit., P.8.

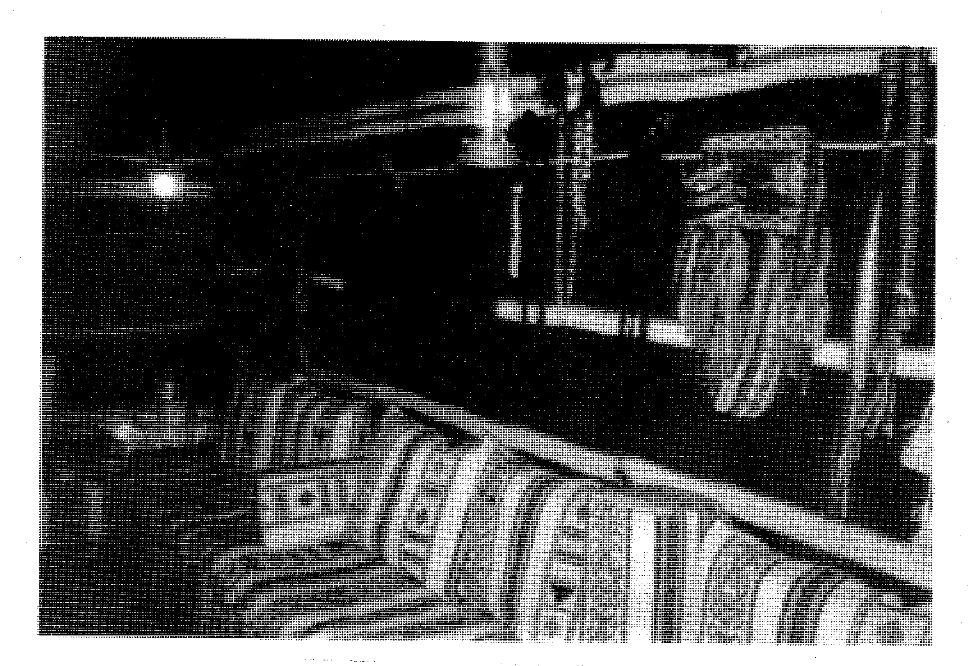
قبل أهل الدار. وصورة (٥٤) توضح نموذجاً لأحد المجالس المتواضعة،



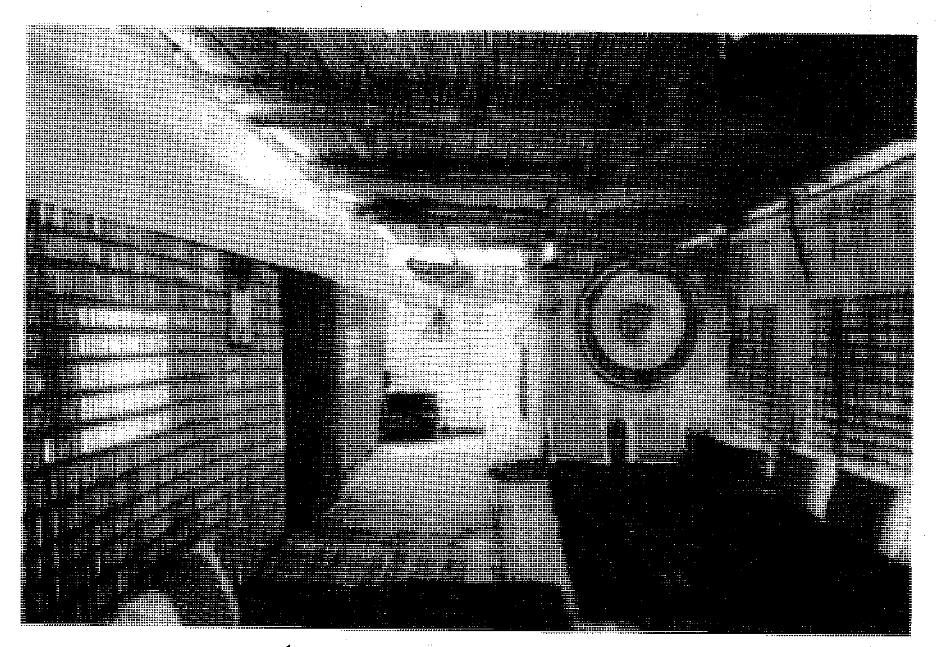
الصورة ٥٤ / نموذج لمجلس متواضع المستوى

كما أن صورة (٥٥، ٥٦) توضح نموذجاً آخر لمجلس أكثر رقياً. وإذا كانت الغرفة في الطابق العلوي كان لها نوافذ واسعة لتفي بوظيفة الغرفة كمكان صيفي يلطف الحرارة. وجملة القول: أن النوافذ والفتحات لها وظيفة معينة، هي التي توجه نمطها المعماري (١) . فضلاً عن النوافذ بشكلها المتعارف عليه، توجد في داخل الغرف نوافذ داخلية مجوفة محفورة في الجدران (يسمح سمك الجدار بذلك لعرضه الكبير). وهذه تستخدم لوضع الأغراض وبعض المستلزمات المنزلية. ولذا فهي «درايش»

(١) Rgette, P. 138.

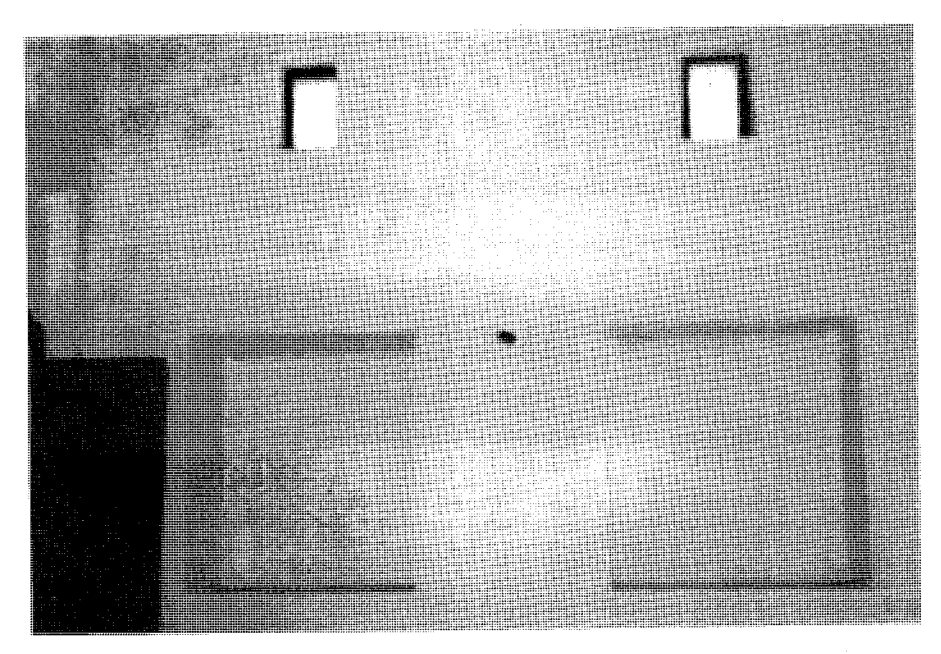


الصورة ٥٥ / نموذج لمجلس أكثر رقياً



الصورة ٥٦/ نموذج آخر لمجلس أكثر رقياً

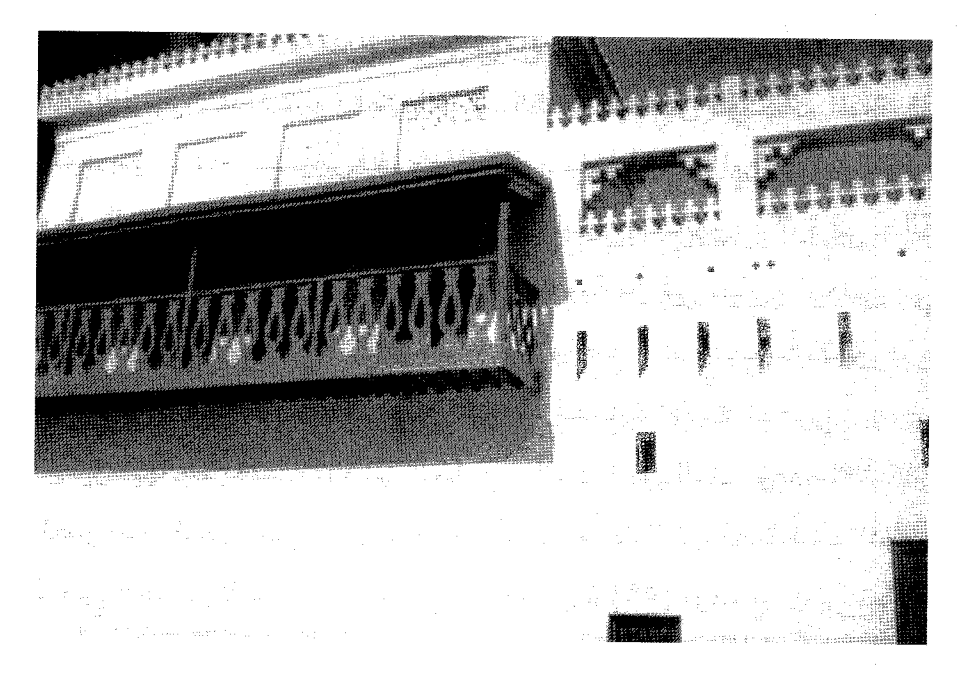
داخلية تسمى روزنة وصورة (٥٧) توضح نموذجاً لهذه النوافذ الداخلية، وهي أقرب إلى «الرفوف» الداخلية التي تجمل جدران الغرف من الداخل ومثل هذه المجالس قد يطلق عليها اسم ديوانية» وأحياناً اسم «مبرز» (١). ويلاحظ أنّ تركيب المنازل التقليدية الحضرية أكثر متانة وثباتاً من منازل الريف والمنازل الصيفية خاصة؛ إذ نجد على سبيل المثال أن النوافذ في غرف المنازل الريفية قد تصنع من سعف النخيل المربوط بحبال من ليف النخيل أيضاً، بينما تكون نوافذ مساكن الحضر أرقى. ويلحق أيضاً



الصورة ٥٧ / نموذج «للدرايش» النوافذ الداخلية لوضع الأغراض وتعلوها مصابيح لدخول الضوء

بالغرف الصيفية في المساكن الحضرية التقليدية شرفات علوية تساعد على تلطيف الهواء، وصورة (٥٨) توضحها.

(١) فالح حنظل - مرجع سابق ص ٢٣١.



الصورة ٥٨ / نموذج للشرفات

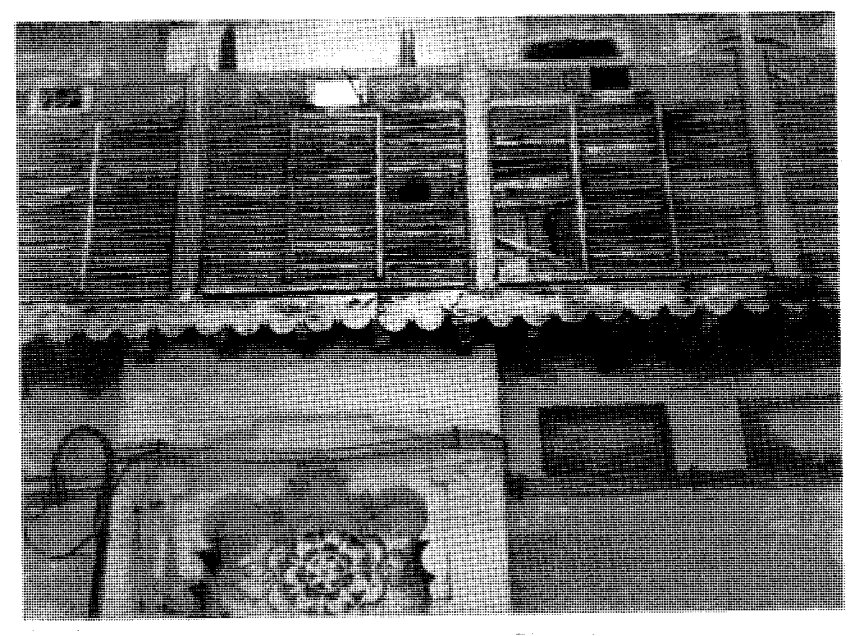
٢- الشرفات :

وهي تلحق أساساً بالغرف الصيفية في الطابق العلوي، ويراعى أن تزود بالسواتر والمشربيات، التي تسمح بتخلل الهواء دون السماح بالرؤية من الخارج.

٣- الحواجز :

وهذه تستخدم في أكثر من جزء في تركيب المنزل كالشرفات سابقة الذكر، وفي الحواجز أيضاً التي تفصل بين أماكن الضيوف وأهل المنزل، وتشيع في الأحياء الغنية بالتراث التقليدي، مثل منطقة البستكية في دبي. وقد تكون من الأخشاب في شكل شرائح أو خشب «معشق» أو من الجص، وقد تستورد من الخارج جاهزة لتركب في المنازل التقليدية، وقد تكون في شكل شبه منحرف (diagonal) أو دائرية (Louvred)، وقد

توضع فوق النوافذ والأبواب لتسمح بالإضاءة والتهوية دون الرؤية من الخارج. كذلك قد تجهز بعض الغرف الشتوية ببعض الفتحات المزخرفة المثبت فيها هذه السواتر لخروج الدخان منها أو الهواء الراكد. كذلك توجد الزخارف والحواجز في غرف الاستقبال «المجالس» بكثرة في حالة الرغبة في منع الضيوف من الذكور من رؤية مَنْ في خارج المجلس في فناء المنزل مثلاً إذا كان للمجلس فناء واحد (١). وعموماً تتفق هذه الحواجز والسواتر المزخرفة مع مبادىء العمارة الإسلامية، وإنْ جرى التأثير فيها بما جلب منها من الخارج، ولاسيما من الهند. وهذه الأشكال العمرانية تضفي على المنزل جواً جمالياً راقياً يتناقض أحياناً مع المظهر الكتلي الخشن للمنزل من الخارج (٢) وصورة (٥٩) توضح بعض نماذج



الصورة ٥٩ / نموذج للسواتر

(١) توفيق أحمد عبدالجواد – مرجع سابق – ص ص ٥٢– ٦٣.

(٢) Coles, A., & Jackson, PP. 10 - 16.

للزخارف والسواتر المستوردة من الخارج، التي كانت تنفذ في الفتحات والنوافذ والسواتر في الغرف الصيفية وبقية أجزاء التركيب الداخلي للمنزل الحضري التقليدي في دولة الإمارات العربية المتحدة.

٤- السور السطحي «الواريش» :

وهو ما يحيط بسطح المنزل من أعلى، ويكون بارتفاع مناسب يسمح بحجب رؤية مَن في الطريق العام، ويكون مفتوحاً في كل أجزائه ومخرجاً ليسمح بحركة الهواء، فيسهم في تلطيف درجة حرارة الجدران، وقد يكون «الواريش» من مادة بناء المنزل نفسها، أو يكون وحدات جاهزة تركب مباشرة، أو يكون من الخشب في أحيان نادرة.

٥- الدرج :

وهو السلم الذي يصل الطابق الأرضي بالعلوي، وعادة ما يكون في المساكن الريفية في شكل حلزوني، كما في صورة (٦٠). أما في منازل

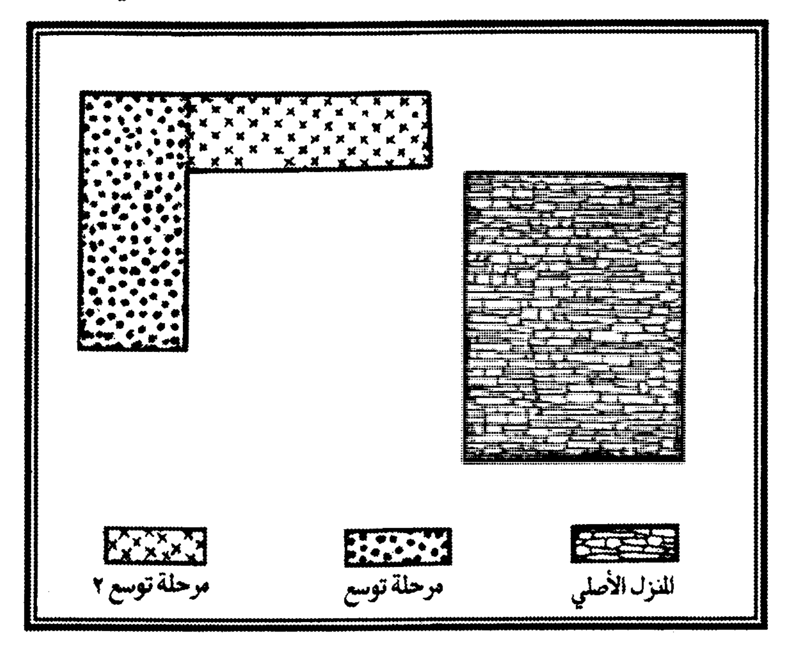


الصورة ٦٠/ نموذج للدرج (الدري)

المدن فقد يأخذ الشكل نفسه إذا كانت مساحة المنزل صغيرة، وقد يكون أكبر مساحة وعرضاً.

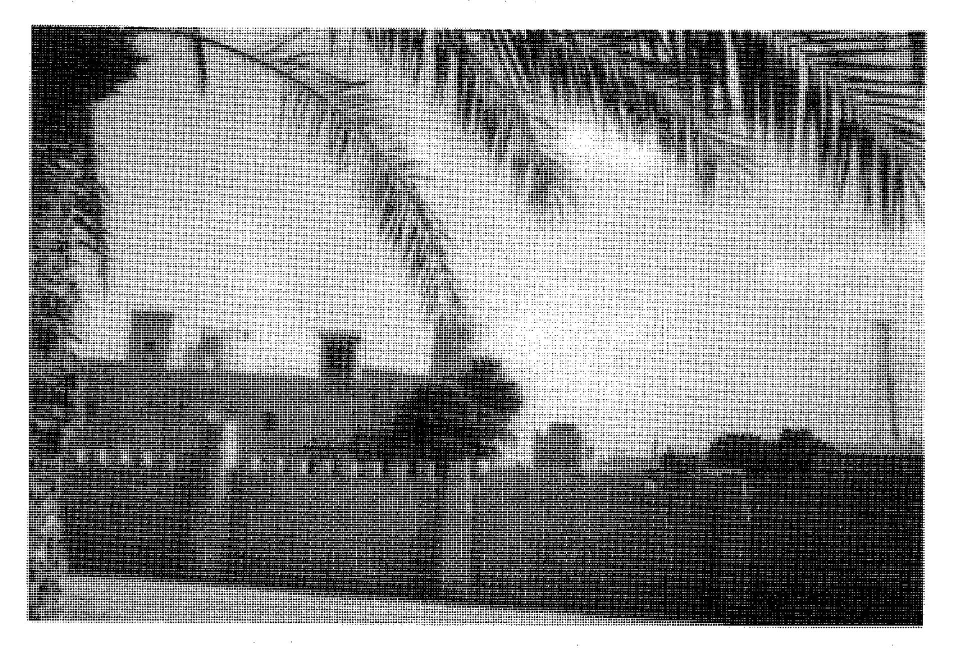
٦- الفناء - (الحوى) :

وللفناء مكانة بارزة في تركيب المنزل التقليدي، سواء أكان في الحضر أم في الريف، وهو قلب المنزل النابض، ومجال التوسع المستقبلي في السكن والإضافة لأجزاء المنزل، إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك، ويوضح شكل (٥) مراحل التوسع في المسكن التقليدي اعتماداً على مساحة الفناء. ويكون الفناء إما مربعاً وإما مستطيلاً، ويطلق عليه محلياً اسم (حوى)، وهو مكشوف يحيط به سور يحدد نطاق المنزل بالنسبة للشارع وبالنسبة للمساكن المجاورة، ويعزل المنزل عن الخارج؛ ليصبح ما يحيط به هذا السور داخلاً في نطاق خصوصية أهل المنزل، وكما سبق أن ذكرنا فالفناء هو المتنفس لتوسع الأسرة الممتدة، التي تسكن المنزل



شكل (٥) توسع المنزل التقليدي على حساب الفناء في شكل مراحل

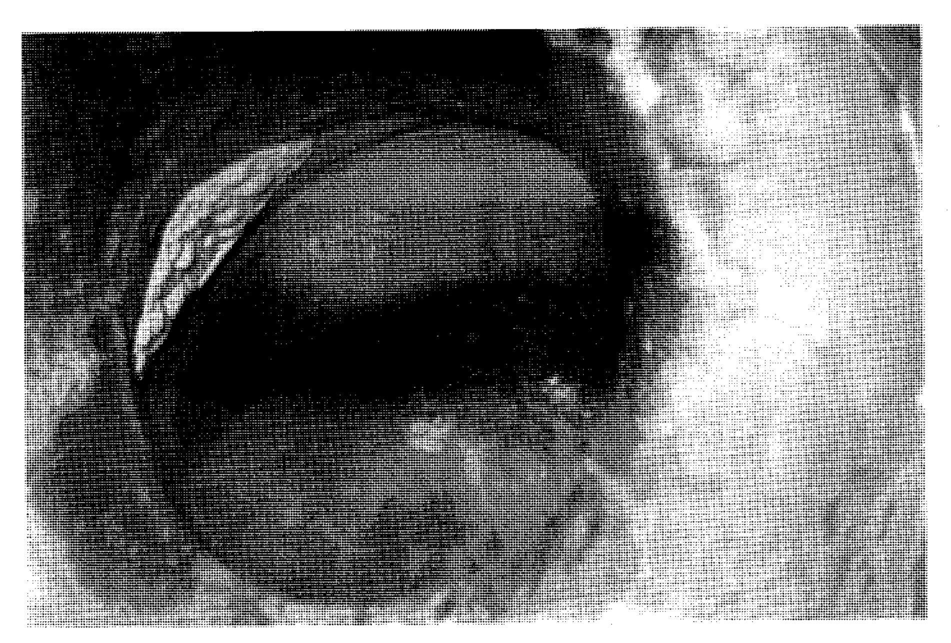
التقليدي عندما تدعو الحاجة لذلك(١). وعادة توجد داخل الفناء شجرة واحدة على الأقل من أشجار مثل اللوز، وصورة(٦١) توضح أشجار اللوز التي تتوسط الأفنية، لتلطف درجة الحرارة للهواء في الصيف والانتفاع بظلها في أثناء النهار. وفي الفناء يوجد البئر، ويطلق عليه محلياً اسم (طوى)؛ ماؤه للاستخدام المنزلي أساساً ماعدا الشرب إذ إن ماءه في أغلب الأحيان لا يصلح لذلك، ويجري جلب ماء الشرب؛ بوساطة عمال مختصين بذلك، يحملون الماء في قِرَبْ أو غيرها، وإنْ كانت بعض الآبار تتميز بمائها العذب الصالح للشرب. وفي الماضي كان يجري رفع الماء من الطابق الأرضي إلى العلوي بوساطة «بكرة»، كما في بعض منازل حي البستكية. وقد يوجد المطبخ في جانب من الفناء، وبه «التنور»



الصورة ٦١ / أشجار اللوز تتوسط الأفنية في المساكن التقليدية

(١) Dostal, Op. Cit., P. 23.

أيضاً اللازم لصناعة الخبز، وتبينه صورة (٦٢)، والكوار أيضاً اللازم للطبخ، وقد توجد في الفناء بعض المخازن للفحم «السخام» المستخدم كوقود لأهل الحضر، أو لبعض الأحطاب الخاصة بالوقود، التي كان يجلبها أهل الجبال للمدن في الماضي في رحلاتهم التبادلية التقليدية. وأحياناً يوجد مكان مخصص للمطبخ، ولكنه في الغالب يقع في الفناء لسهولة التخلص من دخان المواقد والأبخرة المختلفة. وبالقرب من البئر الواقع في الفناء يوجد عادة «البخار» وهو مخزن تضع فيه الأسرة تموينها من المؤمن.



الصورة ٦٢ / التنور

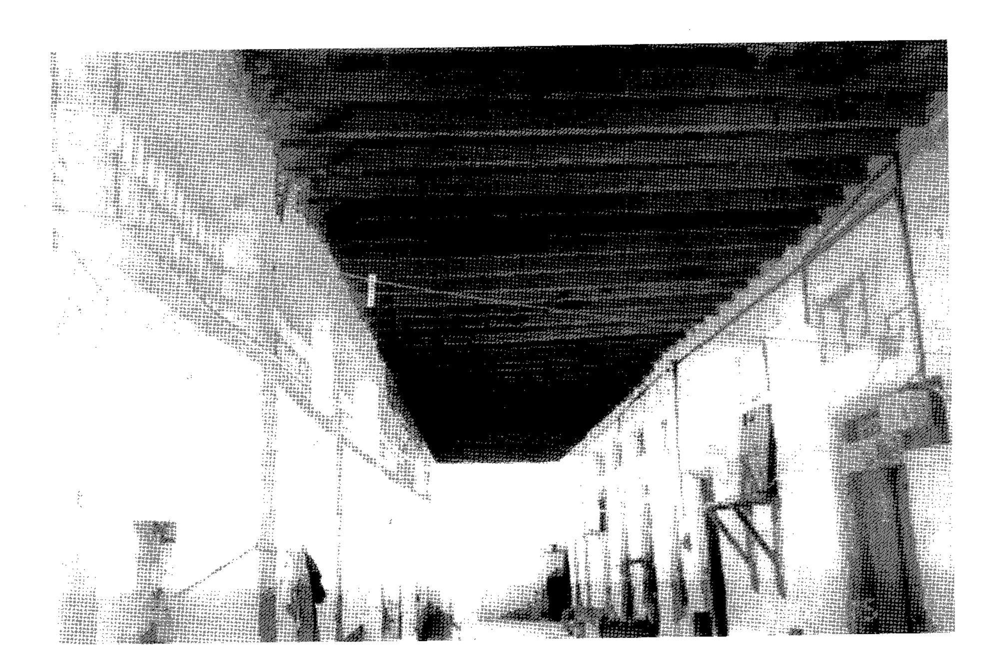
٧- الحمام والمرحاض :

سبق أنْ ذكرنا أنَّ بعض الغرف يوجد بها ما يعرف بالمسبح، ولكن يوجد في المنزل مكان رئيسي لحمام، ولمرحاض (أدب) أيضاً، وكان يلحق

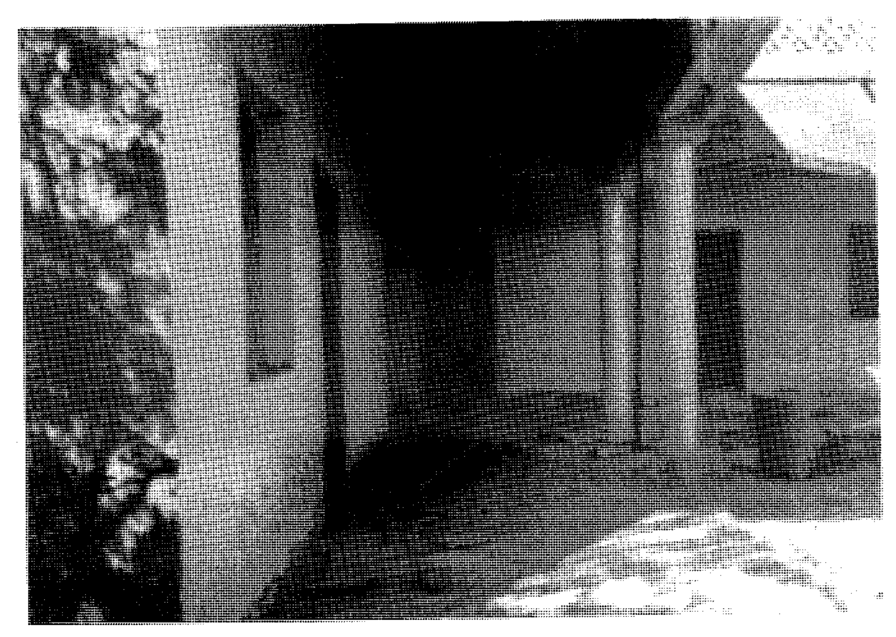
ببعض المساكن التقليدية في الماضي مثل هذا المرحاض في ركن من المنزل، ويكون بلا سقف، أما في المساكن الكبيرة فيخصص له مكان داخل التركيب الداخلي للمنزل، شأنه في ذلك شأن بقية عناصر التركيب. وكان يراعى في موقع الحمامات والمراحيض من المنزل بعض الاعتبارات الدينية والاجتماعية، مثل الا يكون أحدهما في اتجاه القبلة. كذلك الغالب أن يكونا منفصلين كل عن الآخر، كذلك يفصل بين ما يخصص منهما لأهل المنزل وما يخصص للزوار، ويطلق على المرحاض في بعض مناطق إمارة أم القيوين أحياناً اسم «سنداس».

٨- الليوان - الايوان :

يعد الليوان من عناصر التركيب الداخلي البالغة الأهمية، وهو أيضاً يعد استجابة لظروف جغرافية واجتماعية، فهو عبارة عن مكان تفتح عليه معظم غرف المنزل كافة، ويتصل بالفناء من جانبه المفتوح؛ أي إن التوجيه في التركيب الداخلي هو نحو الفناء دائماً وليس نحو الخارج، بمعنى أن التوجيه داخلي الطابع. ويأخذ الليوان شكل رواق له سقف مرفوع على عدة أعمدة تسمى محلياً «سنطوانة» وتكون هذه الأعمدة حجرية أو خشبية وأحياناً تستورد جاهزة من الخارج. والصورة (٦٣) توضح نموذجاً لليوان الطويل الذي تفتح عليه غرف المنزل كافة. وصورة (٦٤) توضح نموذجاً «للسنطوانة» حاملة سقف الليوان، وقد يطلق أحياناً اسم «ساباط» على الليوان وهو ما يعني شرفة بالدور الأرضي مرتفعة قليلاً عن سطح الأرض، أو سطح الفناء. ويطلق أحياناً على الليوان اسماً آخر في بعض مناطق الإمارات مثل «الطارمة»، وطراز منازل الليوان شائع في العديد من دول العالم الجافة المناخ وبخاصة في



الصورة ٦٣ / الليوان الطويل تفتح عليه معظم الغرف



الصورة ٦٤/ نموذج للسنطوانة حاملة سقف الليوان

الأماكن الفسيحة التي تسمح بتنفيذ الطراز؛ لأن الليوان يتطلب استمراراً أرضياً أمامه، ولذلك فإن هناك علاقة بين أجزاء المنزل في الداخل والفناء في الخارج عبر «الليوان»، ولذا فطرز الليوان قليلة الانتشار في بلد جبلي مثل لبنان؛ لعدم توافر المساحات الممتدة والمسطحة والاستمرار الأرضي اللازم، لليوان (١). وقد يستخدم الليوان كمكان لاستقبال الضيوف من المقربين فقط، أما غير المقربين فيستقبلون في المجلس؛ أي إن الليوان عائلي أكثر من المجلس، كذلك قد يستخدم الليوان كصالة للمعيشة. وفي بعض البلاد العربية يسمى «الإيوان» وهذا النمط العمراني شائع في إيران وشمال العراق وشمال سوريا، ويمكن القول: إنّ الليوان مغلق من ثلاث جهات ومفتوح من الجهة الرابعة، ومن الجدير بالذكر أن هناك بعض النظريات تربط بين خطة الليوان والخيمة البدوية، وأنها مشتقة من الخيمة البدوية، تأسيساً على أن «بيت الشعر» أو الخيمة البدوية لها ثلاثة اتجاهات كلها مغلقة، والاتجاه الرابع هو المفتوح أمام الريح أو الهواء. والجزء الأعلى دائماً في الخيمة وسطها. والمساحة أمام الليوان تستخدم بكثرة مع بقية مساحة المنزل أي إنها امتداد للسكن، كما أن المساحة أمام الخيمة البدوية تعد امتداداً لها (٢)، ويؤكد (Ragette) الافتراض الخاص باشتقاق خطة الليوان من خطة الخيمة البدوية أو «بيت شعر». ويسود الليوان في منازل دول خليجية غنية بالسكن التقليدي كما هي الحال في دولة البحرين، فنظام البناء هناك أحياناً يتخذ شكل مجموعة من الغرف يوصل بينها عبر «ليوان» (Loggias - Liwan)، وهذا

---

(١) Ragette, F., Op. Cit P. 68 - 86.

(٢) Ibid., P. 88.

التنظيم يسمح بمرور الهواء خلال المبنى إلى كل غرفة (١)، ويوجه ليوان المعيشة نحو الشمال للاستفادة من الرياح المنعشة، ويتميز الليوان بالأعمدة الجميلة التي تدعمه.

٩- الأبــواب :

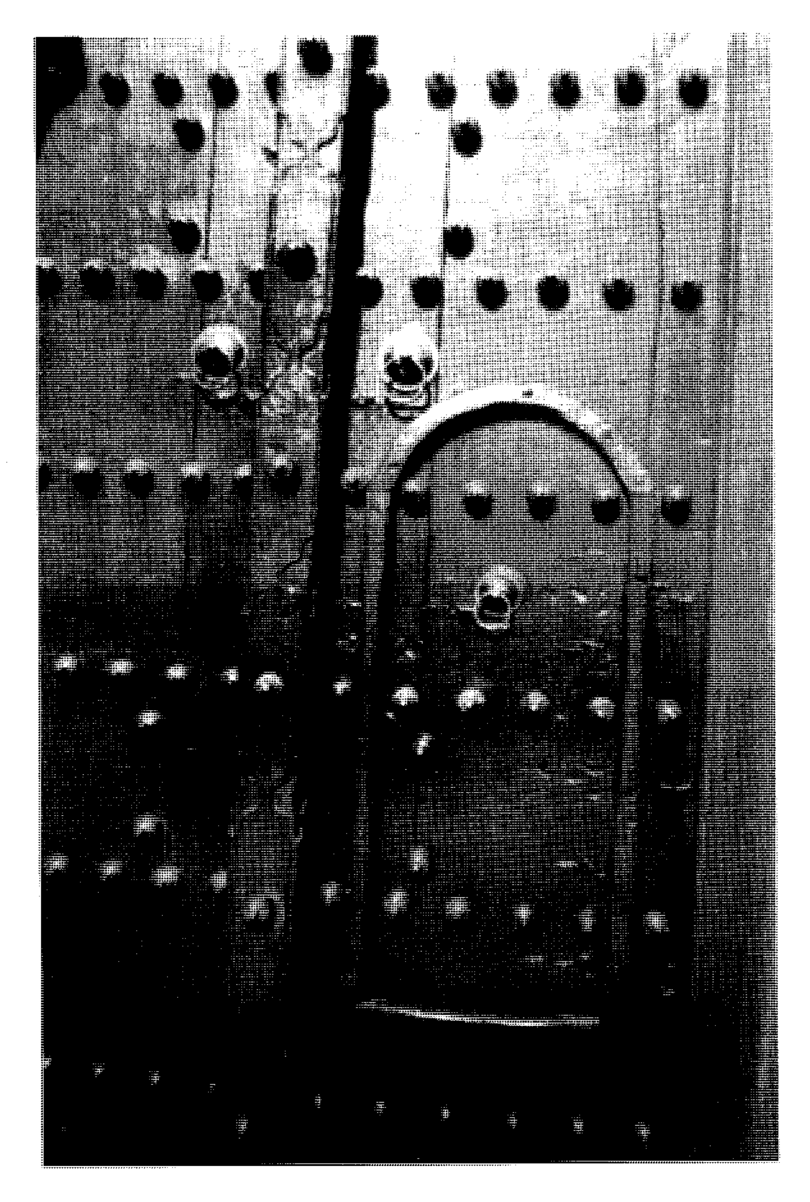
وهذا يشمل الباب الرئيسي للمنزل وأبواب الغرف الأخرى. والباب الرئيسي يفتح على المنزل أو الفناء، ويسمى محلياً «دروازة»، وصورة (٦٥) توضح نموذجاً لذلك. ويثبت الباب في إطار كبير في الجدار الخاص بالمدخل ويسمى ذلك الإطار (درونـد). وكانت الأبواب تجلب عادة من الهند جاهزة ومزخرفة بالزخارف الجميلة، ومصنوعة من أخشاب «السيسم». وقد تكون أمام الأبواب بعض عتبات لمساعدة



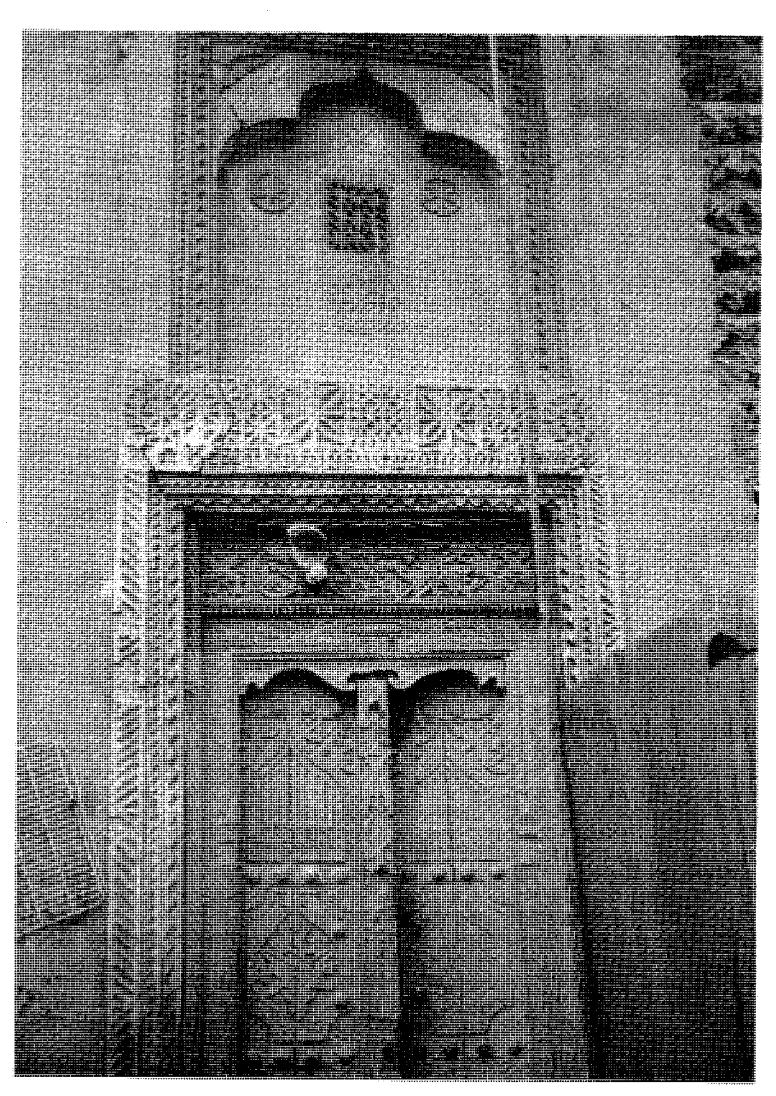
الصورة ٦٥/ نموذج لباب رئيسي عليه نقوش وزخارف هندية

(١) Coles, A., & Jackson, Op. Cit., P. 10 FF.

الداخلين إلى المنزل، وتكون مرتفعة نوعاً عن مستوى الأرض، وهي تسمى محلياً (دجيج)، وهي جمع دجة - وتصنع من الحجر والطين المضغوط، وأحياناً ما تصنع فتحة تحت الباب لتصريف المياه الراكدة وغير النظيفة وتسمى (الداعوب). والباب الكبير هذا لا يستخدم من قبل الداخلين عادة باستمرار إلاّ في مناسبات اجتماعية متميزة، أو في حالة دخول بضائع وأشياء ضخمة، ولذلك ففي داخل الباب نفسه يوجد باب آخر صغير يطلق عليه محلياً اسم (فرخة أو فرخ)، وهو أسهل في الحركة، وعملي أكثر من الباب الكبير، وقد يكون ذلك زيادة في تحقيق الأمان. وصورة (٦٦) توضح نموذجاً للباب الكبير والصغير، وصورة (٦٧) توضح الباب وفوقه المصباح وهي فتحة لدخول الضوء والهواء.



الصورة ٦٦/ الباب الرئيسي وضمنه الباب الصغير



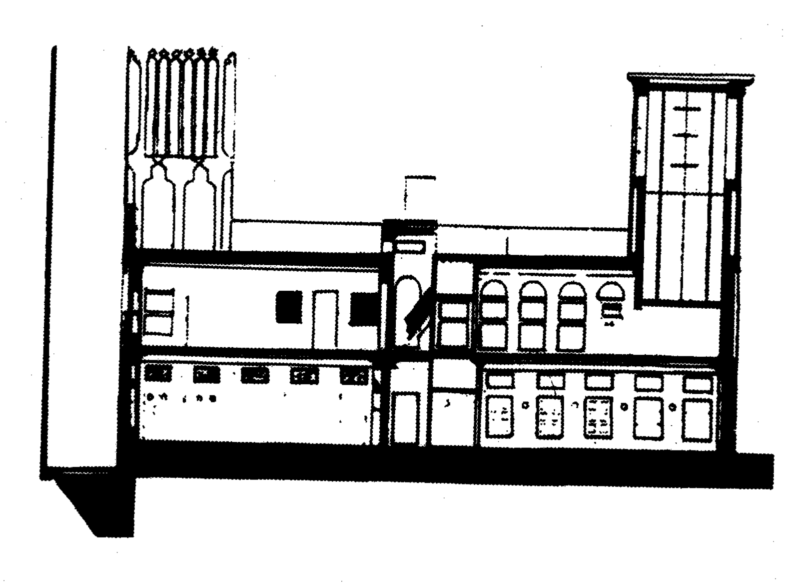
الصورة ٦٧/ الباب وأعلاه فتحة المصباح لدخول الضوء والباب يعكس عناصر البناء التقليدي

١٠- الحظيـرة :

كان يجري في معظم المساكن الاحتفاظ ببعض الحيوانات إلى جوار المنزل كتقليد متوارث، وكان ذلك في مساكن المدن أيضاً. وقد تلحق الحظيرة بالمنزل ذاته، ولكنها عادة في مكان مستقل خلف المنزل، وهي تختلف عن مكان آخر أصغر منها نوعاً، تربى فيه الدواجن داخل الفناء عادة، ويطلق على الحظيرة محلياً اسم «زرب» أو زريبة.

١١- أبـراج الهـواء :

لا يمكن الحديث عن المنزل الحضري التقليدي دون الإشارة إلى عنصر عمراني مهم في تركيبه هو أبراج الهواء التي كانت وسيلة مهمة من وسائل تلطيف الجو داخل تلك المنازل التقليدية في الماضي. وكانت تلك الأبراج تظلل خط السماء (skyline) في بعض المناطق، ولا سيما في مدينة دبي، وبالتحديد في أحيائها القديمة مثل البستكية والشندغة. وأبراج الهواء التي يوجد منها نماذج متواضعة، كتلك التي لاحظناها متلازمة لبعض أشكال العمران الريفي مثل نوع «العريش» ولكن نجد هذه الأبراج في المساكن الحضرية أكثر ارتفاعاً وأكثر فخامة، ومشيدة من الطوب أو الحجر وتمتاز بالثبات والقوة والمتانة، هذا فضلاً عن شكلها الجمالي المتميز. وشكل (٦) يوضح مقطعاً رأسياً لمنزل مزود بأبراج الهواء هذه. وقد درس كلّ من كولز وجاكسون هذه الأبراج في مدينة دبي وبخاصة في حي البستكية. وقد يكون في المنزل الواحد أكثر من برج هوائي. والبرج عبارة عن بناء قد يرتفع إلى حوالي خمسة أمتار، ويطلق عليه أحياناً اسم «ملقف الهواء»، ويرى دوستال (Dostal) أن الطرازات الشائعة في الإمارات من أبراج الهواء نوعان، الأول يسمى

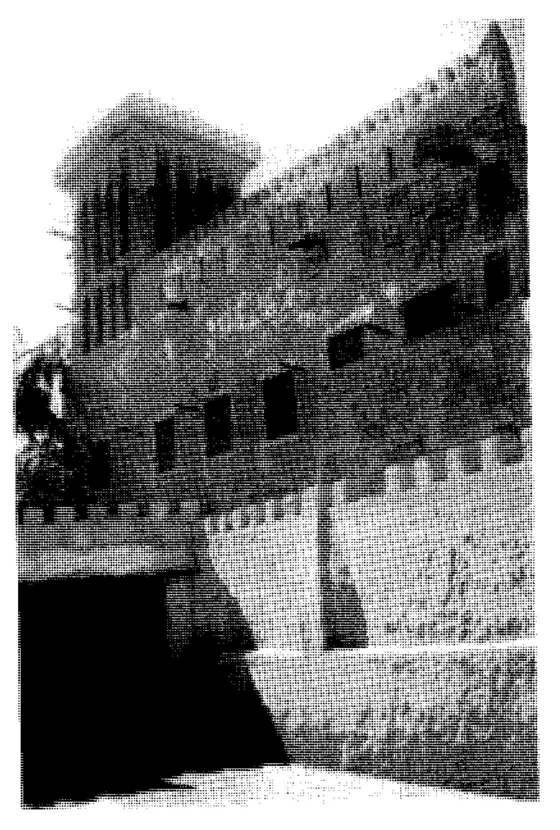


شكل (٦) مقطع رأسي للمنزل وتظهر فيه أبراج الهواء (البراجيل)

«بارج» (Barj)، وهو برج هوائي مفتوح من جهاته الأربعة، أما النوع الثاني فيسمى «حصن» (Husn)، وهو مفتوح من ناحية واحدة فقط، كلاهما مكعب البناء والشكل، ويستقر فوق السطح وله دعامة خاصة مركزية يرتكز عليها، وصورة (٦٨) توضح البرج «البارجيل» ذو الفتحات الأربعة. وهذه يمكن إغلاقها وفتحها بحسب اتجاه الريح، فتفتح الجهة التي تأتي إليها الرياح وتغلق بقية الفتحات ويتم الإغلاق والفتح بواسطة ألواح خشبية مرتبط بعمود خشبي يصل إلى الغرف في الطابق الأرضي، وهذا العمود الخشبي هو الذي يوجه الهواء نحو الغرف (١)، ولذا وكما لاحظ كلّ من كولز وجاكسون يكون البرج متعدد الاتجاهات (Multidirectional) . وترتفع أبراج الهواء أو البراجيل في المباني المزدوجة الطوابق عادة حوالي ١٥ متراً فوق مستوى الأرض المقام عليها

(١) Dostal, W., Op. Cit P. 3- 4.

المبنى، وعند هذا الارتفاع تكون سرعة الرياح عادة قدر سرعتها عند سطح الأرض بمرة ونصف المرة على الأقل. وكلما زاد ارتفاع «البراجيل» نفسها زادت سرعة الرياح والهواء الذي يأخذ طريقه نحو أسفل البارجيل؛ أي نحو غرف المنزل السفلية. وتغلق فتحات البارجيل في الفصل البارد حين لا تكون هناك حاجة لمزيد من الهواء أو التهوية. ويحتاج البارجيل إلى نظافة وصيانة



الصورة ٦٨ / نموذج للبارجيل أو برج الهواء أعلى المنزل التقليدي

من مخلفات الطيور والأتربة وضغط الهواء. وقد كان السكان في الماضي يعتزون بهذا الطراز من الأبراج الهوائية، ولا يزال كبار السن منهم يرى في شيوع الأجهزة الكهربائية لتكييف الهواء سبباً في إصابتهم بالأمراض، التي لم تكن لتصيبهم في ظل «البراجيل» في الماضي(١). ويرى وهبي أن أبراج الهواء تعبر عن أصالة لدى السكان في الترابط العضوي مع البيئة من خلال ربط البناء بالبيئة الطبيعية (٢). وتسود

---

(١) Coles, & Jackson, Op.Cit., PP. 3- 6.

(٢) حسن وهبي – مرجع سابق – ص ص ٢٦– ٢٧.

لاقفات الهواء هذه في معظم أنحاء الجزيرة العربية ومنها دولة البحرين (١)، وأيضاً في المملكة العربية السعودية، مثل «الملاقف» التي توجد في المساكن التقليدية في المدينة المنورة مثلاً وتؤمن التهوية وتلطيف الهواء والإضاءة أيضاً، بينما تسود في المنطقة الشرقية من المملكة الملاقف ذات التصميم الفارسي المألوف المشابه لما في الإمارات (٢). ويسود أيضاً في شرق السعودية نوع آخر من أبراج أو ملاقف الهواء، ولكنه يختلف جذرياً عنه في الإمارات؛ إذ إن هذا النوع يتكون من جدارين متباعدين بينهما فجوة عرضها ٣٠ سم تقريباً، ويستخدم لوح أفقي للتحكم في تدفق الهواء (٣). ولأبراج الهواء في الإمارات أسماء متعددة منها (البارجيل - البادجير - الباركيل - البادجين) وبارجيل وباركيل أصلاً كلمات فارسية أصلها بادكير (٤)، وكما سبقت الإشارة قد يوجد منه في المنزل أكثر من واحد. ومنه أكثر من طراز وفي البحرين يسمى (الكشتيل والبوجير). ومن الطرز النادرة له في الإمارات نموذج مستدير على غير العادة في الشارقة. ويوضح شكل (٧) منطقة حي البستكية القديمة في مدينة دبي ومنازلها التقليدية المزودة بأبراج الهواء (البراجيل)، وهي أبرز خصائص المساكن التقليدية الحضرية في دولة الإمارات العربية المتحدة، كما يوضح شكل (٨) مخططاً لمنزل تقليدي في دولة الإمارات العربية المتحدة يبين تركيبه وأجزاءه المختلفة. والصورة (٦٩) توضح نموذجاً آخر للبارجيل.

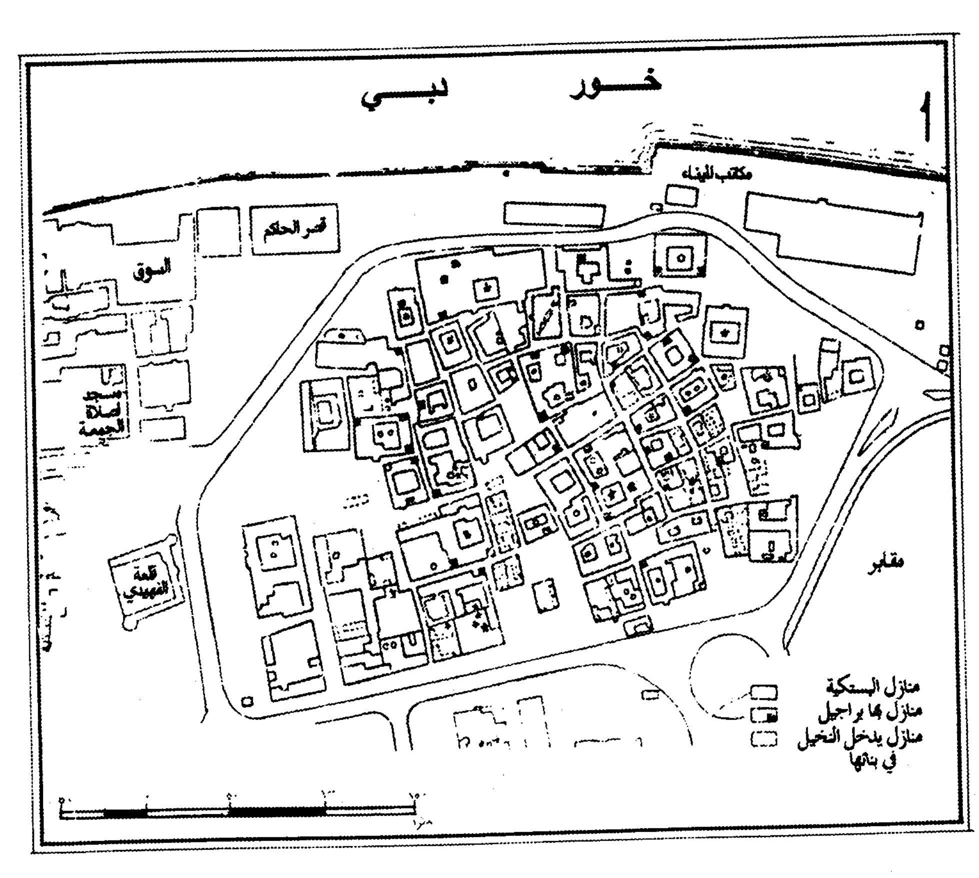
---

(١) Abdullah, I., Op. Cit., P.

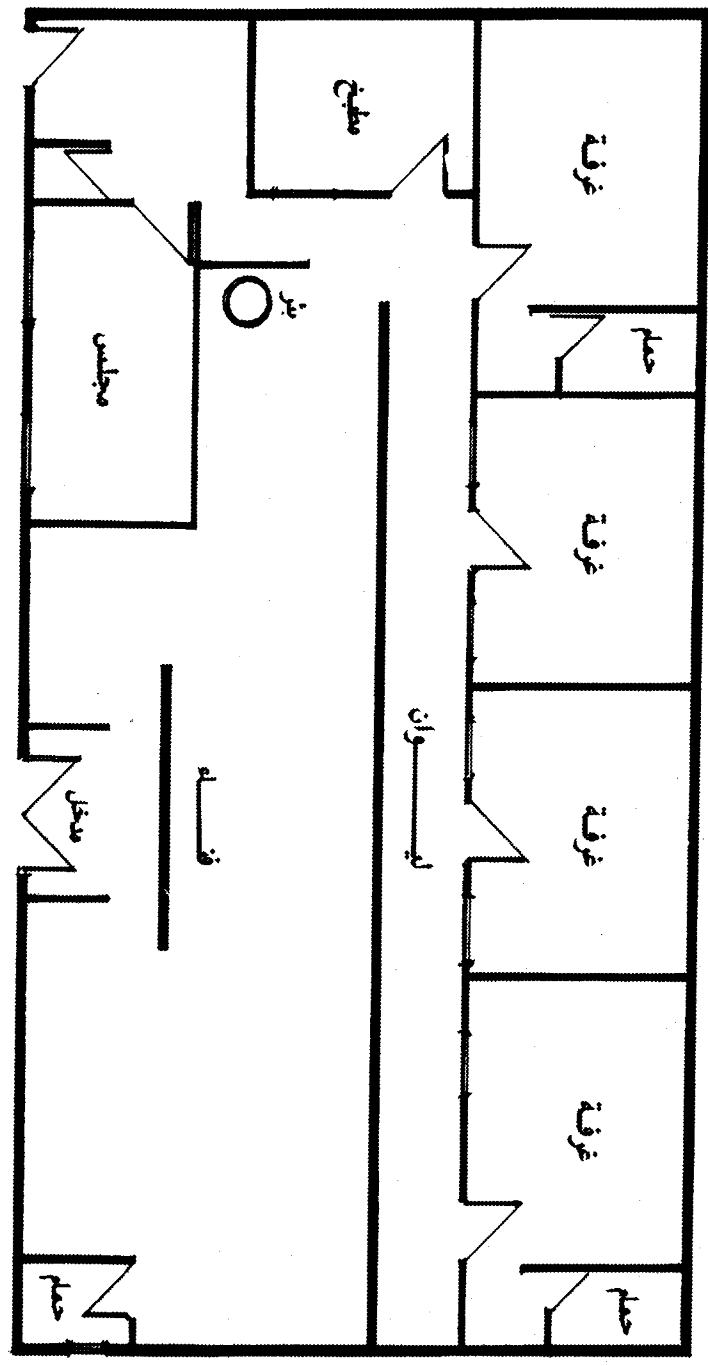
(٢) ناصر عبدالله الصالح -مرجع سابق - ص ٣١، ٤١.

(٣) المرجع السابق - ص ٤٢

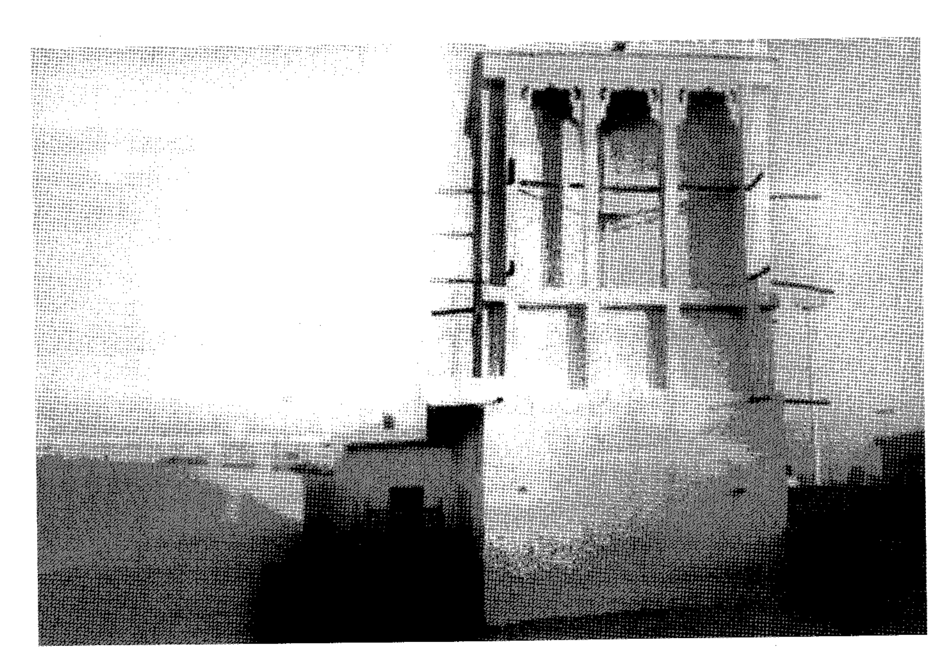
(٤) فالح حنظل - مرجع سابق ص ٦٧ ويذكر «حنظل أن كلمة باد معناها هواء وكلمة كير معناها أخذ أو جلب.



شكل (٧) حي البستكية ومساكنه التقليدية



شكل (٨) مخطط عام لمنزل تقليدي في دولة الإمارات العربية المتحدة



الصورة ٦٩ / نموذج آخر للبارجيل

الفصل الثامن

العمران التقليدي في مواجهة التأثيرات الحديثة

تقييم العمران التقليدي :

لقي السكن التقليدي من ضروب النقد الكثير من المعماريين المحدثين خاصة الذين تبنوا أشكال البناء الحديثة وطرقها. ومن أوجه النقد للطرق التقليدية في السكن أنها غير عملية وتعتمد على مواد بناء ومواد أولية غير حضارية، إضافة إلى أن نمط العمران التقليدي غير عملي وغير اقتصادي، ولا يمكنه إيواء الأعداد المتزايدة من السكان، وأنه غير قادر على مجابهة التطويرات المستمرة، التي جاءت مع عصر البترول إلى الإمارات. ولذلك بدأ الكثيرون في الانصراف عن الطابع التقليدي في البناء، حتى من تمسكوا به يشكون من ندرة المختصين في العمران التقليدي الآن، ومن ندرة العمال والحرفيين اللازمين للاضطلاع بالعمليات التقليدية، وبدا جلياً زحف الطرق والوسائل الحديثة لتحل محل العمران التقليدي. وحاول البعض أن يقف موقفاً وسطاً بين الرافضين للعمران التقليدي والمؤيدين له، فاستحدثوا أشكالاً عمرانية حديثة نوعاً ولكنها مطعمة ببعض الأفكار المستمدة من الماضي، التي كان يعكسها البناء والسكن التقليدي، ولاسيما ما يخدم النواحي الاجتماعية. ومن ذلك أن عمليات تطوير البدو في الإمارات وتوطينهم قد تبنت نظام المساكن منخفضة التكلفة، والمعروفة محلياً باسم «الشعبيات»، وكان الهدف منها

أن تحل مكان العشيش والباراستي التقليدي في المناطق التي كانت أفقر في الماضي وأكثر تواضعاً (١) ؛ وذلك لإمكان حصول البدو على قدر من الخدمات الضرورية بعد ظهور البترول. ولكي تكون هذه الخدمات في صورة أكثر اقتصادية، ولاسيما أن إمارة أبوظبي مع بداية عصر البترول في أوائل الستينات ولم يكن بها سوى محلتين عمرانيتين دائمتين (٢) إضافة إلى بعض محلات الصيد الساحلية المتواضعة. أما القرى الأصغر فكانت أقل حجماً ومتناثرة ومنها ما لا يتجاوز عدد مساكن العشش بها العشرة مثل قرى العطامية والعراد والمحييد، ومنها ما يوجد به من مساكن العشيش من ٢٠ - ٣٠ مسكناً، مثل زعية وملاقط والقرين. وكان معظم السكان يجمع بين الرعي والزراعة، بمعنى أنه ليس لهم سكنٌ دائم باستمرار (٣). لذلك نشأت قرى حديثة تفي بمطالب العصر، وتحافظ على بعض تقاليد العمران القديم، وتقوم هذه القرى في تجمعات البدو نفسها ومناطقهم التقليدية حتى لا يتم تفريغ الصحراء من أبنائها. والجديد في هذا أن مواضع العمران المستجدة تُختار بعد أخذ رأي البدو فيها، وعلى هذا الأساس نشأ العديد من القرى المستجدة (أكثر من ١٥ قرية في منطقة العين). ومثل قرية الشويب في إمارة أبوظبي وفي جزئها الجنوبي قامت مزيد وأم غافة والوجن ومديسيس (٤). وكانت خطط التوطين حتى سنة ١٩٦٦ تتبنى مستويات أوروبية، أدت إلى اضطراب خطير في حياة السكان، الذين انتقلوا إليها فجأة، مما أدى إلى مراجعة

---

(١) Tomkinson, P. 29 - 31.

(٢) Cordes, P. 483.

(٣) يوسف أبو الحجاج - الخريطة العمرانية لإمارة أبوظبي - دائرة التخطيط- ١٩٨١- ص ص ٤٦ - ٤٧.

(٤) يوسف أبو الحجاج - مرجع سابق - ص ص ٤٨- ٥٢.

سريعة للمشروعات، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى مساكن ذات كلفة قليلة، تراعى فيها احتياجات السكان الاجتماعية والاقتصادية التي احتفظ البدو في ظلها ببعض عناصر مختارة من الحياة البدوية التقليدية، وبذلك أصبح ممكناً للبدو التفاعل مع وسط (Millieu) اجتماعي وثقافي لم يكن معروفاً لهم من قبل، وتبعوا توجهاً اقتصادياً جديداً دون معاناة اجتماعية، ولذا يعدّ هذا العمران الجديد، أو كما يسميه (cordes) عمران منتصف الطريق، أو «الحل الوسط» (halfway settlement) والخاص بالإسكان البدوي غير المكلف يعد مناسباً تماماً لبدو إمارة أبوظبي(١) ومن هنا نلحظ أن العمران القديم فرض نفسه حتى على المشروعات الجديدة ومن حيث التقييم وجد المخططون في ثناياه ما يفيد في المحال الجديدة كما رأينا؛ إذ إنّ المساكن الشعبية الجديدة قد اشتقت خطتها من السكن التقليدي القديم (الباراستي) التي خططت لتخدم حاجات أساسية لسكانها، وكانت في الوقت ذاته تحوي أفكاراً تناسب الحياة الحضرية، وقد تركت في هذه المساكن قليلة الكلفة «الشعبيات» غرفة واسعة فسيحة؛ ليمكن لكل ساكن إجراء التعديلات بها كما يشاء، انطلاقاً مما تعود عليه في الماضي من انطلاق وعدم تقيد بطراز أو نمط معين في السكن، الذي كان يوائم بينه وبين فصول السنة وظروف كل منطقة جغرافية. ومن أهم ما راعاه التخطيط الحديث لاسكان البدو هو المبدأ المستقى من عمران الإمارات القديم وهو الحفاظ على الواحدات القرابية والقبلية مع بعضها في السكن الجديد، بمعنى إسكان قبيلة أو عشيرة في منطقة خاصة بها وبذا لا تنعزل كل أسرة عن الأسرالأخرى (٢).

(١) Cordes, P. P. 484.
(٢) Cordes, P. OP. 486.

كذلك جرى السماح لهؤلاء السكان بالاحتفاظ ببعض الحيوانات في مكان خاص خلف السكن لإدراك المخططين أهمية الحيوانات لاسيما الإبل بالنسبة للبدو والعلاقة التاريخية بين البدو والإبل. وقد بدأت بلديات الدولة في تخصيص أماكن الآن لهذه الحيوانات بعيداً عن السكن، حتى تتخلص المدن من مظهر غير حضري. والتحليل السابق في الإمارات العربية المتحدة. أما مناطق العمران التقليدي في المدن وبخاصة في دبي أو غيرها، فيظهر أنها تعرضت للتخريب الشديد بعد هجرها إلى مبانٍ أحدث وأعلى. كذلك أدى إدخال بعض النواحي العصرية كالكهرباء وشبكات الماء والصرف الصحي إلى تخريب هذه المباني وتشويهها وصورة (٧٠) توضح آثار ذلك التخريب والنشاز بعد أن ألحقت أجهزة



الصورة ٧٠ / مثال لتخريب المباني التقليدية بإدخال عناصر وأجهزة حديثة عليها

التكييف الحديثة ببعض هذه المباني. وتشترك كل دول الخليج في ذلك التدهور للعمران التقليدي، كما حدث في البحرين، التي أدى إهمال عناصر صيانة المساكن التقليدية إلى تدهورها، إضافة إلى التدهور محاولة تدعيم المساكن التقليدية بمواد حديثة مثل الأسمنت والحديد وبقية المعادن وإدخال إضافات حديثة عليها، مما حولها رويداً رويداً إلى نشاز (١) والواقع أن الشكوى من إهمال العمران التقليدي القديم ليست في منطقة الخليج فقط، فمثل ذلك حدث في الدول الغربية، حين أهملت بعض عناصر العمران التقليدي، وأدى ذلك إلى تغيير في المظهر المادي والحضاري الريفي في بلد مثل بريطانيا التي يسرع بها معدل التخلي عن نمط الحياة الريفية (٢) وبالمقابلة بين العمران القديم والحديث في الإمارات نجد أن القديم قد استخدم مواد أولية كانت ملائمة للبيئة الحارة المحلية وبخاصة المساكن الطينية التقليدية للتغلب على الحرارة والرطوبة، واستخدام مواد محلية للأسقف كالنخيل وأيضاً الأخشاب المستوردة، وكلها مواد تقلل من التوصيل الحراري وتزيد من عزله، ولا تزيد درجة التوصيل الحراري عن ٦ر٠؛ إذ نجد أن الطابوق الجيري له درجة توصيل حراري ٥ر٠ فقط، وكذا الحال في الطين أو اللبن وبخاصة إذا خلط بالتبن. ونجد درجة توصيل الأسمنت ٤ر١، بالمقارنة والجرانيت ٩٢ر٢، والمرمر ٣، والأحجار الكلسية ٥ر١ والألمنيوم الذي شاع استخدامه في المباني ٢٢، وهكذا تتفوق مواد البناء التقليدية من حيث ملاءمتها للمناخ الحار والرطب (٣) . وثمة عامل أسرع

(١) Abdullah, Cit., P. P. 37- 38.

(٢) Kyser, D.,Changing in the rural landscape of southern Britain, The Journal of Geography, Vol. 74. May, 1975, P. 57.

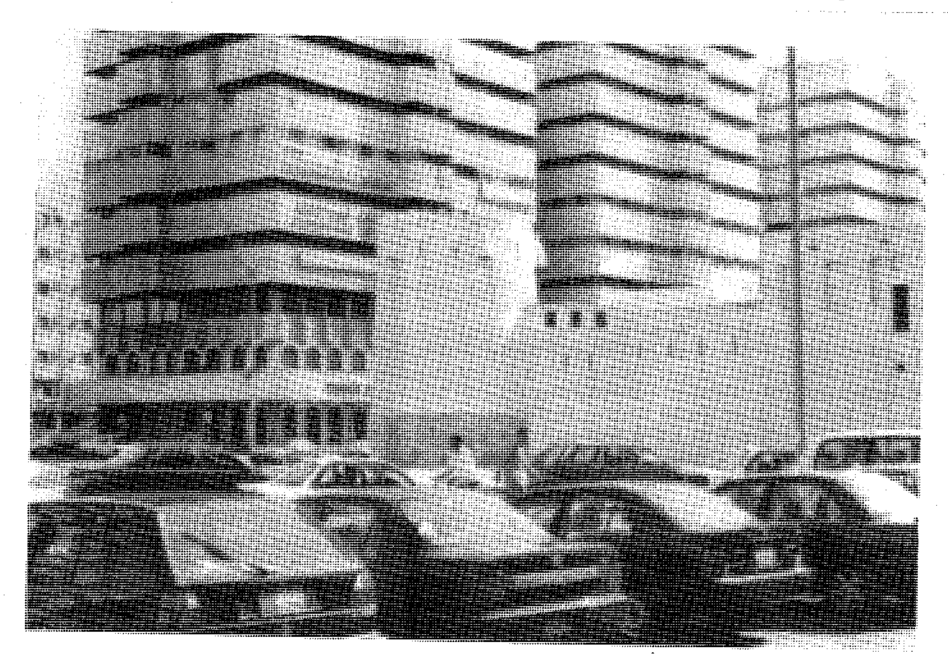
(٣) علي عبدالقادر غريب - جريدة الاتحاد في٢٠/٢/٨٦، ٢١/٢/١٩٨٦.

بتدهور العمران التقليدي أيضاً إضافة إلى إدخال مواد بناء غريبة عليه، هو فتح أبواب البلدان الخليجية لآلاف العمال الأجانب، والضغط على مناطق الإسكان. وقد وجد هولاء متنفساً لهم في بعض المنازل التقليدية القديمة التي هجرها ملاكها إلى غيرها وقد عمل هؤلاء الملاك على الإفادة من عقاراتهم القديمة، فأجروها لهؤلاء العمال الذين سكنوها بالعشرات، مما أسرع في عملية تدهورها، وطمس معالم عمرانها القديم، لاسيما أن مجتمع العمال الوافدين ينتمي إلى بلاد ذات خلفية ثقافية وحضارية مختلفة تماماً عن خلفية السكان الأصليين، ولذلك فإن مناطق التدهور الحضري (Slums) بدت في صورتين، صورة تدهور لهذا العمران الحضري القديم القيم، كما تعكسه مساكن حي البستكية التقليدية في مدينة دبي، وذلك بعد وصول هؤلاء العمال، وصورة أخرى لا تمت للعمران التقليدي بصلة، حيث نشأت بعض مناطق التدهور بسرعة نتيجة السكن العشوائي غير المخطط كما هي الحال في أطراف بعض المدن في دول الإمارات، وفي بعض المناطق بهذه المدن التي يشار إليها عادة بالمنطقة الصناعية، كما هي الحال في مدينة العين. وهكذا نشأ مجتمع منفصل عن مجتمع الإمارات الوطني أدى إلى تدهور هذا العمران، وقد لوحظ مثل ذلك في دولة الكويت من نشأة مجتمعين في الدولة منفصلين حضارياً(١). وأصبح جلياً أن مجتمعاً متكافلاً متعاوناً يعرف بعضه بعضاً «كالفريج» القديم، أصبح غير قائم في مدن الخليج، وقد كان الفريج وحدة اجتماعية واحدة، وقد حدث هذا في فترة وجيزة نوعاً حين ظهرت

---

(١) عبدالرسول علي الموسى - التغيرات الاجتماعية وأثرها على الإسكان ودور التخطيط في مواجهة هذه التغيرات - النموذج الكويتي - مجلة دراسات - المجلد الثامن -حزيران - ١٩٨١ - العدد ١ ، ص ص ٥٥- ٦٤.

مساكن «العشيش»[1] من نوع جديد، أنشأها هؤلاء الوافدون. واليوم فإنّ بقايا العمران القديم محاصرة بالتوسع الحضري والريفي أيضاً، وتوضح الصورة (٧١) بقايا برج قديم، تحاصره البنايات الحديثة

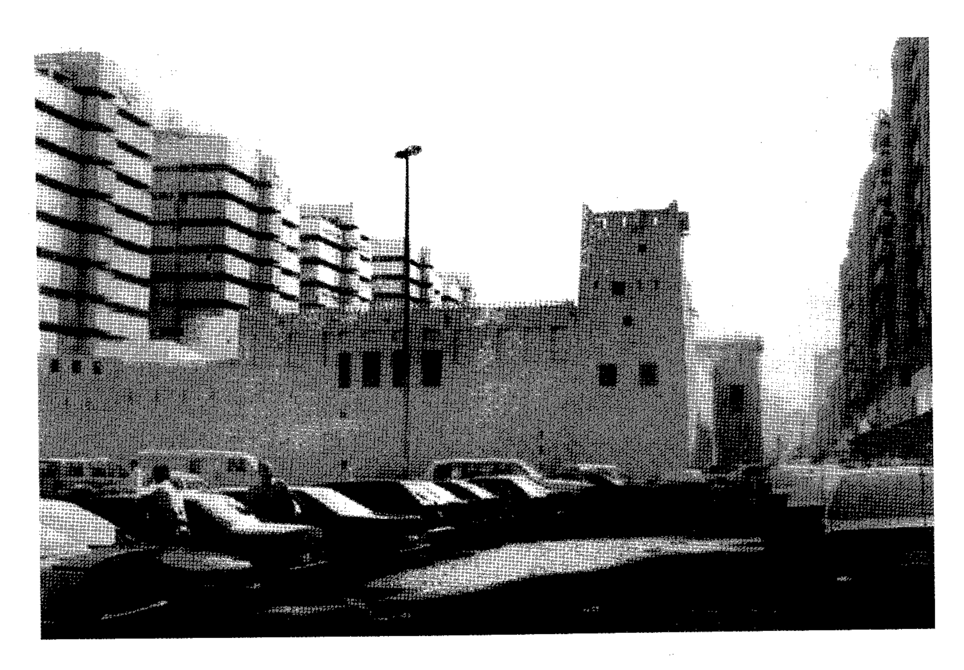


الصورة ٧١ / بقايا برج قديم تحاصره المباني الحديثة

من كل جانب، وصورة (٧٢) توضح توسع العمران الحديث على حساب العمران القديم. وكنتيجة لذلك الوضع لم يعد هناك أي مجال للعمران التقليدي، ويبدو أنه سيصبح أثراً بعد عين في غضون سنوات قليلة. يدعم ذلك الرأي نظرة واحدة لأي من المدن الكبرى في الدولة، مثل أبوظبي

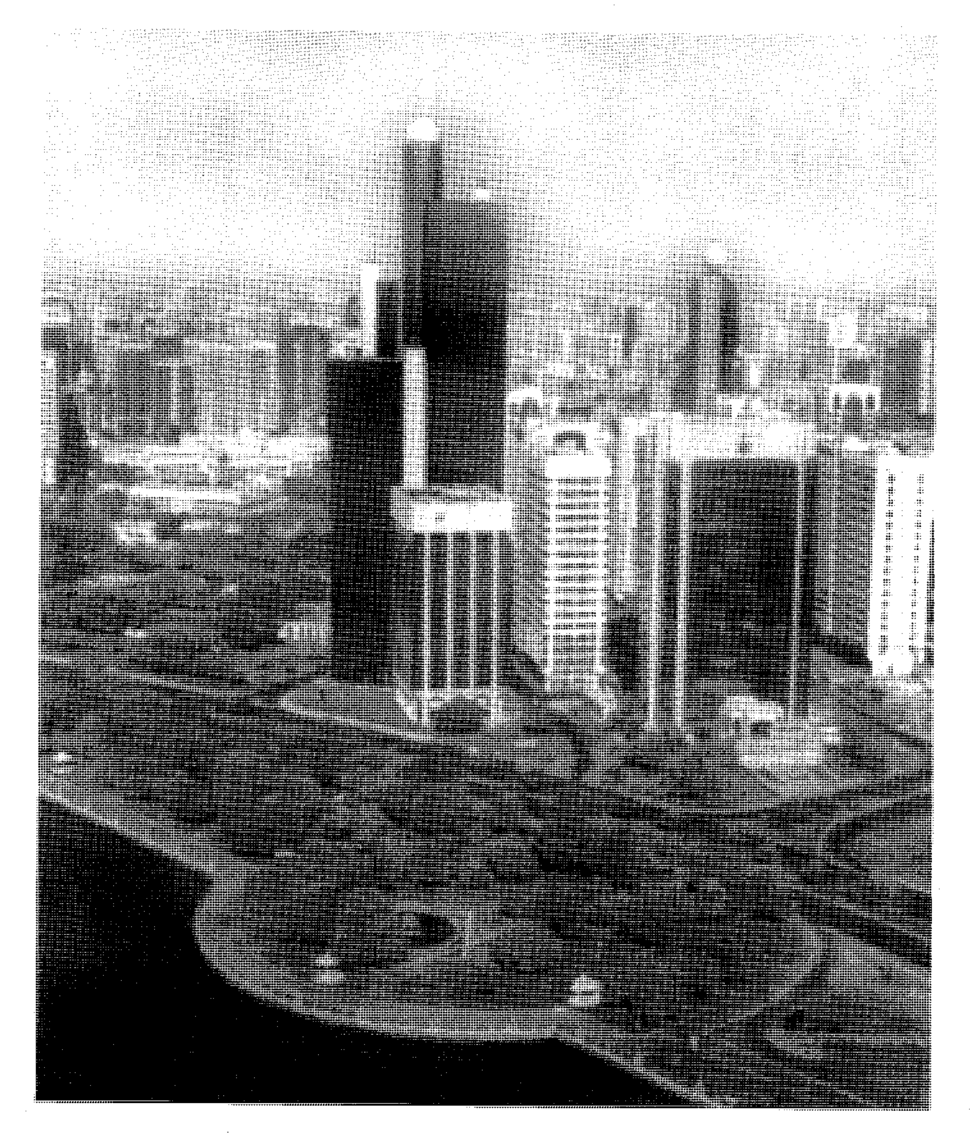
---

(١) عمر الخطيب – تنمية المستوطنات البشرية في دول الخليج العربي – المجلة العربية للعلوم الإنسانية – المجلد الرابع – العدد ١٤ – ١٩٨٤ ص ص ١٥٠– ٥٥.

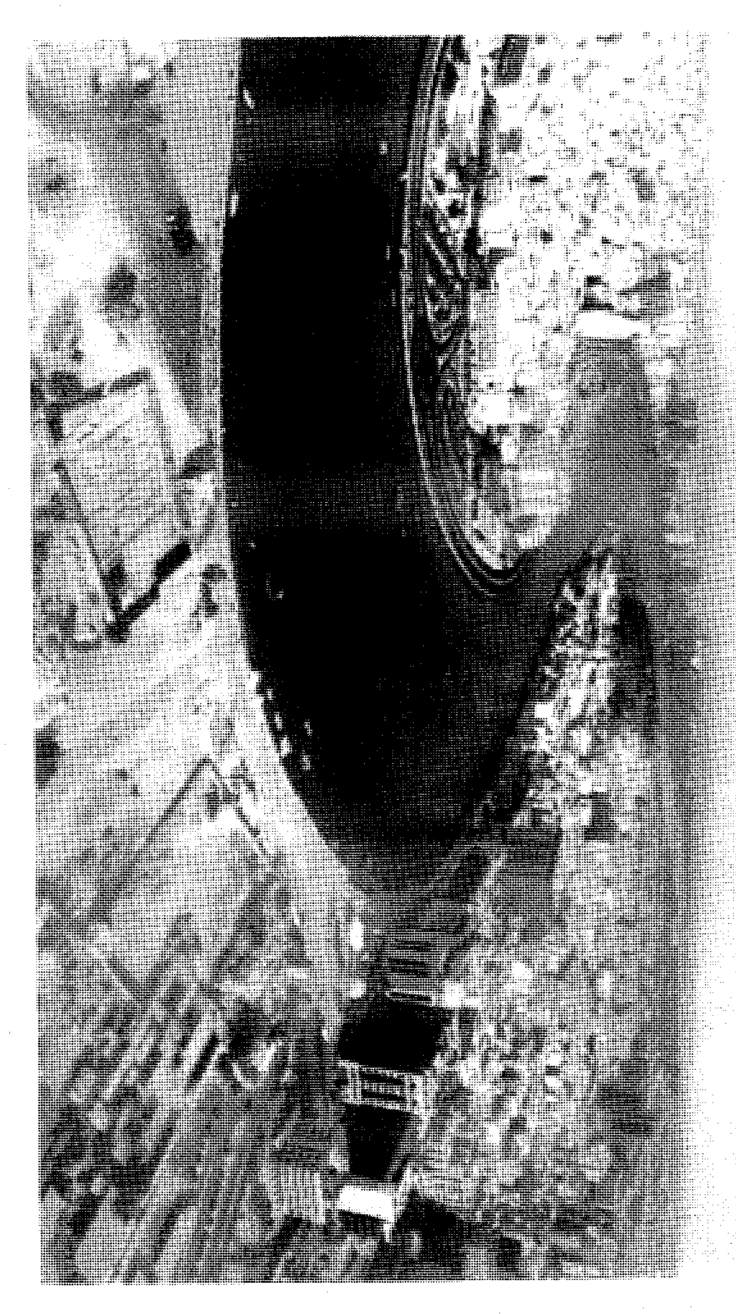


الصورة ٧٢ / توسع العمران الحديث على حساب العمران التقليدي

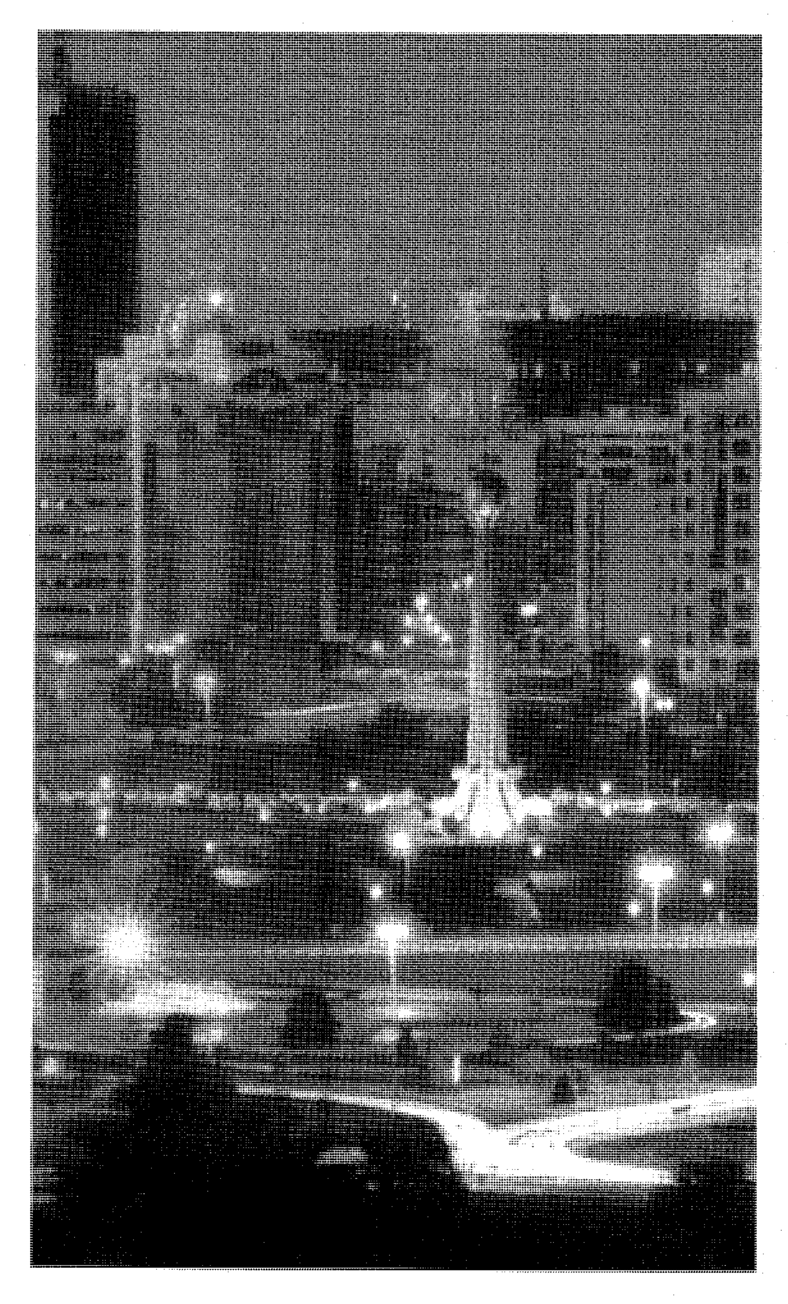
(صورة ٧٣)، أو دبي (صورة ٧٤). والأمل معقود على البحث عن صيغة توائم بين التقليدي والحديث في مجال العمران والعمارة من ناحية، وعلى الحفاظ على ما تبقّى من معالم العمران التقليدي الجميل، الذي يُعد من أهم معالم الجغرافية التاريخية لدولة الإمارات العربية المتحدة من ناحية أخرى.



الصورة ٧٣/ مدينة أبوظبي في الوقت الحاضر



الصورة ٧٤/ مدينة دبي في الوقت الحاضر



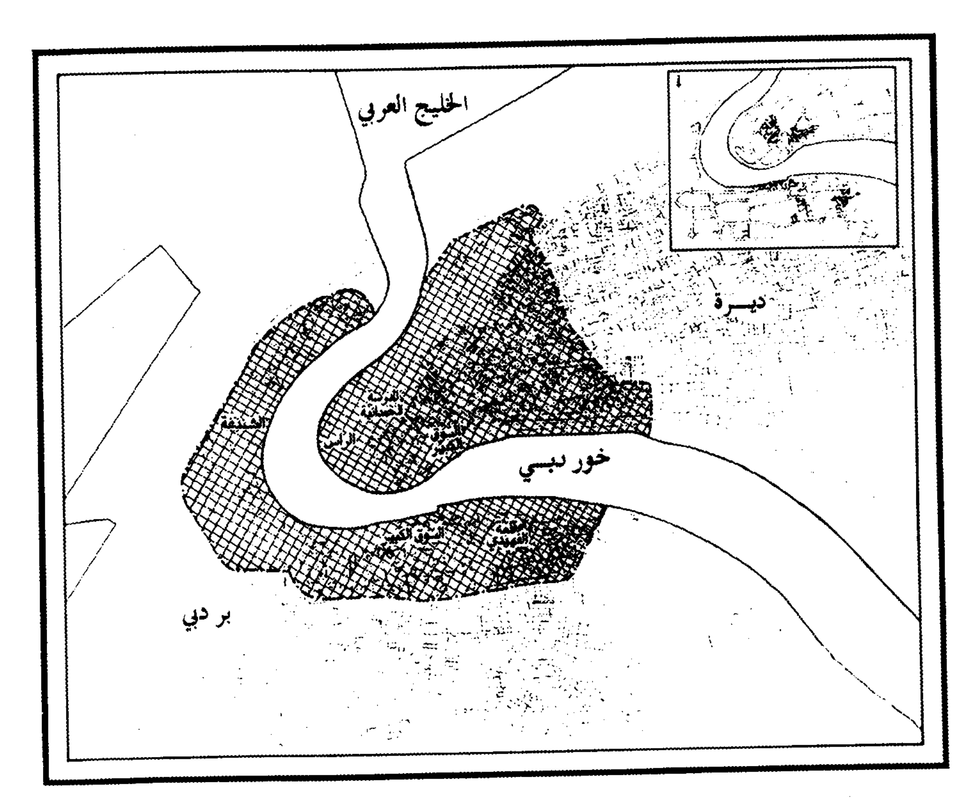
الصورة ٧٥/ مدينة الشارقة في الوقت الحاضر

خاتمة

تناول الباحث في دراسته، من خلال الفصول السابقة، مثالاً للعلاقة العضوية بين الإنسان والبيئة ممثلة في السكن، أكثر العناصر التي تؤثر في حياته، وفيها يقضي أغلب هذه الحياة. وقد وضح من الدراسة أن العمران التقليدي في دولة الإمارات العربية المتحدة - شأنه في ذلك شأن العمران التقليدي في كثير من جهات العالم - استجابة ذكية لمتطلبات السكان، وأبرزت الدراسة كيف تغلب السكان على صعوبات البيئة واستغلوا مواردها المتاحة في إبراز عمران تقليدي متفرد (Unique)، وكيف استفادوا من احتكاكهم بغيرهم في كل الجهات التي وصلوا إليها، ولم يجدوا غضاضة في تنفيذ أساليب جلبوها من بيئات مشابهة، فأبدعوا أشكالاً جديدة أضافت إلى راحتهم وجعلت عمرانهم موفياً بالغرض الذي أنشىء من أجله، فكان ذلك مثالاً للأخذ والعطاء والتبادل الذي أوجد توازناً بيئياً بين الإنسان والبيئة، فلم يدخلوا على هذه البيئة؛ أي عنصر من عناصر «النشاز» التي تميز بها العمران الحديث.

ولا شك أن الإمارات العربية المتحدة بها من ملامح العمران التقليدي ما يستحق الحماية والمحافظة عليه بصفته بقايا تاريخية (Remnats)، وحمايته من آثار غزو عناصر العمران الحديث الذي قضى على أحياء كاملة كانت مثالاً لهذا العمران التقليدي. وتعد المنطقة التاريخية في مدينة دبي التي يوضحها شكل (٩)، الأولى بالرعاية. وقد أسهم الإنسان حديثاً في سرعة القضاء على عناصر ذلك العمران بوصول هجرة العمالة

المكونة من عمال من بلدان شتى وهم ذوي ثقافات متنافرة أسهمت في محو ملامح ذلك العمران التقليدي الأصيل. وفي النهاية يأمل الباحث أن تكون دراسته قد أضافت جديداً في مجال الجغرافية الاجتماعية والحضارية. والأمل معقود على إنقاذ هذا العمران التقليدي من التدهور، وأن تتم الاستفادة من مفرداته في وضع صيغة للبناء في منطقة الخليج تجمع بين مزاياه ومزايا العمران الحديث.



شكل (٩) المنطقة التاريخية في مدينة دبي

ثبت بالألفاظ المحلية في دولة الإمارات العربية المتحدة الخاصة بالعمران التقليدي: مواضعه، ومكوناته، ووظائفه

* أبوظبي : مدينة تقع على الخليج العربي، وهي عاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة، وعاصمة إمارة أبوظبي، التي توجد بها عدة مواضع أثرية، تدل على حضارات متقدمة في مواضع هيلي في العين، وفي جزيرة أُم النار خاصة.

* أبو هيل : منطقة في مدينة دبي، كان السكان يقضون بها الصيف في مساكن العشيش التقليدية.

* أثاث تقليدي : مجموعه من الأدوات البسيطة كانت تجهّز بها المساكن التقليدية، ومعظمها كان يصنع من الصوف والشعر، مثل البسط على الأرض، والمفارش «السرود»، والأغطية، وصندوق خشبي مزخرف بالمعدن، تزيد قيمته بزيادة مستوى من يقطن البيت التقليدي.

* الأثب : من أنواع الأشجار الشائعة في منطقة الخليج.

* الأحمدية : مبنى تقليدي أسسه الشيخ حمد بن دلموك سنة ١٩١٢، وكانت تشغل المبنى المدرسة الأحمدية، التي كانت أقدم مدرسة نظامية في دبي، وتقع في منطقة الراس في ديرة.

* أدب : لفظ محلي يُطلق على المرحاض الموجود في المنزل التقليدي.

* إذن : من مواضع الاصطياف قديماً في الإمارات.

* الأرطة : من أنواع الأشجار الشائعة في الإمارات.

* أم القيوين : إحدى الإمارات العربية المتحدة، وبجوارها بعض المناطق الأثرية.

* أهل الحجر : وهم سكان الجبال في المرتفعات الموجودة في دولة الإمارات، ومنهم قبائل الشحوح.

* أهل الرمل : وهم سكان الصحراء من البدو، ولهم قبائل عديدة.

* إيوان : عنصر مهم في تركيب البيت التقليدي ويطلق اللفظ على الليوان في بعض البلدان العربية.

* بارج : أحد طرز ملاقف الهواء التقليدية المسماة بالبراجيل.

* بارجيل : برج أو ملقف الهواء الذي يعلو المنزل التقليدي؛ لجلب الهواء إلى داخل المنزل لترطيبه صيفاً، وله عدة طرز، وغالباً ما تكون له فتحات أربع، ليمكن التحكم في حركة الرياح بحسب اتجاهها. وله أسماء أخرى مثل بادجير، وباركيل. ويعتقد أن نماذجه في منطقة الخليج العربي نقلت عن إيران المجاورة.

* باسجيل : نوع من قصب الغاب أو البامبو، كان يستورد في الماضي من جنوب إيران، واستخدم أحياناً في المباني التقليدية، وقد يسمى أحياناً باسكيل.

* بخار : مخزن المنزل التقليدي، وبه توضع الأغراض والتموين والمؤن المنزلية.

* البدية : محلة عمرانية في المنطقة الشرقية من الإمارات وبجوارها أقدم مساجدها.

* براحـة : من مناطق الاصطياف التقليدية في الماضي في مدينة دبي.

* بـاراستـي : أحد أشكال المساكن التقليدية من «العشيش» ويصنع من «الدعن»؛ أي جريد النخل.

* بَــر : لفظ يطلق محلياً على الصحراء، حيث أهم المساكن التقليدية بها وهي الخيمة.

* بُــر : لفظ محلي يُطلق على القمح.

* بِرزة : لفظ محلي يطلق على المجلس «الميلس» محلياً، وهو مكان اللقاء والاجتماع.

* بسـتكيـة : منطقـة من مناطق مـدينة دبي (تقع في بر دبي)، غنيـة بالمساكن التقليدية الجميلة، وبها أكبر تجمع منها، وترجع المباني فيها لأوائل القرن التاسع عشر، وتمتد على طول الخور لمسافة ٣٠٠ متر وبعمق ٢٠٠ متر نحو الجنوب، وتكون المباني مع البراجيل التي تعلوها خط السماء للمنطقة sky line.

* بشـارة : لفظ محلي يطلق على موسم إنتاج النخيل من البلح وجنيه.

* بقـارة : لفظ محلي يطلق على بعض أنواع السفن الصغيرة.

* بـوش : لفظ محلي يطلق على الإبل «الجِمال».

* بـوم : سفينة تجارية تعمل بين أخوار مدن الدولة والبلاد المجاورة، والسفن الأكبر من البوم يطلق عليها «بغلة».

* بيـاديـر : هم العمال الأُجراء الذين يقومون بالعمل في المزارع.

* بيت التراث : من معالم العمران التقليدي في دبي، ويسمى Heritage

House، ويقع شمال المدرسة الأحمدية، وتأسس سنة ١٨٩٠، وبه موتيفات جصية متكررة وجميلة، وقد بدأ المسؤولون في صيانته في سنة ١٩٩٤ بتكلفة قدرت بمليون درهم.

* بيت الحجر : وهو المنزل المبني بالأحجار والصخور. ويسود في الأنحاء الجبلية.

* بيت الطين : وهو المنزل المشيد بأحد أنواع الطين المجلوب من قيعان الأودية أو من البحر مثل الطين المرجاني، ويسود في المناطق السهلية والساحلية.

* بيت العسبق : ويطلق اللفظ على بعض المنازل التقليدية الجبلية.

* بيت الوكيل : تأسس سنة ١٩٣٤، وسمّي كذلك لكونه مقراً لوكيل شركة ملاحة بريطانية هندية. ويُعد أول مكتب إداري في دبي، وكان يعلوه برج لهداية السفن ومراقبة حركتها في الخور الذي يطل عليه، وقد أُقيم في بر دبي من طابقين.

* بيزامه : ويُطلق اللفظ على شجرة اللوز التي تتوسط عادة فناء المنزل التقليدي جلباً للظل.

* بيم : مفردها «بيمة» ،ويطلق اللفظ محلياً على المرجان.

* تحوال : هجرة السكان في بداية فصل الصيف إشارة إلى تحول الفصول.

* تنور : الفرن الذي يتم من خلاله إعداد الطعام والخبز بوجه خاص.

* ثقبة : فتحة على سطح الأرض، ينفذ منها أحد الأشخاص نزولاً إلى الفلج لتطهيره.

* جـاشـع : من الأسماك المملحة ويسمّى أحياناً «العوم».

* جاهلـي : من مناطق الاصطياف في الواحات قديماً في منطقة العين من إمارة أبوظبي.

* جـت : وهو نبات البرسيم.

* جـدرة : جانب من جوانب المنزل التقليدي يربي فيه السكان الدواجن في الجبال خاصة.

* جـدع : جزء من ساق النخلة المستخدم في البناء التقليدي.

* جـرهـا : محلة أثرية قديمة.

* جـص : من مـواد البناء التـقليـدية التي اعـتـمـدت عليـهـا المسـاكن التقليدية.

* جلفـار : مدينة أثرية قديمة تقع في إمارة رأس الخيمة.

* جـليب : أحد أسماء بئر الماء، والتسمية أكثر شيوعاً في دول الخليج الأخرى كالكويت.

* جمالـون : الشكل المثمن المائل، الذي يبدو عليه «الكرين» أحد أشكال المنازل التقليدية.

* جميـرة : من أحياء مدينة دبي.

* جنـدل : الخشب الذي كان يستورد من الخارج لدعم البناء التقليدي في الأسقف خاصة ومن أسمائه أيضاً «شندل».

* حـالـة : منطقة قليلة السكان أو عديمة العمران كما كان عليه بر ديرة في دبي قبل انتقال السكان إليه بعد انتشار الأمراض المعدية في بر دبي قبل أكثر من مائة عام.

* حـــالات : محلات عمرانية قليلة السكان.

* حـــبوس : من قبائل الجبال والمرتفعات، وتعتمد مساكنهم التقليدية على الأحجار والصخور أكثر من غيرها بحكم أنها المتاحة في مناطق إقامتهم.

* حـجـــر : مـادة بناء أسـاسـيـة في المناطق الجـبلية من الإمـارات من الصخور والجص.

* حجر المرجـان : المرجان البحري المستخرج من المسطحات المائية في الخليج العربي وخليج عُمان، وهو من أهم مواد البناء المعتمد عليها في البناء التقليدي، وذلك لخواصه الملائمة في العزل الحراري في الأجواء الحارة، والمباني المشيدة به هي من إبداعات أهل الخليج.

* حشـــيد : السكان المتعاونون بعضهم مع بعض في حصاد أو جني المحصولات.

* حصـــن : أحد طرز البارجيل أو برج الهواء التقليدي.

* حصـون : قلاع وأبراج دفاعية لحماية المدن والطرق ومراقبة الغرباء والمعتدين.

* حـصـــى : ويطلق على الصـخـور التي تدخل في بناء المســاكن التقليدية.

* حصيـر : وهو مساحات مسطحة مصنوعة من خوص النخيل توضع أعلى «الجندل» أو الخشب، الذي يحمل السقف دعماً له ومنعاً من تسرب المفتتات منه.

* حضـــار : السكان الذين يقومون بالهجرة الموسمية الصيفية نحو المناطق الداخلية.

* الحضــارة : الانتقال الصيفي من المناطق الساحلية الحارة الرطبة إلى حيث مزارع النخيل والبساتين في داخل البلاد (مثل العين) أو إلى المناطق الجبلية، وذلك لقضاء أغلب شهور الصيف، وهي المدة التي كان يقضيها غواصو اللؤلؤ في البحر، لذا يقوم ذووهم بعملية الحضارة حتى عودتهم.

* حِـوى : لفظ محلي يُطلق على فناء المنزل التقليدي.

* خروفة : حكاية شعبية، جذابة كانت تُحكى في مجتمعات العمران التقليدي والفرجان.

* خريجـة : أحد أسماء بئر الماء.

* خِـلال : سلسلة توصل أطراف الرواف بجوانب الخيمة البدوية التقليدية.

* خـور : الجونات والألسنة المائية المتوغلة في اليابس في سواحل الإمارات، لذا كانت من أهم الجواذب للسكان للعيش على جوانبها في الماضي؛ للاستفادة من الهواء اللطيف، واستخدامها في المواصلات والتجارة. وتقع أهم مدن الإمارات على هذه الأخوار، ومنها خور دبي وخور الشارقة وخور عجمان.

* خـورفكـان : محلة عمرانية تابعة لإمارة الشارقة، ولها موقع جغرافي بديع على ساحل خليج عُمان وعند حضيض الجبال الواقعة في ظهيرها.

* خـوص : وهو سعف النخيل الذي استخدم كثيراً في مفردات العمران التقليدي، وبخاصة في صناعة «الحصر» التي تعلو خشب

الجندل في الأسقف، وكذلك في صناعة الأدوات والمتطلبات الخاصة بالمباني التقليدية البسيطة.

* خيمـــــة : أحد أشكال العمران البدوي المتنقل، وأحياناً تقام في المدن بصفة دائمة.

* خيمة بحر : وهي أيضاً من أشكال المباني التقليدية المؤقتة، وتصنع من السعف وألواح الخشب والمعدن «الشينكو».

* خيمة خيارية : مسكن شتوي تقليدي يصنع من السعف، وهي غير دقيقة الصنع ومؤقتة.

* خيمة ريادية : مسكن شتوي تقليدي، يصنع من سعف النخيل وهي - على عكس الخيمة الخيارية - دقيقة الصنع.

* خيمة ليوا : مسكن تقليدي، وتصنع من جريد النخل فقط، وتنسب لواحات ليوا.

* خيرة : حزم الدعن أو الجريد، ويطلق اللفظ أحياناً على الحزام الذي يربط الدعن .

* داعــوب : مجرى صغير أسفل الباب الرئيسي للمنزل التقليدي لتصريف مياه المطر.

* داوودي : أحد أنواع الأفلاج، وينسب للنبي داود (عليه السلام) وفي عُمّان خاصة .

* دبـــا : موضع عمراني، ومدينة قديمة في الإمارات، كان لها شهرة عريضة كسوق تجارية وميناء مهم، ونمت وانتعشت بسبب ذلك في العصر الإسلامي، ولاتزال محلة عامرة.

* دبــي : مدينة مهمة وعاصمة للإمارة الثانية في الأهمية بعد إمارة أبوظبي، وهي مركز تجاري ناهض منذ فترة ما قبل البترول، وبها أغنى الأحياء بمفردات العمران التقليدي وبخاصة في مناطق البستكية والشندغة والراس.

* دجــة : وهي عتبة مرتفعة قليلاً عن سطح الأرض، تقام في مدخل المنزل التقليدي أمام الباب الرئيس لمساعدة الداخلين والخارجين من المنزل.

* درايــش : وهي نوافذ أو «شبابيك» المنزل التقليدي، وقد يطلق على النافذة لفظ شرباك.

* درج (دري) : وهو السلم الذي يصل بين الطابقين الأرضي والعلوي في المسكن التقليدي، وينطق دائماً «دري».

* درونـد : إطار يحيط بباب المنزل الرئيسي.

* دعــن : جـريد النخـيل الذي يدخل في العـديد من أشكال المنزل التقليدي، وتطلق التسمية على المجموعة أو الحزمة من الجريد، وبه تشيد بعض أشكال السكن التقليدي، كما يستخدم أحياناً ومعه الخوص العالق به، وفي هذه الحالة يسمّى دعن غير «مقصص»، وإذا فصل الخوص عن الجريد يسمّى دعن «مقصص»، ويستخدم كلا النوعين في صناعة مساكن العريش والعشيش الأخرى.

* دفعــة : حيطان أو جدران الخيمة أو بيت الشعر، وهما الحائطان الأيمن والأيسر.

* دفــوع : الجريد المشدود بعضه إلى بعضه الآخر، والمستخدم في البناء التقليدي.

* دكـــان : المحل التقليدي المتميز بصغر المساحة وبيع المواد التقليدية والعطارة.

* دلال : أوعية لصنع القهوة العربية، ومنها أنواع مثل الخمرة والمزلة.

* دلـــة : الإناء الذي توضع فيه القهوة العربية.

* دلـمون : اسم حضارة قديمة شهيرة في البحرين.

* دهـــريـــز : مدخل ضيق بين باب البيت وساحته، وقد يُطلق الاسم على إحدى غرف البيت التقليدي الصيفية.

* دهـــك : مسحوق الصخور الجيرية ومواد أخرى تعجن بالماء، ويستخدم في تكسية مباني جدران العمران التقليدي.

* دواشـك : وهي البسط والسجاجيد التي تفرش على أرضية المساكن التقليدية.

* دواعـيس : الطرق الضيقة التي تفصل بين المساكن التقليدية في «الفريج»، وقد تسمى أحيانا «سكيك».

* الـــدور : مدينة قديمة.

* ديـــرة : لفظ يعني أصلاً منطقة نفوذ القبيلة «ديرة القبيلة»، وتعني منطقة يعرف الناس فيها بعضهم بعضا، ويسود بينهم الألفة والمعرفة. ولا تزال التسمية مستخدمة حتى الآن كما في «ديرة دبي». وفي الماضي كانت ديرة القبيلة تعني المنطقة التي لا يحق لقبيلة أخرى اختراقها أو الدخول إليها إلاّ بإذن القبيلة صاحبة النفوذ، ومن معانيها أيضاً البلد أو الموطن، فديرة فلان أي بلده.

* ديوانـية : اسم يشير إلى المجلس الذي يستقبل فيه الزوار في المنزل التقليدي، وعادة ما يكون في المنزل التقليدي أكثر من مجلس يخصص أفضلها للضيوف ويكون منفصلاً ومستقلاً نسبياً عن بقية البيت ويحوي المرافق الخاصة بخدمة الزوار.

* راحلـة : عمود العرشان والأسبلة.

* رأس الخيمـة : مدينة وإمارة في دولة الإمارات العربية المتحدة، وبها العديد من مواضع الآثار القديمة والحضارات مثل حضارة جلفار.

* رايلـة : اسم يطلق على مجموعة من النباتات والأعشاب والأغصان المحلية المستخدمة في دعم أسقف بعض مساكن «العشيش» التقليدية البسيطة.

* ربيـع : فترة زمنية تشير إلى توزيع حصة أو نصيب من ماء الفلج الذي يغذي المزارع بالمياه، وكانت الأفلاج وتوزيع مياهها أساس مهم من أسس الاقتصاد التقليدي قبل مجيء عصر البترول، وتساوي فترة «الربيع» ربع يادة، واليادة ١٢ ساعة، أي إن الربيع يساوي ٣ ساعات، ويسمى العشب أحياناً ربيعاً.

* رحـى : أداة تقليدية من الحجر لطحن الحبوب من الشعير والقمح.

* ردة : اسم يطلق على باب الخيمة الشتوية.

* رفلـة : أحد أنواع النباتات والأشجار النامية في الإمارات.

* رواف : قطعتان من القماش تستخدمان لإغلاق باب الخيمة من الخلف.

* رواق : تسمية تطلق أحياناً على الليوان أحد مكونات البيت التقليدي الأصيلة.

* روبيـــة : عملة نقدية هندية الأصل، كانت أساس التعامل الاقتصادي في الماضي.

* روزنـــة : تسمية تطلق على الباب الصغير الثانوي الموجود داخل باب المنزل التقليدي الرئيسي، الذي يسهل حركة سكان المنزل. ومن أسمائه الأخرى «فرخة».

* زرب : الحظيرة الخاصة بالحيوانات، وكانت تلحق في الماضي بالمنزل التقليدي.

* زويـــة : جزء مقتطع من غرفة النوم، ويخصص للاستحمام فقط داخل المنزل التقليدي.

* سـاباط : أحد مفردات تركيب المنزل التقليدي، وهو عبارة عن شرفة مرفوعة نسبياً عن سطح الأرض، تطل على فناء المنزل.

* السبلـــة : أحد أشكال العمران المؤقت، وهي عبارة عن مظلة تقام أمام مسكن العريش الصيفي.

* سـاتــر : حواجز تركب في البيت التقليدي، تعوق وتكسر الرؤية من خارج المنزل، وقد تكون في صورة بناء كتلي أو حواجز مخرمة؛ ليدخل منها الهواء، وهي تركب في النوافذ، وفي الشرفات، وفي المجالس، وفي أجزاء أخرى من المنزل لتحقيق الخصوصية.

* ســـاج : نوع من الخشب المستورد العريض الذي يوضع أعلى أعمدة السقف أو «الجندل»، الذي يدعم أسقف البيوت التقليدية.

* سبخات : مناطق مستنقعية تنتشر في بعض أنحاء الإمارات عند السواحل خاصة، وأدى وجودها، إضافة إلى المد والجزر، إلى طمس العديد من الشواهد الأثرية والحضارية القديمة وطمرها.

* سبط : أحد أنواع الأشجار الموجودة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

* سرود : مفارش مستديرة تصنع من سعف النخيل، وتوضع على الأرض، ويرص عليها الطعام، والاسم شائع في معظم الإمارات، وفي الفجيرة يطلق عليها «كفار».

* سكيك : الحارات والطرقات الضيقة الملتوية، التي تفصل كتل المساكن التقليدية، والتي أخذت شكلها المتعرج نتيجة النمو العضوي للعمران وهي الطرق التي يستخدمها سكان «الفريج» في تواصلهم بعضهم مع بعض.

* سمر : أحد أنواع الأشجار النامية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

* سمبوك «سنبوك» : قارب أو مركب صغير.

* سميت : من المواد اللاحمة المستخدمة في البناء التقليدي.

* سنداس : أحد أسماء المرحاض في بعض الإمارات، كما هي الحال في إمارة أم القيوين.

* سـنظوانـة : العمود الذي يحمل البناء أو السقف وبخاصة في الليوان أحد أجزاء المسكن التقليدي.

* سهل الباطنة : منطقة ساحلية بعضها مهم في الزراعة، وهي في المنطقة الشرقية، مطلة على خليج عُمان، وفي الماضي كان بعض سكانها يجمع بين الزراعة وصيد السمك.

* سيسم : نوع جيد من الأخشاب المستوردة، تصنع منه أبواب المساكن.

* سيـم : من أشكال العمران التقليدي، وتقام أمام المسكن صيفاً للنوم عليها، وتكون مرتفعة عن الأرض.

* شاحوف : يقصد بالاسم السفينة الصغيرة.

* الشارقة : مدينة وإمارة مهمة في دولة الإمارات العربية المتحدة، وتطل على الخليج العربي، وتشتهر بنشاطها الثقافي، وبعض أجزائها مطلة على خليج عُمان مثل مدينة خورفكان وكلبا.

* شبرية : السرير المخصص للنوم في المنزل التقليدي.

* شحوح : من القبائل الجبلية الشهيرة في دولة الإمارات، ومساكنهم التقليدية مشيدة من الصخور والأحجار، وهي أصغر حجماً وبدون مادة لحام تربط بينها، ولهم بعض العادات الاجتماعية المختلفة عن سكان السهول في طريقة الحياة.

* شرفـــة : وهي من أجزاء المسكن التقليدي، وتلحق بالغرفة الصيفية العلوية.

* شعبيـات : طراز عمراني جاء مع عصر البترول ومحـاولة إسكان البدو والسكان في منزل يوائم بين الحياة البدوية والمستقرة، ويحوي أجزاء بدون بناء للتوسع المستقبلي بحسب رغبة السكان، وهو شـائع في معظم أنحاء الدولة ويطلق على مجموعة المساكن من هذا النوع تعبير «شعبية».

* شـعــم : محلة عمرانية في رأس الخيمة، وكانت من مناطق الاصطياف التقليدي في الماضي.

* شـمـال : أداة توضع حول ضرع الناقة لتنظيم الحصول على الحليب.

* شـمـل : محلة مهمة في رأس الخيمة، تجاورها مواضع أدلة أثرية لمحلات عمران قديمة.

* شندغــة : من مناطق العمران التقليدي المهمة في مدينة دبي، مطلةعلى الخور ومتميزة بمساكنها ذات الأفنية والبراجيل الجميلة، التي تعلو هذه المساكن.

* شينكــو : لفظ يطلق على الأجزاء المعدنية التي تدخل في إقامة بعض العشيش أو البيوت المؤقتة البسيطة.

* صــــاروج : مـادة بناء تقليدية على درجة كبيرة من الأهـمية في البناء التقليدي، قوامها الجص الذي يحرق أولاً في قمين خاص، ثم يدق، ثم ينخل، وقد يخلط أيضاً بالطين وروث الحيوانات. وتغطى به أسقف المنازل؛ لمقاومة فعل التعرية والمطر.

* صفة (صوفية) : من أنواع المساكن الجبلية.

* صمعاء : من أسماء السفن الصغيرة.

* ضدنة : محلةعمرانية ساحلية مطلة على خليج عُمان في المنطقة الشرقية، ويعمل أهلها بصيد السمك.

* طارمة : أحد أسماء «الليوان» في بعض مناطق دولة الإمارات.

* طواش : التاجر أو البائع الذي يعمل في تجارة اللؤلؤ.

* طوفة : سور المنزل التقليدي، يحيط به ويحدد حدوده.

* طين بلوغار : أحد أنواع الطين الجيد الذي كان يستورد من إيران ليدخل في المباني التقليدية.

* طوي : بئر الماء الذي يغذي أهل المنزل التقليدي بالمياه يومياً.

* عبرة : وسيلة نقل الركاب عبر خور دبي في الماضي، وقلت أهميتها اليوم لوجود الجسور، وكان سكان المناطق ذات البناء التقليدي في الماضي ينتقلون بها عبر جانبي الخور حين كانت مساكن «العشيش» هي السائدة.

* عجمان : مدينة وإمارة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

* عراد : من أنواع الأشجار السائدة في دولة الإمارات.

* عريش : أحد أشكال المباني الصيفية الخفيفة في الماضي، ومن مساكن المقيض، وتصنع من الدعن «الجريد»، وكان يشيع في الماضي في أطراف المدن (أُنظر صورة مدينة دبي قديماً)، ومنه العريش «المقصص»، و«غير المقصص»، وقد يعلوه بارجيل من المواد النباتية نفسها التي تدخل في إنشائه.

* عريف : الشخص المكلف بتوزيع مياه الفلج على المستفيدين، وقد يأخذ أجره حصة من الماء.

* عسبق : يطلق على البيوت القائمة في المناطق الجبلية.

* عشيش : منازل بسيطة تشيد من مواد محلية نباتية، غالباً مما يسود في البيئة وبخاصة من «الدعون» الجريد ومنتجات النخيل من جذوع وخوص إلخ.. واللفظ يطلق أساساً على المساكن الصيفية والمؤقتة، التي كانت سائدة في الماضي في كل أنحاء الإمارات، سواء الزراعية أو بالقرب من السواحل، حيث محلات صيد السمك، وكانت تشيد خصيصاً في أثناء فترة المقيض وهجرة سكان السواحل للداخل.

* علنا : من أشجار الإمارات.

* عمدان : وهي الأعمدة التي ترفع الخيمة أو بيت الشعر وأنواع السكن المؤقت الأخرى، وتسمّى أحياناً رايلة.

* عمران تقليدي : تعبير يقصد به المساكن التقليدية التي أبدعها السكان مستغلين مواد محلية، تحقق الغرض من إقامتها، وتستجيب لظروف البيئة الطبيعية والبشرية والحضارية، وتنسجم مع خلفية السكان الثقافية، حيث تميز مجموعة من السكان عن غيرهم.

* عنه : أحد أنواع المساكن السائدة في المناطق الجبلية.

* غاف : أحد أنواع الأشجار السائدة في الإمارات.

* غرافة : أداة زراعية مثل الشادوف؛ لرفع الماء لري المزروعات.

* غرفة : لفظ يطلق على المسكن التقليدي المكون من طابقين، كما أن

هناك محلة عمرانية في منطقة الساحل الشرقي من الإمارات تسمّى غرفة.

* غليـون : وهو التبغ أو الطباق، وكانت زراعته سائدة في الماضي في المناطق القريبة من الفجيرة وخورفكان، وكان له موسم لجني المحصول. ويطلق اللفظ أيضاً على أداة لتدخين التبغ صغيرة الحجم، قريبة الشبه من «البايب».

* غـوص : هي المدة التي كان يستغرقها الغواصون وصائدو المحار بحثاً عن اللؤلؤ كل عام، وتستمر ما بين ٣ - ٤ شهور، ويسافر الآلاف كل عام إلى مناطق الغوص «الهيرات»، وهي أماكن الغوص. ودعم اللؤلؤ العمران التقليدي وكان أهم أساس اقتصادي له قبل أن يسود الكساد في ثلاثينات القرن العشرين، وجاء اكتشاف البترول ليقضي على هذا النشاط تماماً. وكان سكان السواحل يقومون كل عام بهجرة موسمية لداخل البلاد، حتى يعود الرجال من رحلة الغوص.

* غيلـي : وهو أحد أنواع الأفلاج التي حفرها الإنسان، ويطلق أيضاً على بقايا ماء السيل في الوادي وتعتمد الزراعة عليه.

* الفجـيرة : مدينة وإمارة مهمة تقع على خليج عُمان في شرق الإمارات.

* فرخـة : الباب الصغير الذي تتم عبره الحركة اليومية للسكان القاطنين في المسكن التقليدي، والباب الصغير جزء من باب أكبر منه، والأخير يفتح في المناسبات.

* فـريـج : يقصد باللفظ جزء صغير من مساحة المحلة أو المدينة، عادة ما يعرف فيه السكان بعضهم بعضا، يتواصلون مع بعضهم عبر

السكيك؛ أي الحارات الملتوية المتعرجة. والأصل في اللفظ «فريق» فحرف اللفظ. وفي الماضي كانت مدينة أبوظبي مقسمة إلى عدة «فرجان»، زال معظمها مع توسع عمران المدينة. وكان من فرجان أبوظبي في الماضي «فريج المحاربة»، وفريج «الرواشد»، وفريج «الرميثات» إلخ.. ومن فرجان دبي عيال ناصر، والمرور القديم، وفريج البحارنة إلخ.. ويعد فريج الشرق في مدينة خورفكان من أغنى المناطق بالمساكن التقليدية.

* فريـــة : هو الباب الصغير المسمّى أحياناً فرخة.

* فلـج : يقصد به مجرى أو أخدود محفور داخل المناطق الجبلية، تجري فيه المياه بميل معين حتى تظهر على سطح الأرض لري المزروعات، وتختلف الأفلاج في أطوالها وطاقتها وأعماقها، وتحتاج إلى الصيانة الدائمة حتى يستمر جريان الماء. وهي جزء من نظام أصيل للري قديم في منطقة الخليج.

* فـلائـج : هي قطع من القماش المنسوج الذي تصنع منه الخيمة أو بيت الشعر.

* فنـر : المصباح الذي يضيء المسكن التقليدي، وكان يعمل بالكيروسين.

* قـرم : هو نبات المانجروف في بعض الأجزاء الساحلية منخفضة المنسوب والمغطاة بالمياه مثل الأخوار، ومن مناطقه خور كلبا في منطقة الساحل الشرقي.

* قصـر الحصن : قصر قديم في جزيرة أبوظبي شُيد بين سنة ١٧٩٣ - ١٨١٦م، وكان يحيط به المساكن البسيطة من العشيش الذي ميز

منطقة مدينة أبوظبي قبل عصر البترول (انظر صورة أبوظبي القديمة).

* قصيص : موضع عمراني قديم في مدينة دبي وحي من أحيائها حالياً.

* قطارة : محلة أثرية، وموضع عمراني قديم ضمن مدينة العين حالياً.

* القطع : الستائر التي تقسم الفضاء الداخلي للخيمة البدوية إلى أجزاء.

* قفا الخيمة : يقصد باللفظ ظهر الخيمة.

* قلاع : لفظ يطلق على المباني الدفاعية المحصنة لحراسة المحلات العمرانية والدفاع عنها، وحين يسكنها الحاكم تسمّى قصراً، وينتشر في أنحاء الدولة العديد من القلاع القديمة المهمة التي تحول بعضها إلى متاحف ثقافية.

* قلعة الفهيدي : بناء تقليدي في دبي، تأسست سنة ١٧٩٩ لحماية المنطقة المعمورة من المدينة آنذاك، واستخدمت كمقر للحاكم حتى سنة ١٨٩٠ حين رحل الشيخ مكتوم بن حشر آل مكتوم إلى الشندغة الأقرب للخور، وهي اليوم جزء من متحف دبي.

* قماش : اسم يطلق أحياناً على اللؤلؤ.

* قناد : حب الهيل أو «الحبهان»، يضاف للقهوة العربية.

* كرال : مسكن تقليدي أفريقي مستدير الشكل.

* كرى : من أشجار الإمارات.

* كريـــن : من أشكال السكن التقليدي الشتوي (على عكس العريش) الصّيفي، وهو يبنى من مواد أكثر بقاء واستمراراً، وللكرين سطح مائل، وله أشكال عديدة، تتباين بين السهول والمناطق الجبلية.

* كشتيـــل : أحد أسماء أبراج الهواء في بعض دول مجلس التعاون الخليجي.

* كفــار : ألاسم السائد في الفجيرة للمفارش التي تصنع من الخوص، ويوضع عليها الطعام في المسكن التقليدي، الاسم المقابل في بقية الإمارات «السرود».

* كلبــا : من محلات العمران في الساحل الشرقي لدولة الإمارات، مطلة على خليج عُمان.

* كـــوار : موقد لطبخ الطعام في المنزل التقليدي، وأحياناً يوجد في فناء المنزل.

* لِـــبن : وهو الطوب الأخضر، أو النيىء المجفف بوساطة أشعة الشمس، وقد استخدم بكثافة في إقامة المساكن التقليدية.

* لقـــط : أحد أسماء مسكن العريش «المقصص»؛ أي منزوع الخوص عن الجريد، الذي يمثل مادة بناء العريش الرئيسة.

* لـــيط : مادة لتكسية المساكن التقليدية عمادها الطين أساساً ويخلط بمواد أخرى.

* لـــيوا : من واحات الإمارات الشهيرة.

* ليـــوان : أحد عناصر التركيب الداخلي للمسكن التقليدي، ويطل على

الفناء، وتنفتح عليه معظم غرف المنزل، وهو بتخطيطه يعد استجابة لظروف منطقة الخليج المناخية، وبخاصة ما تتميز به الجهات الساحلية صيفاً من حرارة عالية ورطوبة زائدة.

* مانجروف : أشجار محلية ترتبط بالأخوار الساحلية، أسهمت في الماضي في دعم العمران التقليدي باستخدام أخشابها في حدود ضيقة، وأوراقها غذاء للحيوان، وطيورها المهاجرة لغذاء السكان، ويطلق على تجمعات المانجروف محلياً لفظ «القرم»، ومن أهم مناطق وجودها في خور كلبا.

* مجلس : مكان فسيح داخل المسكن التقليدي لاستقبال الزوار ينفصل عادة عن بقية مكونات المنزل الذي تقطنه الأسرة -راجع ديوانية.

* مجلس الغريفة : مقر صيفي لحاكم دبي في الخمسينات الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، ويقع في منطقة أم السقم، التي كانت حافلة بالنخيل وأكواخ الصيادين. ومساحة المجلس ١٠٠ متر مربع، وفي الماضي كان مجلس الغريفة البناء الوحيد المبني بالحجارة والجبس وسط تجمعات النخيل.

* محصنة : من مناطق الاصطياف التقليدي في الماضي.

* محماس : وعاء حديدي يحمص فيه البن.

* مخزن : هو المنزل من طابق واحد، وأحياناً يطلق اللفظ على الغرفة وأحياناً يسمّى بخّاراً.

* مخض : وعاء من الجلد يجري فيه خض اللبن لفصل مكوناته.

* مُدر : الطين المستخدم في البناء التقليدي.

* مدينة حتا التاريخية : تأسست في القرن ١٦م. وتشير عمارتها إلى التفاعل بين عمارة السهل والجبل والصحراء. وهي مثال لمحلات عمران الدفاع والحماية، وكان لخصائص الموضع تأثيره في تحقيق الحماية والدفاع من خلال سيطرة موضعها على اللاند سكيب المجاور.

* مرزاب : مجرى الماء الذي يركب على الأسطح في المنازل التقليدية، وأحياناً يصنع من سيقان النخيل.

* مرقد الرجال : الجزء المخصص للرجال في الخيمة البدوية، «بيت الشعر».

* مرقد النساء : الجزء المخصص للنساء في الخيمة البدوية «بيت الشعر».

* مزلاج (مزلاي) : قطعة معدنية يغلق بها المسكن التقليدي لزيادة الحماية. وعادة ما تقلب الجيم ياءً في الإمارات.

* مسبح : جزء مخصص للاستحمام في جانب الغرفة.

* مصابيح : المصابيح فتحات ضيقة في جدران المساكن التقليدية للحفاظ على الخصوصية ودخول الضوء، والمفرد مصباح، ويطلق عليه أحياناً «كوة».

* مطهر : لفظ يطلق على المرحاض في المساكن التقليدية.

* مقيض : يقصد به فصل الصيف، وله مساكنه الخاصة من العشيش

والمساكن البسيطة المتنقلة لراحة السكان في هذا الفصل الحار.

* ملاقف الهواء : هي الفتحات في أعلى المساكن جلباً للهواء وتلطيف درجة الحرارة، والبراجيل أحد أنواع هذه الملاقف، ولكنها مرتفعة عن السطح.

* مليحة : من محلات العمران في الإمارات.

* منامة : من محلات العمران التقليدي البسيطة، تقام أمام المنزل صيفاً.

* مناور : هي الملاقف نفسها التي سبق الحديث عنها.

* منزل الشيخ سعيد آل مكتوم : منزل تقليدي، فوقه أربعة براجيل أنشىء في دبي سنة ١٨٩٦، وتم تجديده من قبل بلدية دبي، وكان مقر إقامة حكام إمارة دبي في الماضي، وسكنه الشيخ سعيد حتى توفى سنة ١٩٥٨.

* من : وحدة وزن مقدارها ٤ كيلوجرامات.

* مهفة : مروحة متواضعة من سعف النخيل لجلب الهواء صيفاً.

* مينور : رافعة لاستخراج الماء من البئر بوساطة اليازرة.

* نص : نبات ينمو في دولة الإمارات العربية المتحدة.

* نوخذة : ربان سفينة الغوص.

* نوره : مادة طلاء تستخدم في المباني التقليدية وللتكسية أيضاً.

* هرم : من أشجار الإمارات.

* هوش : لفظ يطلق محلياً على الغنم.

* هيـــرات : وهي مغاصات وأماكن صيد المحار المحتوي على اللؤلؤ في الخليج العربي.

* هيلـــي : من مواضع العمران في الإمارات، وترجع للألف الثالث ق.م.

* وادي قـــور : من مناطق إنتاج النحاس في جبال عُمان، ومن مواضع العمران القديم.

* واريـــش : السور المخرم والمزخرف، يحيط بسطح المسكن التقليدي، ويمنع رؤية مَنْ على سطح المنزل تحقيقاً للخصوصية.

* وجـه الخيمـة : يقصد باللفظ مقدمة الخيمة أو الجزء الأمامي منها، وهو عكس «قفا الخيمة».

* وعـــوب : مناطق زراعية مدرجة، كانت من أهم مناطق الزراعة في الماضي التي دعمت العمران التقليدي في الريف والجبال، وكل قسم به نخيل يسمى «وعب» وهو مهم عند تقسيم الميراث.

* يـــادة : فترة زمنية تستخدم في توزيع مياه المستفيدين من الأفلاج - راجع ربيع.

* يازرة : أداة لاستخراج الماء من قلب البئر وهي من أهم منجزات أهل الإمارات، وكان يعتمد عليها كثيراً في الماضي وهي تتألف من الأجزاء الآتية:

١ - الصنفير : من مكونات اليازرة، أداة الري التقليدية، وهي قطعة من خشب شجر (الأشخر) أو (الشو) وطولها حوالي مترين.

٢ - المنيور : من مكونات اليازرة على شكل بكرة.

٣ – الدلو : من مكونات اليازرة، ويصنع من جلد البقر؛ لاستخراج الماء من البئر.

٤ – الرشا : من مكونات اليازرة: وهو حبل سميك يربط بالدلو من أعلى.

٥ – المرص : من مكونات اليازرة وهو حبل رفيع مساعد للرشا.

٦ – الصوبى : من مكونات اليازرة وهو قطعة مستديرة من الخشب. ويوضع المرص على الصوبى لمساعدة الثور في رفع الدلو.

٧ – الروايل : من مكونات اليازرة، ويصنع من جذع نخلة يقسم نصفين، ويكون مائلاً قليلاً، ويوضع في أعلاه نصف جذع يسمّى العارضة، وتسند عليها التركيبة.

٨ – الوى : من مكونات اليازرة وهو قطعة من الخشب، توضع على ظهر الثور عندما يدخل إلى الخب.

٩ – الزالوى : حبل يمسكه الشخص بيده لمساعدة الثور الذي يحرك اليازرة.

١٠ – السواعد : من أجزاء اليازرة وهي جذع نخلة يقسم إلى قسمين، ويوضع على أطراف الصوبى.

١١ – القاية : من أجزاء اليازرة، وهي قطعة من الخشب توضع على الدلو.

١٢ – الغبقة : وهي حبل يوضع على رقبة الثور الذي يحرك اليازرة.

١٣ – المغيلة : وهي المكان الذي يصب فيه الدلو الماء المجلوب بوساطة اليازرة.

١٤ - العروة : من مكونات اليازرة، وتوضع أسفل الدلو الذي يجلب الماء من البئر.

١٥ - الكراب : حبل يربط الدلو الذي يجلب الماء من البئر بوساطة اليازرة.

١٦ - الخب : من عناصر عملية الري باليازرة، ويقصد به حفرة كبيرة عميقة قليلاً ، يتم إنزال الثور الذي يحرك اليازرة فيها، ويساعد إنزال الثور فيها على جلب الماء من البئر من خلال حركة الثور صعوداً وهبوطاً. ويقوم الشخص القائم على الري باليازرة بمساعدة الثور عن طريق حبل الزالوي.

١٧ - الثور : يُقصد به ثور البقر، أو الحيوان الذي يحرك اليازرة، وله مواصفات رئيسة، أهمها القوة، حتى يستطيع إنجاز العمل الشاق، ويختار من سلالة ممتازة، كما يتم إطعامه طعاماً خاصاً يسمّى (الفخارة) مكون من نوى البلح وورق شجرة اللوز والماء، ويوضع في إناء خاص يسمّى (البورمة)، التي توضع على النار، حتى تغلي ثم تدفن تحت الأرض، ويوضع تحتها بعض الجمر المشتعل للحفاظ على حرارتها.

فهرس الأشكال

فهرس الصور

صفحة

المراجع العربية:

١ - إبراهيم عثمان: ندوة التراث الشعبي في دولة الإمارات العربية المتحدة، سلسلة الدراسات التاريخية والتراثية(٤). مايو ١٩٩٢.

٢ - المجمع الثقافي (أبوظبي): مجلة الفن والتراث الشعبي - رأس الخيمة - العدد الأول - السنة الأولى - ديسمبر ١٩٩٥.

جمعية النخيل للفنون الشعبية العمارة في البحرين - عالم البناء - العدد ٢٤ - يوليو ١٩٨٢ ص ص ٣١ - ٣٤.

٣ - بدرية سالم العبري: الأفلاج العُمانية ونظامها، حصاد ندوة الدراسات العمانية - سلطنة عُمان - وزارة التراث القومي والثقافة - المجلد ٢ ص ص ١٣٣ - ١٣٩.

٤ - توفيق أحمد عبد الجواد: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية - دار وهدان للطباعة والنشر - بدون تاريخ نشر - الجزء الثالث.

٥ - حازم محمد إبراهيم: التنمية العمرانية في المناطق الصحراوية - عالم البناء - العدد ٨ - ١٩٨١ - ص ص ١٦ - ١٩.

٦ - حسن سيد أحمد أبوالعينين: دولة الإمارات العربية المتحدة - دراسات وبحوث جغرافية - دار صفاء - عمان - الأردن سنة ١٩٩٦.

٧ - حسن سيد أحمد أبو العينين ومحمد مدحت جابر. مواضع المحلات العمرانية في المنطقة الشرقية من دولة الإمارات العربية المتحدة والعوامل

الجغرافية التي أثرت فيها سلسلة الدراسات الخاصة – معهد البحوث والدراسات العربية جامعة الدول العربية – العدد ٣٠ – القاهرة ١٩٨٧م.

٨ – دولة الإمارات العربية المتحدة. دائرة الآثار والسياحة – الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة – العين – بدون تاريخ نشر.

٩ – ديكسون: الخيمة البدوية: طبيعتها ومتطلباتها – مجلة المأثورات الشعبية – السنة ١ – العدد ٤ – الدوحة – أكتوبر ١٩٨٦.

١٠ – ريم طارق المتولي: قصر الحصن–المجمع الثقافي– أبوظبي– ١٩٩٧.

١١ – سامي سعيد الأسعد: تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي – منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة – شعبة دراسات العلوم الاجتماعية – البصرة)٦٧(– ١٩٨٥.

١٢ – سعيد عبدالله الشيخ: العمارة التقليدية ومدى ملاءمتها للظروف المناخية في المملكة العربية السعودية – عالم الصناعة – السنة العاشرة – العدد ١١٩ – يناير ١٩٨٤ – ص ص ٤٠ – ٤٥.

١٣ – سرج كلوزيو: تقرير البعثة الفرنسية للموسمين الثاني والثالث بين ١٩٧٧ – ١٩٧٩ – في كتاب الآثار في دولة الإمارات – مرجع سابق، ص ص ١٩ – ٣٩.

١٤ – سعود عياش وآخران: تأثير درجة الحرارة على استهلاك الكهرباء في

الكويت – النفط والتعاون العربي – مجلد ١١ – عدد ٢ – ١٩٨٥ – ص ص ٤٧ – ٧٦.

١٥ – **سيف علي الضبع:** مقدمة عن الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة – في كتاب الآثار في دولة الإمارات – مرجع سابق – ص٩.

١٦ – **شاكر خصباك:** مجتمع يتغير – في الدراسة المسحية الشاملة عن دولة الإمارات العربية المتحدة الصادرة عن معهد الدراسات الغربية العالمية ١٩٧٨ – ص ص ٥٣١ – ٦٢٤.

١٧ – **عادل عبد السلام:** النبات والحيوان في دولة الإمارات – في الدراسات المسحية الشاملة – مرجع سابق – ص ص ١٨٥ – ١٩٨.

١٨ – **عبد الباقي إبراهيم:** تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة – مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية – القاهرة، ١٩٨٢.

١٩ – **عبد الحميد غنيم:** المستوطنات البشرية في دولة الإمارات العربية المتحدة – مكتبة الفلاح – الكويت – ١٩٨٥.

٢٠ – **عبد الرسول علي:** التغيرات الاجتماعية وأثرها على الإسكان ودور التخطيط في مواجهة هذه التغيرات – النموذج الكويتي – مجلة دراسات–المجلد الثامن – حزيران ١٩٨١ – العدد الأول – ص ص٥٥ – ٦٤.

٢١ – **عبد الستار عزاوي وجمال إبراهيم الشحي:** أبراج الشارقة – دراسة تاريخية معمارية – الشارقة سنة ١٩٩٣.

٢٢ - عبد الله عبد الرحمن: مقالات متعددة من جريدة الاتحاد - أبوظبي - الإمارات في ذاكرة أبنائها. منشورات اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات - الطبعة الثانية - الشارقة ١٩٩٥.

٢٣ - عبد الله عبد الرحمن: في جغرافية العمران - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٧٢.

٢٤ - علي حسين الشلش: المناخ والحاجة إلى تكييف الهواء في العمران - مجلة كلية الأداب بجامعة البصرة - العدد ١٨ - ١٩٨١ - ص ص٤٧ - ٩٢.

٢٥ - علي عبد القادر غريب: حديث عن مواد البناء التقليدية والحديثة في الاتحاد الصادرة في أبوظبي يومي ٢٠/٢، /٢١/٢/١٩٨٦.

٢٦ - عمر الخطيب: تنمية المستوطنات البشرية في دول الخليج العربي - المجلة العربية للعلوم الإنسانية - المجلد الرابع - العدد ١٤ - ربيع ١٩٨٤، ص ص ١٤٣ - ١٦٠.

٢٧ - غرفة تجارة وصناعة دبي: ثلاثون عاماً من التطور والنمو - ١٩٩٦.

٢٨ - فاطمة الصايغ: الإمارات العربية والخط الجوي البريطاني إلى الشرق؛ ١٩٢٩ - ١٩٥٢ - منشورات المجمع الثقافي - أبوظبي سنة ١٩٩٥.

٢٩ - فالح حنظل: معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإعلام - أبوظبي - ١٩٧٨.

الشحوح وتاريخ منطقة رؤوس الجبال في الخليج العربي – الطبعة الأولى – ١٩٨٧.

٣٠ – كيوفران: البيوت التقليدية في مدينة صحار – حصاد ندوة الدراسات العُمانية – المجلد السابع، ص ص ٥ – ٧٢.

٣١ – لوريمر: دليل الخليج – القسم الجغرافي ٦ أجزاء والقسم التاريخي ٦ أجزاء – الدوحة – بدون تاريخ نشر.

٣٢ – مانع سعيد العتيبه: اقتصاديات أبوظبي قديماً وحديثاً – طبعة ثانية – أبوظبي – ١٩٧٣.

٣٣ – محمد بن أحمد الشيخ حسن: العادات والتقاليد في دولة الإمارات العربية المتحدة – المطبعة العصرية – أبوظبي – ١٩٨٣.

٣٤ – محمد راشد الجروان: رسالة إلى ولدي. دار الخليج للصحافة – الشارقة ١٩٨٥.

٣٥ – محمد رشيد الفيل: النشاط الاقتصادي لسكان دولة الإمارات العربية المتحدة في كتاب دولة الإمارات – دراسة مسحية شاملة – مرجع سابق، ص ص ٣١٣، ٤٣٦.

٣٦ – محمد عبد الجليل الفهيم: من المحل إلى الغنى – قصة أبوظبي – مركز لندن للدراسات العربية ١٩٩٦.

٣٧ – محمد متولي موسى: مياه متعددة المصادر – في كتاب الدراسة المسحية – ص ص ١٩٩ – ٢٥٤.

٣٨ – محمد مدحت جابر: بعض جوانب جغرافية العمران في مصر القديمة – مكتبة نهضة الشرق بجامعة القاهرة – القاهرة – ١٩٨٥.

٣٩ – محمد مدحت جابر: بعض جوانب جغرافية العمران في فلسطين وتأثرها بالاستيطان اليهودي – مكتبة دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية – ١٩٨٤.

٤٠ – محمد مرسي عبد الله: دولة الإمارات العربية وجيرانها – دار القلم، الكويت – الطبعة الأولى – ١٩٨١.

٤١ – محمود عبد اللطيف عصفور: من قرى قديمة إلى مدن عصرية – في كتاب دولة الإمارات العربية المتحدة – دراسة مسحية شاملة – مرجع سابق ص ص ٦٢٥ – ٧١٢.

٤٢ – ناصر حسين العبودي: آثار الخليج العربي – الجزء الأول – آثاره الشارقة – ١٩٨٠.

٤٣ – نصر عبدالله الصالح: المؤثرات والأنماط الجغرافية للعمارة التقليدية بالمملكة العربية السعودية – من أبحاث الندوة العالمية عن العمارة الإسلامية والتخطيط في الدمام من ١٧ – ٢٢ – صفر ١٤٠٠هـ مطابع المقاصد الإسلامية – ١٩٨٤.

٤٤ – ولكنسون د.ج: نشأة الأفلاج في عُمان – حصاد ندوة الدراسات العُمانية وزارة التراث القومي والثقافة – سلطنة عُمان – المجلد الثامن – ص ص ١٠٣ – ١٧٩.

٤٥ – يوسف أبو الحجاج: الخريطة العمرانية لإمارة أبوظبي – دائرة التخطيط – أبوظبي، ١٩٨١.

ثانيا : المراجع غير العربية :

46) Abdullah, I. M. Design and Construction of Traditional Houses in Bahrain, The Arab Gulf State folklore centre, Doha, N. 4. Oct. 1986, PP. 33-41

47) Agarwal, A., Mud, The Potential of earth based material for third world housing, An earthscan publication, International Institute for Environment and development, 1981.

48) Brunskill, R. W., Houses, Colins, London, 1982.

49) Cleave, M. B., Hill settlements and their abandoment in tropical Africa, Transactions of the Institute of British geographers, 40, 1966.

50) Coles, & Jackson, A windtower in Dubai, Art and Archaeology Research Paper, June, 1975.

51) Cordes, Integration of Bedouins population in Abu Dhabi

52) Denyer, S., African traditional Architecture, Heinemann, London, 1978.

53) Dicken, S., & Pitts, R. Introduction to Cultural geography, 1970, Gin & Company, 1970.

54) Dickson, H. R. P., The Arabs of the Desert, George Allen & Unwin Ltd. London, 1959, PP. 66-83.

55) Dostal, W., The Traditional Architecture in Ras-El-Khaima.

56) Dubai Municipality, Traditional Architecture of Dubai, Arts and the islamic world, special supplement No. 27 and 28.

57) Fenelon, K.G., The United Arab Emirates, An Economic and Social Survey, Longman, London, 1973.

58) Gebremedhim, N., House Types of Ethiopia, in Oliver, P. ed., Shelter in Africa, London, 1971.

59) Hudson, F.S., A geography of settlementl Macdonald & Evans, 1976.

60) Jubbar, J.S., The Bedouins and the desert, Aspects of Nomadic life in Arab East, Translated from Arabic by Laurence L. Courad, stat e university of New York, 1995.

61) Kay, S., Emirates Archaelogical Heritage, Motivate Publishing, Dubai, 1986.

62) Kyser, D., Changing in the Rural Landscape of Southern Britain, The Journal of geography, Vol. 74, January, 1975. PP. 37-54.

63) McHenry, P., Adobe and Rammed Earth Building, Wiley, New York, 1984.

64) Miles B., The Countries and Tribes of the Persian Gulf, Frank Cass & Co. Ltd. London, 1966)

65) Noble, G., Evolution and Classification of Ninteenth Century Housing, in OHio, The Journal of Geography, Vol. 74. May, 1975, N. 5 PP. 285-302.

66) Ragette, F., Architecture in Lebanon, Caravan Books, New York, 1980.

67) Rudofsky, B,, Architecture without Architects, New York, 1964.

68) Spencer, R., & Cook, D.J., Building Materials in Developing Countries, John Wiley, & Sons, Chichester, New York, 1983.

69) Tomkinson, M., The United Arab Emirates, London, 1973.

70) Webb, G., A Comparative Study of Traditional Housing in the Caroline Islands, The Journal of Geography, Vol. 74. Feb. 1975, N. 2 PP. 87-103.

71) Wilson, F., The Coral Dewellers of Zanzibar, East African Annual, 1943 - 4.

المحتويات